بديع الزمان

سعيد النورسي

في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي

إستانبول (٢٧ – ١٩٩٢/٢٩)

البحوث غير العربية

ترجمة: اورخان محمد علي

الأساتذة المشاركون

- أ.د. شريف ماردين
- أ.د. اورسولا سپولر
- أ.د. آدم طاطلي
- أ.د. ميم كمال اوگه
- أ.د. كولن تورنر
- أوميد شمشك
- أ.د. آنا ماسالا
- أ.د. ابراهيم جانان
- أ.د. شَـنَر دلك
- أ.د. احمد آق گوندوز
- ماري ويلد (شكران واحدة)
- صفا مرسل
- نجم الدين شاهينر

nesil
BASIM - YAYIN

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان سعيد النورسي صاحب ومؤلف كليات رسائل النور البالغة ستة آلاف صفحة. وخلال عمره الذي قارب التسعين عاماً (١٨٧٦-١٩٦٠)م وهب نفسه لغاية واحدة ولهدف واحد وهو الاتيان بالحلول لمشاكل هذا العصر من زاوية العقيدة ومن زاوية التفكير الاسلامي. ولرسائل النور التي تخاطب العقل الانساني وادراكه طريقة خاصة تتفرد بها.

وكل مؤلف من هذه المؤلفات ليس كتاباً في علم الكلام او في الحديث او في الفقه. فمؤلفاته تمتاز بانها تجيب على الاسئلة التي تشغل ذهن الانسان وتشغل المجتمع وتشكل مسائله المدرجة على جدول اعماله وذلك استناداً الى القرآن والاحاديث كمنبع وكمصدر لهذه الحلول. وعندما تتم الاجابة على الاسئلة نرى هذه المؤلفات وهي تقيم علاقات وارتباطات مع كل نظم العلم من الفلسفة الى السياسة ومن الاقتصاد الى علم الاجتماع ومن المنطق الى العلوم الطبيعية. ان طريقة

التأليف التي مكنت رسائل النور من العيش ضمن نظام الايمان جعلت هذه الرسائل بؤرة اهتمام وفضول في مجتمعاتنا الحالية من قبل المؤمنين ومن قبل غير المؤمنين.

هناك حقيقة لامجال لانكارها، وهي ان التوجه نحو الدين في عالمنا الحالي يزداد قوة. وجميع الاحصائيات التي تمت على المستوى العالمي تؤيد هذه الحقيقة. ومن المسلم به حالياً ان الدين سيكون في وضع قوي في موضوع توجيه الانسانية في القرن الحادي والعشرين.

ان البحوث العلمية التي اجريت حول العلاقات والتوازنات الموجودة بين النظم الحالية في عالمنا المعاصر، والتحليلات الاجتماعية والثقافية اظهرت ان الانسانية بدأت تبدي ميلاً قوياً للحياة الدينية وللقيم المعنوية. وبعد ان تبين ان الشيوعية (التي اقيمت واسست للهجوم على المعتقدات) لاتستطيع العيش والبقاء الا بالاستناد الى قوة السلاح، وبعد ان تبين انها تترك المجتمعات الانسانية التي تحكمها في بؤس مادي ومعنوي فقد ازداد التوجه نحو الدين بشكل فاق كل التوقعات، ومهمة المثقفين والمفكرين اليوم ليست محاولة قطع الطريق امام هذا التوجه بل التفاهم ومد يد التعاون.

لقد اضطر النظام الغربي – الذي لم يستطع السيطرة على الانسان – الى تحمل وتجرع جميع النتائج المادية والمعنوية النابعة من عدم قدرته هذه. وهذا هو السبب في جميع الضائقات والامراض التي وقعت فيها المجتمعات الصناعية. ان النظام الغربي الذي يحمل في هويته بصمة

الحرية والدفاع عنها كخاصية مهمة بدا عاجزاً امام الصدامات العرقية في بعض مناطقها وكذلك امام الارهاب الدولي، بل بدا وكأنه يشجع هذه الاتجاهات من طرف خفي. وهذا يشكل بعداً آخر حول عدم كفاية هذا النظام.

ان الانسانية – التي لم تفقد حتى الآن احساسها بالحق – تنتظر وتأمل في سلام عام يسود العالم باجمعه، وهناك اعتقاد يقوى على الدوام بان قوة الدفع الفكري والعقيدة التي تستطيع تحقيق ذلك موجودة في الدين وفي القيم المعنوية على وجه الحصر.

فاي دين من الاديان هو المرشح لان يكون هدفاً لهذا الاتجاه الديني المتقوي على الدوام؟

لقد تركزت انظار الرأي العام الدولي – ولاسيما اعتباراً من السبعينات – على حقيقة ثابتة وهي تجدد حيوية الاسلام ونهوضه. وبدأت وسائل الاعلام الغربية المشهورة تخصص مساحات واسعة من نشرياتها في السنوات العشرين الأخيرة حول النهضة الاسلامية وباهتمام متزايد على الدوام. وفي السنوات الاخيرة زادت ودون انقطاع كثافة هذا الاهتمام الاعلامي. ومن هنا يمكننا القول بان الدين الاسلامي هو الدين الذي سيكون هدفاً للتوجه نحو الدين وهو الدين الذي سيكون مرشحاً لهذا التوجه وصاحباً له.

وقد اشار بديع الزمان الى هذه الحقيقة منذ اوائل هذا القرن، اذ قال:

(اننا معشر المسلمين نتبع البرهان ونلج الى الحقائق الايمانية بعقولنا وافكارنا وقلوبنا، ولانفعل ما يفعله بعض افراد الاديان الاخرى تقليداً منهم لرهبانهم، اذ لانترك البراهين. ولهذا السبب فان المستقبل « الذي سيحكم فيه العقل والعلم » سيكون الحكم فيه للقرآن الذي يستند الى البراهين العقلية والتي استخلصت جميع احكامه مع العقل)(١). ذلك لان الاسلام – حسب تعبير الاستاذ النورسي – انسب دين لبنية الانسانية لانه دين الفطرة.

ولان الاستاذ النورسي آمن بان الاسلام – الذي هو دين الفطرة – هو الدين الوحيد المؤهل للدخول الى عالم العقيدة للانسان... هذا العالم الذي اصبح فارغاً عند الانسان الحالي، لذا فقد قام بتدقيق الاسلام وبحثه بمنطق وباسلوب ادراك وفهم الانسان المعاصر وقدم ايضاحات وتفاسير مناسبة لهذا الانسان. واثبت – استناداً الى طريقة واسلوب يعتمد على البراهين – بان فطرة كل انسان وطبيعة خلقه تستلزم وتتطلب ان تتكامل بالقيم الدينية لذا فقد قام علماء أجانب وعلماء محليون يشغلون مراكز مهمة في جامعات معروفة بتحليل وتدقيق آثار رجل علم ولد وترعرع على تربة هذا البلد وتناولوا وجهات نظره ودرسوها. واليوم تفتح من تركيا نافذة ضياء على عالم الفكر والعقيدة بافكار واراء بديع الزمان، وعملية التبليغ هذه تعد نقطة تحول في موضوع تناول الهوية الحقيقية لتركيا من جانب، وتعريف وايصال هذه الهوية الى البلدان الخارجية من جانب آخر. ولعل الكلمات التالية لبديع الزمان تعبر عن هذه الحقيقة باجلى صورة:

(انني ابين لكم بكل ثقة وبكل تأكيد واستناداً الى شواهد عديدة بان هذا الوطن وهذه الامة وحكومة هذا البلد ستحتاج في المستقبل القريب الى كتب من امثال رسائل النور حاجة شديدة امام العالم الاسلامي وامام الدنيا، وانها ستسجل مفاخرها التاريخية وكيانها وشرفها بابراز واظهار هذه الكتب).

لقد قام علماء ومفكرون ممتازون ينتمون الى جامعات عديدة في العالم ومعروفون بابحاثهم حول رسائل النور بتقديم اقتراحات وملاحظات مهمة – في ضوء اراء بديع الزمان – حول موضوع اعادة بناء الاسلام من جديد.

لقد اثبت بديع الزمان للاجيال التي تربت على الثقافة المنقولة لها والمترجمة عن الغرب بان العقيدة الاسلامية والفكر الاسلامي عبارة عن منظومة من القيم التي لايمكن التخلي عنها ابداً.. لقد اثبت هذا بديع الزمان بمؤلفاته وبالخدمات التي قام بها وخصها للمجتمع، ونحن نأمل ان تفتح هذه المحاضرات التي تناولت هذا الامر آفاقاً جديدة في دنيا الفكر عندنا.

لقد القيت هذه المحاضرات في ٢٧–٢٩ من شهر ايلول لسنة ١٩٩٢ في الندوة العالمية التي عقدتها «اوقاف اسطنبول للعلم والثقافة» تحت عنوان «بديع الزمان سعيد النورسي واعادة بناء العالم الاسلامي في القرن العشرين» وتم عقد هذه الندوة في قاعات الاجتماع لمركز اتاتورك للثقافة. ولفندق «ميم» في اسطنبول.

دار يني آسيا للنشر

البروفسور الدكتور

شريف ماردين

(جامعة امريكا – واشنطن – الولايات المتحدة الامريكية)

ولد عام ١٩٢٧ في اسطنبول. واكمل دراسته الجامعية سنة ١٩٤٨ في جامعة ستانفورد في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الامريكية. ثم عين في كلية العلوم السياسية للجامعة نفسها كمعيد. وبقي هناك حتى بلغ درجة الاستاذ (البروفسور) وفي سنة ١٩٧٣ انتقل الى جامعة «بوغاز إچي» في اسطنبول.

له مقالات وكتب عديدة نشرها باللغة الانجليزية منها «الدين والايدولوجية» و «جون تورك» حيث ترجما الى اللغة اليابانية والتركية. وهو قريب الشيخ «ابو لولا الماردينى». ونزولاً عند توصية المفكر التركي المعروف «جميل مريج» فقد قضى عشر سنوات في بحث ودراسة لبديع الزمان سعيد النورسي وللحركة النورية من منظور علم الاجتماع ونشر دراسته الموسومة بـ«قضية بديع الزمان سعيد النورسي: الدين والتغير الاجتماعي في تركيا» في شهر كانون الاول لسنة ١٩٨٩ في امريكا. وترجم هذا الكتاب الى اللغة التركية في شهر تشرين الاول لسنة ١٩٩٢. وهو يلقي حالياً محاضرات حول سعيد النورسي وحول الحركة النورية في باريس ولندن وامريكا. كما نشر دراسته الموسومة بـ«بديع الزمان سعيد النورسي: اداء رسالة» في المجلة الانكليزية Religious Organization and Religious . التي تصدر في لندن.

الذاكرة والشعور الجماعي

ان العمق الاجتماعي لبديع
الزمان ونجاحه يرجعان الى استيعابه
للفكر الاسلامي الغني من الناحية
الدينية والثقافية.

قبل كل شئ اود ان ابين كيف اتجهت الى تناول موضوع بديع الزمان سعيد النورسي. ان كل انسان عندما يقترب من موضوع ما فانه يقيم الاحداث من زاوية خاصة به. وان بيان خواص هذه النظرة علاوة على انه من الادب العلمي فانه يقوم بوظيفة التنبيه للقارئ او للسامع. ولكي اقوم بايفاء هذا الجانب العلمي وابينه بكل وضوح فاني سأبدأ هذا الموضوع ببيان وبشرح.

من الممكن العثور على محورين في كل محاولة دينية تتكون وتتشكل عن طريق الوحي او الالهام. فمن جهة هناك الوجود الالهي واوامره والمعارف الصادرة عنه حول النظم التي وضعها للكون، ومن جهة اخرى هناك الرغبة حول قيام الانسان بتنفيذ واطاعة هذه الاوامر. على ان الانسان لايستطيع – في غالب الاحوال – التطبيق الكامل

لهـذه الاوامـر المبلغـة اليه في شكلهـا المثـالي ودون اي قصـور. واحـد الاسباب الكامنة وراء هذا هو ان المهم في اثناء نزول الوحي هو وجوب تذكـر هذا الوحي وحفظـه اكثر من وجوب فـهـمه. فـعند نزول الوحي يتكلم به ويبلـغ ويعبر عنه ويكرر وذلك قـبل ان يكون مـوضـوع بحثـه وشرحـه وفهـمـه وارداً. ففهـم المعـاني الواردة في رسالة الوحي وتفسـيره يبـدأ في مرحلة ثـانية. ومـثال ذلك فـان المرحلة الاولى عند رسـول الله ﷺ كانت مرحلة التبليغ، والمرحلة الثانية التي تأتي بعد الاولى مـباشرة هي مرحلة تبليغ وايصال مـعاني الوحي الالهي الى الآخرين في اسلوب انساني. اما المرحلة الثالثة فهي مرحلة فهـم هذه المعاني من قبل المؤمنين، ولأن المؤمنين أناس فانهـم لايستطيعون النفوذ الى اعماق هذه المعاني اذ تحدهـم طبيـعتـهم الانسانيـة. وباختـصار فـهناك فرق بين مـاهية رسـالة الوحي وبين اشكال فهم الناس لهـذا الوحي. وبديع الزمان يشرح على الدوام في كـثير من بياناته وبشكـل بليغ الاعجـاز القرآني (اي المعـاني العـميـقـة المحاطة بالاسـرار) وكـيف ان الناس لايتـساوون في فـهـم هذا الاعجاز وفي فهم معاني الوحي.

فـاذا تـذكـرنا هذه المراحـل للوحي الالهي فـسنلاحظ انهـا تشكل ساحتين من سـاحـات العلم. فالساحة الاولى للعلـم هي التي تتعامل مع تحليل مـفاهيم الـرسالة ككلام ديني صـرف. واسم هذا الفـرع من العلم في اللغـات الغربيـة هو «Theology» واقـرب فرع من العلوم الاسـلاميـة الذي يناظر هذا المفـهـوم هو «الفـقـه» وفي مقـابل هذا فـهناك فـرع ثانٍ للعلم يقـوم ببـحث وتدقـيق اشكال المعـاني التي يضـفـيـهـا الناس على

الرسالة الالهية عندما يتقبلونها منطلقين في ذلك من طبيعتهم الانسانية ومن طبيعة مجتمعاتهم التي يعيشون فيها، واحياناً قد تكون هذه المعاني غير متوقعة ابداً. واسم هذا الفرع من العلم هو «علم اجتماع الاديان» وحسب تعبير «ويبر Weber» فان علم اجتماع الاديان يقوم بفحص وتدقيق الشكل الذي يسبغه المؤمنون على الدين.

واذا كان علينا ان نسوق مثالاً فاننا نقول بان موضوع «التوحيد» في الاسلام موضوع يدخل في ساحة «Theology» من جانب آخر فان بحث وتدقيق تحول المدارس من مدارس قائمة على اسس غير محترفة في البداية الى مدارس محترفة مع مرور الوقت يدخل ضمن ساحة علم اجتماع الاديان.

اما كيفية تناولي موضوع بديع الزمان سعيد النورسي فقد كانت من زاوية علم اجتماع الاديان الذي هو ساحة تخصصي. فمثلاً مواضيع حركة التجديد لبديع الزمان ومدى انعكاس هذه الحركة، والوضع الاجتماعي والبيئة الاجتماعية للاشخاص الاوائل الذين نشروا افكاره، وكيف كانت افكار بديع الزمان تعني بالنسبة لهم عالماً جديداً كانوا يبحثون عنه، وكيف اثر عليه الجو السياسي الذي واجهه... كل هذه المواضيع تدخل ضمن ساحة علم اجتماع الاديان وهي ضمن المواضيع التي ادرسها وادققها.

وفي اعم مفهوم فقد كانت كيفية تشكل افكار بديع الزمان في الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في عهده تُظهر مشاكل

ذات اهمية بالغة من وجهة نظري. وانا اظن بان بحوثي هذه لم تكن دون فائدة لعلماء الدين. فعندما اقوم بشرح طراز تصرف اتباع بديع الزمان لاشخاص هم في داخل حركة النور فقد اكون بذلك مهدياً لعلمائهم مفتاحاً صغيراً.

مسألة الهوية والرابطة مع الماضي

اود وفي الاجتماع الافتتاحي تناول اضافة قدمتها افكار بديع الزمان لمسألة اجتماعية مهمة وهي مسألة الماهية والعلاقة او الرابطة مع الماضي.

ان على كل مجتمع ان تحتفظ بعلاقتها مع الماضي حية ونضره في ذاكرتها. فالأمس ضروري لفهم الحاضر، ومن اهم وسائل هذا التذكر والتذكير في العالم الاسلامي هو العيش في الماضي. والشكل الاسلامي المذهل لهذا هو العيش بين الاموات، فزيارة الموتى التي تحتل محلاً مهماً في الاسلام شكل من الاشكال المقبولة لهذا في الاسلام. وفي التفكير الاسلامي الحديث قد تنتقد هذه الزيارات، الا انها تؤمن في الحقيقة استمرار التاريخ حياً كسلسلة اجيال.

ظهرت في القاهرة مؤخراً رسالة دكتوراه تبحث في الحياة اليومية لمدينة اولياء كبيرة اسمها «القرافة» فيما بين القرن الحادي عشر والخامس عشر الميلادي. والذي فهمناه من هذه الرسالة ان زيارة الاموات كانت تشكل للمؤمنين فرصة راحة ووسيلة لكي يعيش المؤمنون دينهم بالامل والفرح وليس بالحزن، وان هذه الزيارات كانت تقوي الروابط الانسانية بين الافراد.

ومن جهة اخرى فان هذه الزيارات ربطت الوجدان الجماعي والذاكرة الجماعية بشئ اسمى، وهو ربط هذه الذاكرة بفضائل وسمو هؤلاء الموتى. وفي القرن العشرين عندما بدأت المدنية المادية ببعثرة الذاكرة الجماعية للامة الاسلامية ظهرت مشكلة طالما وقف عندها بديع الزمان، وهي مشكلة الهوية لدى المسلمين والفكرة القومية التي نمت بنمو المدنية المادية حاولت سحب علاقة المسلمين مع ماضيهم الى تاريخ اقدم، اذ حاولت احلال «اوغوزكاغان»(١) الذي عاش في عصور اقدم محل الاولياء. وهذه المحاولة وضعت مفهوماً غامضاً ومفهوماً مجرداً للمواطن الحالي بدلاً من الثروة الاسلامية الغنية في هذا الخصوص.

ان عمق علم الاجتماع لدى بديع الزمان ونجاحه في هذا الموضوع يتركز في فهمه السريع لمدى غنى الثروة الاسلامية الثقافية وموضعها في هذا الخصوص. فكما ورد في مثال القرافة فان الزيارة التي كانت تؤمنها هذه المحلة لم تكن زيارة رسمية تحف بها البروتوكولات، بل هي زيارة تزيد من الغنى المعنوي المخبوء في طيات النفس الانسانية، وهذا الغنى النفسي يتلائم وينسجم ككل متكامل مع الحياة اليومية للمسلم.

«السجل اليومي» للمواطن

الالوان في «القرافة» هي الالوان المفضلة في بيت المؤمن وفي احاديث السمر وفي القصص الشعبية. وروائح «القرافة» وعطورها هي البخور وروائح الورد والقرنفل الواردة في الثقافة الاسلامية. اما الجدران

والقبور فتزين بكتابات هي جزء من التذهيب. المهم هنا ان تبقى الثقافة والوجدان الجماعي او ماطلقنا عليه اسم «الشعور الجماعي» كمادة رابطة تؤمن مثل هذه الارضية الجميلة وتؤمن بقاءها حية.

يمكن عد القومية التركية ناجحة في خلال الخمسين سنة الاخيرة بنسبة نجاحها في تلقين فكرة القومية التركية. ولكن احد الجوانب الناقصة لقوميتنا هو اهمالها لما نجحت القرافة في القرن الخامس عشر من الابقاء على النسيج الثقافي وعلى الوظيفة الاجتماعية وعلى فعاليتها. ونستطيع ان نعمم اكثر فنقول: ان ماقام به الاسلام حتى العهد الجمهوري من تنظيم «السجل اليومي» للمواطن هو ما لم تلتفت اليه الجمهورية، واهمالها هذا يتجلى في تركها هذا «السجل اليومي» مفتوحاً بشكل كبير مع ان الثقافة الاسلامية قامت بتنظيم تفصيلي لهذا السجل اليومي. وتعبير «السجل اليومي» الذي استعمله هنا مصطلح اتى به العالم الاجتماعي الفرنسي «Michel de Certeau» الى علم الاجتماع. لاشرح ذلك:

يرى هذا العالم الفرنسي ان المصطلحات التي تنظم حياة الانسان ليست مصطلحات صعبة الفهم ومصطلحات مجردة مثل مصطلحات «السياسة الخارجية» او «النظم الاقتصادية» ان مايشكل قوام حياة الانسان وقوام حياته اليومية هو المئات من التفاصيل الصغيرة والدقيقة من التصرفات والاداب ومقاييس الاخلاق والجمال. والمثال الكلاسيكي هو كتاب «احياء علوم الدين» الذي وضعه الامام حامد

الغزالي الذي كـان يعرف جيـداً تفاصيل الحـياة اليـومية للمسلم فوضع هذه التـفاصيل ضـمن كتـابه اعلاه الذي اصبح نوعاً من كـتب «آداب المعاشرة» للمسلم.

ولقد ذكـرت في كتـابي الذي ألفتـه حول بديع الـزمان. بانه خـلافاً للغزالي لـم يقف طويلاً حول المعامـلات والعبـادات الاسلاميـة بل ركز بحثه وهمه على مايجعل المسلمين يدركون ويفهمون دينهـم. ان النقطة التي تتجمع في بؤرتهـا المسألة باجمعها والتي اعدها مـهمة جداً هي ان المسلم المعاصر في حـاجة اليوم الى «خريطة» ترشده وتوجهـه في حياته اليومية وقد فهـم سعيد النورسي هذه الحاجة.

وهذه «الخـريـطة» يجب ان تعين له عـلاقتـه مـع مـاضـيــه وتنظم «حـاضـره» وتكون مـرشـداً له . ومن هذه الزاويـة يجب تقـيـيم كـتب الكاتـب المصـري «سيـد قطب» إذ يظـهر فـي كـتابـاته وبشكل واضح هدف تأمين خارطة جماعية للمسـلمين. واظن اننا جميعاً نعرف وجود تخطيط للتطور الاجتماعي التاريخي في افكار بديع الزمان. ولكن الى جانب هذا فقـد استهدفت افكاره تعـيين اتجاه واستقامـة للمسلمين في المجتمع الحديث.

قـد لايكون من الانصاف التـفكير بان محـاولات سعيـد النورسي كانت متوجهة فقط لملء الفراغ في الفكرة الكمالية [١].

فالقضية تكمن فــي المـشاكل العـامة للمدنية الصناعية وللفلـسـفة العقلية «Rasyonalism» [٢]. ان الاهتـمــام الذي بذله بديـع الزمـان

حول «المعنى» وحـول «المفهـوم» وتقديمه الاسلام كـدين يجب فهـمه يكفي لاظهار هذا بشكل تلقـائي. ولكن من الممكن العثور في كـتاباته على كثـير من الامـثلة التي تظهر بان هذا الموضـوع ليس مشكلة خـاصة بتركيا بل هو مشكلة عامة في الدنيا.

ان سـبب اختـيـاري للكتـابة عن سيـرته يعـود الى سعـة ابعـاد فكره الاسلامي والى كونه قد فهم مشاكل هذا العالم قبل غيره.

اوردناريوس بروفسور الدكتورة

آنّا ماسالا

(جامعة روما – ايطاليا)

ولدت في ١٥ نيسان/ ١٩٣٤ في روما. اكملت دراستها العليا في كلية الآداب في روما، تعلمت الى جانب اللغة الايطالية واللاتينية عدة لغات شرقية هي اللغة العربية والفارسية والعبرية والتركية. في سنة ١٩٦٨ بدأت بتدريس اللغة التركية في معهد الاستشراق في جامعة روما. وفي هذه الاثناء زارت تركيا عدة مرات حيث اتصلت بالثقافة والفلكلور التركي من قريب واهتمت بهما. واصبحت آنا ماسالا (التي هي من محبات وانصار الامة التركية) في سنة ١٩٧٢ استاذة (بروفسورة) في جامعة روما، وارتقت سنة ١٩٨٢ الى مرتبة «اردنياريوس بروفسور».

نشرت في روما باللغة الايطالية العديد من الكتب الاستشراقية، ندرج ادناه بعضها: الشعر التركي المعاصر ١٩٧٢ – الاغاني الشعبية التركية ١٩٧٨ – بديع الزمان سعيد النورسي ١٩٧٨ – الطبل ١٩٧٨ – الاغاني الشعبية التركية والسيف (الاناشيد الحربية) – مختارات من اشعار فوزي خالجي ١٩٨٧ – ترجمة من اشعار جاهد كُلبي ١٩٨٦.

الخط الممتد
من مولانا جلال الدين الرومي
الى بديع الزمان

بينما كان جلال الدين الرومي يقول: «تعال! تعال ايضاً! تعال كما انت» يقول بديع الزمان: «ان كنت مؤمناً فانت – انطلاقاً من هذا الايمان – اخ لنا مهما كنت».

اسمحوا لي ان احييكم باجمل انواع التحايا: السلام عليكم!

في الحقيقة ان كل نوع من انواع التحايا جميل «صباح الخير» «مرحباً» «انعمت صباحاً» فمن الجميل ان تحيي الناس.

اننا ونحن نقترب من نهاية القرن العشرين نرى في هذه الايام بكل اسف انه بينما تكون الاخوة والحوار بين الاديان والسلام بين الامم مطلوباً، نرى من الجانب الآخر الاديان وهي تتصادم من جديد،

ونسمع دوي الاسلحة وصرخات الجياع واصوات الحروب السياسية والنفسية وهي تنطلق من جميع ارجاء العالم. كلنا في حاجة الى السلام والى الحب، لذا فانني اقول لكم «السلام عليكم». فهذا تحية من جهة، ودعاء من جهة اخرى.

لا احب اليوم ان اتطرق الى الاديان الموحدة [١]. ولا الى علم الاديان. كما انني لا اتواجد هنا بينكم بصفة استاذة (بروفسورة)، بل كأمة لله سبحانه وتعالى تشعر بالحاجة للاخوة وللسلام.

كما تعلمون فانني ولدت في بلد مسيحي، بل في بلد يعد مركزاً للمسيحية وهي روما. ولكني كمستشرقة وكعالمة للشرقيات استطعت ان اتعرف على الاديان الاخرى في العالم.

ولا ازال اتذكر جيداً سنواتي الجامعية وكيف كنت اقرأ باهتمام بالغ الكتب المتعلقة بالاديان الكلاسيكية وانا اتهيأ لدخول امتحان الفلسفة الهندية. وحتى في ذلك الحين – وانسجاماً مع الخط الثقافي الذي وجهني اليه اساتذتي الفضلاء – كنت ابحث عن رابطة وعن جسور معنوية بين الاديان، وكنت اتمنى ان اجد اثراً لفكرة الوحدانية حتى في الاديان الوثنية. ذلك لانه لاشك في هذا الموضوع ايها الاشقاء الاعزاء. فباي لغة دعوت والى اية قبلة توجهت فان على الانسان ان يعرف شيئاً واحداً... ان يعرف مدى ضعفه كانسان امام عظمة الله الواحد الاحد. وهذا معناه ترجمة كلمة التوحيد الاسلامية المباركة الى جميع لغات الارض.

ان حظي الاكبر يرجع الى انني صادفت في طريق حياتي وعلى نحو غير متوقع امة مثل الامة التركية.

اشقائي الاعزاء! انني اجد السلوان في كل يوم.. في كل حين.. في الايام الحلوة وفي الايام المرة.. في الحزن وفي الفرح، ولاسيما في هذه الايام التي يقاسي فيها بعض الناس الالام.. انني اجد السلوان في هذا الكنز، واجد فيه دروساً ابدية لاتقدر قيمتها بثمن، واحصل منه على تجربة حياتية.

لقد احببت دائماً كل جانب من جوانب الثقافة التركية بدءً من تاريخهم القديم في اواسط آسيا الى تاريخ قبولهم الاسلام الى تأسيس الحضارة التركية في الاناضول. لقد احببت ادبهم الشعبي، وادب الديوان.. لقد احببت تاريخ الدول التركية الست عشرة.. احببت فن الخط عندهم واحببت فنونهم الجميلة.. احببت الروح العميقة للتصوف.. احببت الموسيقى التركية الكلاسيكية.. احببت يحيى كمال(١)، واحببت الادب التركي المعاصر وكما احببت السلطان محمد الفاتح، فانني احب ومن كل قلبي الجمهورية التركية العزيزة السائرة في طريق التقدم والتطور.

انني ابصر بعين روحي في المرآة وجوهكم المشرقة كالماس، انني ارى مولانا (٢) ويونس أمره (٣). وبديع الزمان سعيد النورسي.. ارى محطات توليد الكهرباء.. ارى البسفور، وارى جبال الاناضول المغلفة بالضباب.. ارى القباب والمنائر والمدن والقرى. ان ما اريده من حب

واخوة وسلام ليس شيئاً خيالياً، بل تحقق ذلك بما علمني اساتذتي الكبار، وبما اظهرتموه انتم منذ سنوات عديدة من حب.

النضال ضد اعداء ثلاثة

كما ذكرت سابقاً فان الحديث يجري في السنوات الاخيرة عن حوار بين الاديان في العالم.

ارجو عفوكم فانني أؤمن كثيراً بكلمة «الحوار». ذلك لانني ارى بانه عندما يكون هناك خلاف ما يأتي الحوار الى قائمة البحث، وعندما تهب رياح الحرب يتم ذكر السلام.

انني كرجل علم اعلم بان الاديان التي توحد الاله كاليهودية والمسيحية والاسلام رغم حدوث التبادل الثقافي بينها عبر قرون عديدة، هذا التبادل الثقافي الذي أثر على تقدم الحضارة الانسانية.. رغم هذا فانها تعيش في قلاع مغلقة.

لقد فصلت المصالح السياسية والتجارية في بعض الاحيان – تحت اردية دينية – البلدان المسيحية عن البلدان الاسلامية لمدة طويلة. ونرى بشكل خاص في بحرنا الابيض المتوسط عندما سقطت غرناطة الجميلة، فقد شهد التاريخ آنذاك انفصالاً بين البلدان الاسلامية، او بتعبير اصح بين اوروبا المسيحية وبين الامبراطورية العثمانية.

وهذا هو منبع الالم للمؤرخ الاوروبي الذي يعلم الوجه الآخر من العملة. فانني منذ شبابي لم استطع ان اقبل وان اهضم فكرة محاربة

بلدي روما لمئات السنين بلدي الآخر اسطنبول في سبيل غاية دينية ولغايات تجارية في اكثر الاحيان.

انني اقول بانه يجب ان يتم نسيان مفاهيم الكلمات التالية ونحن نقترب من نهاية القرن العشرين: الحرب، عدم التسامح الديني، العنصرية، الجوع الجهل. اجل انني تلميذة للتسامح التركي، لذا فانني اعجب الاعجاب كله بجملة سعيد النورسي وبأمر منه. فهو يقول:

(ان اعداءنا هي: الجهل والفقر والخصام. وسنجاهد هؤلاء الاعداء بسلاح العلم والفن والاتفاق)

عندما اتيت الى تركيا في شبابي مع اهلي قمت بتوجيه آلاف الاسئلة الدينية للاتراك، ولكن لم يقل لي اي احدمنهم (أأنت مسيحية ام مسلمة؟)

لقد كانوا يسألونني عما اذا كنت احب تركيا ام لا.. عما اذا كنت احب مولانا جلال الدين ويونس امره، عما اذا كنت اعرف عن موسيقى العطري[1].. عما اذا كنت اشعر بالسعادة وانا اتطلع من «بغداد كوشكي» ومن «چاملجا» ومن «روملي حصار» ومن جسر «غلطة» الى اسطنبول ام لا. ثم كانوا يتحدثون عن الدين، وقد وجدت ان كثيراً من المسلمين يعرفون آيات من الانجيل ومن التوراة علاوة على معرفتهم بالقرآن الكريم. بينما يندر عندنا ان تجد مسيحياً يعرف شيئاً عن القرآن. وقد كان هذا درساً كبيراً لي.

اود ان انقل لكم احدى ذكرياتي الجميلة:

في احدى المسامرات التي بدأت من مغيب الشمس واستمرت حتى طلوع الشمس قام بعض اصدقائي من المسلمين المتدينين بقراءة جمل من الانجيل دون الوقوع في اي خطأ. واعترف انني قضيت اليوم التالي ابحث في ارجاء المدينة عن نسخة من الانجيل لكي اتهيأ لمسامرة دينية اخرى.

لقد كنت ظمآنة على الدوام للتسامح، وقد وجدت هذا التسامح في التاريخ الاسلامي للاتراك. لقد وجدت التسامح في الامبراطورية العثمانية التي اعطت لجميع الامم ولجميع غير المسلمين امكانية المحافظة على لغاتهم وعاداتهم ولاسيما المحافظة على اديانهم.

انا لايهمني ماذكره بعض المؤرخين الكذابين، ذلك لانني اعلم جيداً ان المسيحيين من اليونانيين والارمن والسريان والمسيحيين في بعض دول البلقان بقوا مسيحيين نتيجة تسامح الاتراك المسلمين وبقوا يستطيعون التحدث بلغاتهم نتيجة هذا التسامح.

ولكني وجدت اجمل جوانب التسامح الديني عند اساتذة الاناضول الكبار. فمنذ مئات الاعوام خاطب مولانا جلال الدين الرومي العالم باسره قائلاً: «تعال.. ايضاً تعال.. تعال كما انت». اما يونس أمره فقال: «أُناديك يامولاي وياالهي بجبالك واحجارك» وبالروح التصوفية نفسه قال سعيد النورسي: «ان المحبة هي قوام الكون» و «ان طريقتنا ومشربنا هو المحبة».

ان موضوع هذه الندوة العلمية العالمية هو (بديع الزمان سعيد

النورسي: البناء الجديد للفكر الاسلامي في القرن العشرين). ان حياة بديع الزمان حياة ملفتة للنظر وحافلة، وكتبه عميقة جداً. ونظراً لضيق الوقت فان حديثي هذا ليس مع الاسف بياناً علمياً طويلاً انما هو عبارة عن تحية فقط، ثم انني ادرك جيداً بانكم تعلمون عن هذا الموضوع افضل مني. فانا الفقيرة لم آت الى هنا لكي القي عليكم درساً، بل جئت لكي اتعلم منكم.

«مادام يملك ايماناً، فهو أخ لنا من هذا المنطق»

كما قلت سابقاً فان القسم الاكبر مما اعلمه تعلمته منكم ومن اساتذتكم.

ان مفهوم كل شئ في تركيا مفهوم عميق، حتى نصر الدين خوجا ونكاته وفهمه العميق لروح النكتة وقيامه باضحاك الشعب هو رمز من رموز التسامح التركي. وساقوم ان شاء الله باعداد بحث أشمل حول هذا الموضوع المهم واقدمه لكم.

في الايام السوداء تتفطر قلوب الناس من الاخبار الواردة اليهم من الاقطار الاخرى، ثم اسمع عن نشوء حوار بين المسيحيين وبين المسلمين، وبينما اعلم بان اناساً يُقتلون في الجهة الاخرى من العالم أشعر بأنني في حاجة الى قطرة من العسل، وانني وجدت هذه القطرة.

قبل ايام عندما كنا نتكلم عن الشاعر فيضي خالجي وعن الاستاذ سعيد النورسي خطرت ببالي جملته التالية:

(مادام يملك ايماناً فهو أخ لنا من هذا المنطق كائناً من كان). ونجد الفلسفة نفسها عند مولانا جلال الدين الرومي في هذه القطرة الجميلة من العسل.

وفي رأيي ان هذا هو الايمان الحق، وهو التسامح.

والحوار الحقيقي ليس على طرف اللسان بل في القلب.

وفي شهر ايلول من هذه السنة عقد في بروكسل حوار بين الاديان اشترك فيها ممثلون عن اثني عشر ديناً. وبالقدر الذي علمته من المذياع فان الندوة نفسها ستنعقد في ميلانو في العام القادم.

اتمنى ان يستطيع رجال الدين هؤلاء من تأسيس السلام في الارض والسلام بين الاديان. ولكني حزينة، ذلك لان مثل هذه الحوارات التي تجري بين الاديان تكون موجهة نحو رجال العلم ولاتخاطب الجماهير.

عندما كنت اتهيأ لالقاء هذه الكلمة القصيرة تبادر الى ذهني مثال على الاخوة بين المسلمين والمسيحيين.

اود ان يبقى هذا في قلوبكم، وعلى المسيحيين ايضاً ان يعرفوا هذا.

هذه مسبحة مسيحية... وهذه مسبحة مسلمة.. ان نصف العالم في هذه اللحظة تسبح باحدى هاتين المسبحتين، مع انهم يعودون لاديان مختلفة الا انهم يذكرون اسم اله واحد. فكم صادقة هي تلك الكلمة المقدسة: لا اله الاّ الله.

اصدقائي الاعزاء! انني احي بلدي ايطاليا من اسطنبول الساحرة وآمل ان يتقارب بلدي من تركيا يوماً بعد يوم، واخيراً أحيي تربة تركيا التي تحبونها جميعاً.

لعلكم تتقبلون مني ان اكرر شيئاً طالما ذكرته سابقاً.

ان حب تركيا شئ سهل بالنسبة اليكم، فقد ولدتم في تركيا وتعلمتم منذ صغركم محبة الثقافة التركية ومحبة الجمهورية التركية ومحبة علمكم المجيد والجميل. اما انا فقد تعلمت محبة هذه الاشياء بعد عمل سنوات طويلة وبعد قراءات وحوارات ومسامرات، وهكذا نفذ التاريخ التركي الى عقلي واستقر اسم تركيا في قلبي.

دعائي لكم

والسلام عليكم.

الاستاذة المساعدة الدكتورة

اورسولا سپولر

(جامعة ماربورك : المانيا)

ولدت اورسولا سپولر في المانيا عام ١٩٣٩ . اكملت دراستها في لوس انجلس في امريكا وفي كلية الاداب في جامعة اسطنبول. حيث تعلمت في هذه الاثناء علم الاديان والاستشراق واللغة الفارسية والعربية والتركية. قدمت رسالة الدكتوراه في جامعة بون حول الادب التركي المعاصر.

تقوم ارسولا حاليا في جامعة ماربورك باعطاء دروس حول التاريخ الاسلامي، والقرآن والسنة والدين واسس الدين الاسلامي والتصوف والفكر الاسلامي الحديث وذلك ضمن اطار علم الاديان.

والسيدة ارسولا تجري ابحاثها منذ عشرين عاماً حول بديع الزمان سعيد النورسي وحول الحركة النورية. وكانت قد نشرت اول مقالة لها عن بديع الزمان قبل عشرين عاماً.

الحوار بين المسيحية والاسلام

قبل كل شئ عندما ننظر من زاوية رسائل النور نرى ان احد الشروط الرئيسة للحوار بين المسيحية والاسلام هو وجود نقاط مشتركة بين الدينين. وهذه النقاط المشتركة هي التي تضمن امكانية العمل المشترك بين الاسلام والمسيحية ضد الالحاد وضد المادية وضد الشيوعية في جميع ارجاء الارض.

ان الظروف الحياتية التي يعيش فيها المسلمون في عصرنا الحالي تختلف من عدة نواحي عن الظروف التي كانت موجودة في السنوات الاولى لظهور الاسلام في مكة والمدينة. ولقد انتشر الاسلام بسرعة كبيرة في جميع قارات العالم. ثم ان عدد المسلمين اليوم وصل الى عدد المسيحيين. وهكذا فان منتسبي هذين الدينين يشكلون نصف عدد سكان العالم.

فكيف كان الوضع ياترى في زمن الرسول محمد ﷺ؟ لم يكن هناك في ذلك العهد يهودي واحد في مكة، اما في المدينة فكانت هناك ثلاث قبائل يهودية. بينما كانت المسيحية منتشرة في كل ارجاء الشرق الاوسط الا ان انتشارها في منطقة شبه جزيرة العرب (باستثناء منطقة نجران) كان قليلاً جداً. الى جانب هذا فالرسول محمد كان يعرف بعض المسيحيين. ونحن نعرف قصة الراهب المسيحي الذي اخبر بمجيئه.

فان اتينا الى يومنا الحالي نجد انه يعيش في المانيا (التي تبعد كثيراً عن مكة والمدينة) مليونان من المسلمين مع ٧٦ مليوناً من المسيحيين، ومقابل هذا نجد ان المسيحيين اصبحوا اقلية في الشرق الاوسط. فان استثنينا لبنان فاننا نجد ان المسيحيين يشكلون مجموعات اقلية في مصر وفي سوريا، فكما رأينا فقد تغيرت الظروف من عدة نواحٍ منذ السنوات الاولى لانتشار الاسلام.

هناك آيات عديدة في القرآن حول المسيحيين، وكانت حسب الظروف السائدة في مكة وفي المدينة آنذاك، وفي الوقت نفسه فهذه الآيات كانت تشكل اسس القاعدة.

وقد قام سعيد النورسي بتفسير هذه الايات حسب شروط وظروف ايامنا الحالية وجعلها قابلة للاستعمال في المستقبل، ويعد قيامه بتطبيق نور القرآن على ظروف حياته انموذجاً ومثالاً. ولكنه فعل هذا – كما قال الدكتور شريف ماردين – باسلوب صعب، ولكنه زينه بامثلة

تصوفية جميلة جداً. لذا فان رسائل النور لاتفتح صدرها لكل قارئ عند قراءته الاولى لها.

والآن يحاول طلبة النور إدامة آثاره وتحقيق غاياته واهدافه. وتأسيس الحوار بين المسيحيين والمسلمين وتنظيم الحياة الدينية بشكل متقابل كان من ضمن اهدافه هذه. فالمسيحيون يرون ان تأسيس الحوار بين هذين الدينين اصبح الآن ضرورة لامفر منها. ونحن المسيحيين نبذل جهوداً كبيرة لفهم المسلمين فهماً جيداً. ان فهم احدنا الآخر سيزيل بلاشك قبل كل شئ المخاوف الموجودة عند الطرفين.

النقاط المشتركة عند كلا الدينين

ان المسيحيين يرون ان الدين الاسلامي دين يجب اخذه مأخذ الجد، وكما تعلمون فان المسلمين يؤمنون باله واحد، وهذا الاله هو اله المسيحيين كذلك. هذا الله اله رحيم وعالم. ولكننا – على خلاف ما يعتقده المسلمون في عقيدتنا حول التثليث – نؤمن باله واحد. ومع ان قسماً كبيراً من المسيحيين لايتبنون هذه العقيدة الاسلامية ككل متكامل الا ان الهنا اله الرحمة واله المحبة.

لاشك ان هناك فرقاً اساسياً، فبينما ننظر نحن الى الانجيل نظرة فيها حيطة، الا ان هذا ليس هو نفس موقف المسلمين من القرآن. فنحن نعلم وقوع تأثير كتاب عديدين في كتابة الانجيل، اذ قام هؤلاء الكتاب باجراء التصحيحات على الانجيل في ازمنة مختلفة. لذا مضطرون الى

فرز ما يرتبط بالزمان في الانجيل وما يرتبط بالأبد فيه، ومع ذلك فان الانجيل باكمله هو كلام الله حسب عقيدتنا.

يقول بديع الزمان سعيد النورسي (مع ان الانجيل تم تغييره من قبل الناس الا ان اسس الايمان فيه حافظ بشكل جزئي على اصالته) لذا فهو يقابل المتدينين المسيحيين باحترام. بل ان اكثر المسيحيين اليوم يعتقدون بنبوة محمد ﷺ، ومع ذلك فان المسيحيين والمسلمين يفترقون بشكل اساسي عند مسألة «بنوة» المسيح وعملية صلبه على الصليب وكونه منقذاً للانسانية. والحقيقة ان المسلمين رغم كونهم يرون ان عيسى يشغل مرتبة رفيعة بين الانبياء، يرى سعيد النورسي ان فكرة إسناد «البنوة» الى عيسى عليه السلام كانت نتيجة من الحب المفرط الذي اسبغه المسيحيون المتدينون على عيسى عليه السلام، وهو بهذا يحترم تدين المسيحيين مع انه يرد بعض اسس ايمانهم لانه يرى فيها افراطاً.

انا لا ارى في هذا ضيراً، اذ لماذا لاتكون هناك اديان عدة تعتقد بالله الواحد الرحيم الذي خلق ارضنا والذي سيحاسب الناس يوم القيامة؟. يقول الله تعالى: ﴿ **انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولاتتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكلٍ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم امةً واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ﴾ (المائدة: ٤٨).

يقول بديع الزمان سعيد النورسي فيما يتعلق بهذا:

(.. لقد ثبت في الحديث الصحيح ان المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين الى اهل القرآن للوقوف معاً تجاه عدوهم المشترك الزندقة، لذا فاهل الايمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة الى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون ايضاً الى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتاً كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً لعدوهم المشترك الملحد المتعدي)(١).

هناك اديان ومذاهب عدة تعيش اليوم جنباً الى جنب، كحقيقة من حقائق عصرنا، وهي ليست نتيجة تطور تاريخي فحسب، بل ايضاً من تجليات ارادة الله سبحانه وتعالى. ونحن بدأنا ندرك هذا حديثاً.

ان التقدم نحو الحوار لايعني اننا سنرى جميع الاديان ديناً واحداً وفي صف واحد، فالاديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام سيبقى كل منهم مستقلاً. مع كون ابراهيم عليه السلام اباً للانسانية، فان الاصل التاريخي المشترك لايتجلى في شخصه، على العكس من ذلك فان الاديان تفترق وابراهيم عليه السلام يحتل لدى المسلمين معنى ومنزلة مختلفة عما لدينا.

طراز نظرة بديع الزمان

ان بديع الزمان سعيد النورسي يدرك هذا الفرق. فمثلاً نراه يبين ان

عيسى عليه السلام لم يقم بادارة دولة ولا بتقديم الخدمات الاجتماعية فهو يقول: (..ولهذا توجد فقط القوانين الدنيوية والحقوق العرفية في المسيحية). وهو لهذا يجد ان المسيحية ناقصة. اما نحن المسيحيين فننظر الى هذه المسألة نظرة مختلفة ومستعدون للتباحث والتذاكر مع المسلمين في هذا الموضوع. ولكن هذه المسألة لاتشكل اليوم المحطة النهائية، فما يجب عمله في هذا الخصوص كخطوة اولى هو قبول وجود كلا الدينين. فالله تعالى وحده هو الذي يقرر الطرق المؤدية اليه. فبعد ان تتقبل الفروق وتتوضح ويتم التعرف عليها من قبل كلا الطرفين يمكن عند ذلك اتخاذ الخطوات اللازمة. ان هذه البنية التاريخية الحرجة تستحق الاهتمام. ومع ان وقع هذا على السمع قد لايكون محبباً الا انه سيكون بنّاءاً جداً. اذ لايمكن فهم مراد الله واوامره وفهم القيم المشتركة وتحقيق سعادة الانسانية الا عن هذا الطريق.

يجب ألاّ يقف المسلمون والمسيحيون من بعضهم البعض وكانهم غرباء، بل عليهم ان يأخذوا على عاتقهم ايفاء وظيفة ومهمة مشتركة، فقد كان هناك شخص واحد استطاع فيما سبق الوصول الى ادراك هذه الوظيفة والشعور بها، وهذا الشخص هو بديع الزمان سعيد النورسي الذي أبان للمسلمين وللمسيحيين طريق العصر القادم.

ففي مؤلفه « ملحق اميرداغ » يقول بان على المبشرين والروحانيين المسيحيين وعلى طلاب النور ان ينتبهوا جيداً وان يؤلفوا بينهما جبهة واحدة ضد الشيوعية وضد الالحاد (٢).

ومع ان سعيد النورسي يقف ضد الغرب المادي وضد الغرب الرأسمالي، فانه يفرق بشكل حاسم بين «الاوروبي» الرأسمالي و«الامريكي» الرأسمالي وبين «الاوروبي» و «الامريكي» المتمسك بالمسيحية من اهل الكتاب وهو عندما ينتقد الغرب يستثني هؤلاء.

لاشك ان الشيوعية أفلست وتشير البوادر الى ان الرأسمالية ايضاً ستنهار ولهذا السبب فان العودة الى منابع هذين الدينين ضرورة قصوى لامفر منها. ويجب بذل كل انواع العون والتأييد لكل المحاولات ولكل الجهود المبذولة في سبيل الدفاع عن حقوق الانسان وحرياته وتأمين هذه الحريات وبذل العون لكل الحركات التي تسعى في سبيل تأمين سعادة الانسان والتي لاتفكر في نفسها فقط (اي لاتكون انانية) والتي ترى ان القيم الاخلاقية ومايخدم الانسانية غير محصورة بين منتسبي دين واحد فقط بل هي موجودة عند منتسبي الاديان الاخرى كذلك.

والمعاني التي تنصب في هذا الاتجاه نراها ايضاً عند بديع الزمان سعيد النورسي.

لقد ادرك هو ما يلي: لاشئ ثابت في هذه الدنيا، بل كل شئ قابل للتغير وللنمو. لذا فعلى الانسان ان ينمي معارفه ويجد طرقاً جديدة كلما تقدم به العمر. بل الامر اكثر من هذا: ان الانسان باعتبار ماهيته خلق بشكل قابل للتغير، ولاسيما للتغير نحو الافضل باذن الله.

وهكذا فان الاديان وكذلك الجماعات الدينية لها الاستعداد للنمو وللتطور، فهناك اليوم مايزيد على المليار من المسلمين، ونفس هذا العدد

من المسيحيين، فلو لم يحصر منتسبو هذين الدينين انظارهم على اسس ديانتهم فقط ولو كثفوا جهودهم لايفاء الوظيفة والمهمة المشتركة التي كلفنا بها الله سبحانه وتعالى وهي الوقوف بجانب العدل وضد الظلم في العالم فاننا نستطيع عمل الكثير لكي يسود الخير هذا العالم.

علينا ان نرمي بالعداوات التاريخية مثلما نرمي بمتاع قديم، وان ندفن اخطاء الامس وسلبياته في مقبرة الماضي ونحول اعيننا الى المستقبل، ذلك لان مشاكل العالم في اتساع دائم وبدأت تأخذ اشكالاً معقدة ولانستطيع حل هذه المشاكل الا معاً.

لقد نشر بعض الزعماء المسيحيين الذين اجتمعوا في الشهور الماضية مع بعض الزعماء المسلمين «بيان القيم الاخلاقية العالمية» وذلك من اجل تأسيس قيم اخلاقية مشتركة. وهذا البيان «Weltethos Erkla-rung» مؤهل ان يحل محل بيان الامم المتحدة لحقوق الانسان ذلك لان بيان الامم المتحدة لم يلق قبولاً حسناً من قبل المسلمين.

واعتباراً من المجمع الكنسي الثاني للفاتيكان وحتى الآن (١٩٩٢) والكنيسة الكاثوليكية في حوار مخلص مع اتباع الديانات الاخرى. كما ان الكنيسة البروتستانتية بحثت طرق الحوار مع المسلمين، وبدلاً من المناظرات النظرية فقد فتحت معابدها وقاعاتها للمسلمين في المانيا ولاسيما لطلبة النور.

ولكن بجانب هذا فانني اود ان اشير بكل أسف الى ناحية، وهي ان المسيحيين لايستطيعون حتى الآن اداء عباداتهم في جوامع

المسلمين. وبينما يستطيع المسلمون بناء الجوامع في كل ارجاء بلدنا فان قيام المسيحيين ببناء الكنائس في البلاد الاسلامية يكاد يكون ممنوعاً. اذ لاتزال المخاوف موجودة لدى المسلمين من ان دخول المسيحيين فيما بينهم سيلحق بهم ضرراً. والحقيقة انه لاتوجد مثل هذه النية لدى المسيحيين على الاطلاق.

كان سعيد النورسي يدرك بان كل دين يستمد قوته من اسسه، فبينما يستمد الاسلام قوته من القرآن استمدت المسيحية قوتها من الانجيل وهذا يعني استمرار قوة من يبقى مرتبطاً بهذا الاساس، لذا فلا موجب للخوف للشخص المخاطب القوي، على العكس من هذا تماماً فان هذا يكون افضل عون لكي يحافظ على اصالته عند التصدي لحل الازمات والمشاكل الحالية.

الحوار الانموذجي في المانيا

هناك مجلات تصدر في المانيا متخصصة في الحوار بين الاديان بشكل عام والحوار بين المسيحية والاسلام بشكل خاص. وبجانب هذا تنشر كتب حول الحوار الاسلامي - المسيحي باسلوب بعيد عن المراء، ونجد في هذه المجلات والكتب شروحاً لاعياد الدينين والعادات والتقاليد المختلفة فيما بينهما، واسس العقيدة الاسلامية والنقاط المشتركة بينهما والنقاط ذات الخلاف، كل ذلك في جو مريح.

وقد يشترك المسلمون في اعداد هذه النشريات، او يقدمون خدماتهم كمستشارين، وانا في فضول وترقب للعهد الذي سيتحقق فيه مثل هذه النشاطات في البلدان الاسلامية.

ومن المفيد بيان انه لدينا – نحن المسيحيين – اخطاء كبيرة، فالحوار بين الاسلام والمسيحية في المانيا اتم عامه الثلاثين، ولكنه مع هذا بقي هذا الحوار محصوراً لدى مجموعة معينة تقريباً، والمؤتمرات والمحاضرات التي تعقدها هيئات مختلفة ويحضرها جمع غفير من المسيحيين بينما نرى نفس الوجوه من المسلمين المشاركين فيها. واذا كان هناك تيار يضفي الحيوية على هذا الحوار فهو الحركة النورية. ذلك لان هذه الجماعة تدير هذا الحوار وتديمه بشكل واضح جداً. وانا لا اقول هذا الكلام لكي ارضيكم، لانني اتتبع هذه المسألة منذ عشرين عاماً خطوة فخطوة.

اذا قمنا بتقييم فكر سعيد النورسي في اطار عام فاننا نستطيع ان نقول:

اننا لانستعمل مكتشفات العلم ونتائج هذه المكتشفات في اماكنها الصحيحة، وانا اعني بقولي هذا عدم استعمال الطاقة الذرية في الامور التي تفيد وتخدم الانسانية، وعدم ازالة المخلفات النووية، ونتائج استخدام الهندسة الوراثية في التدخل الصناعي لوحدات البناء الحيوية في الانسان والحيوان والنبات، وتلوث التربة والغلاف الجوي بالمخلفات المعدنية واتساع الثقوب في طبقة الاوزون.

لقد رأى سعيد النورسي كعالم مسلم يستلهم القرآن آيات الله سبحانه وتعالى وجميل صنعه في الطبيعة وفي الانسان، بل حتى في ذبابة واحدة وفي بذرة واحدة، ولو تسنى لنظرته هذه المستلهمة من القرآن ان تبدي وتظهر تأثيرها في العالم لثابت الانسانية الى رشدها.

ويوجد هناك ايضاً في العالم المسيحي منبهين في هذه الساحة وموقظين، ولكن اللاهوت المسيحي لايزال يجد صعوبة في اتخاذ منفعة ومصالح الناس مقياساً، مع انه موجود في الانجيل ومع كونه يؤمن بالفن الالهي، وانا ارى هنا نقاطاً حيوية ومهمة ومثمرة للحوار. ان العلاقات المسيحية ـ الاسلامية اليوم عميقة وذات مستوى متقدم، ولكنها تعاني في اكثر الاحيان من مفاهيم خاطئة لدى كلا الطرفين. فاذا كان مخاطبنا يتكلم عن «الحرية» و«حقوق المرأة» و«الديمقراطية» او عن «الشورى» و«الدين» و«الدولة» وغيرها من المبادئ الاسلامية فاننا لانستطيع ان نتفاهم حول هذه المواضيع الا بتبادل الاراء والحديث وجهاً لوجه.

بجانب هذا فاننا نملك كثيراً من القيم المشتركة التي تقربنا من بعض: التدين، الاستقامة، حقوق الجار، التساند المتقابل، مساعدة المحتاجين، رعاية الفقراء والمرضى، علاقات الترابط والاحترام والحب المتبادل بين افراد العائلة ، حسن الضيافة... الخ.

يذكر سعيد النورسي في كتابه «ملحق قصطموني» بانه تألم جداً لما اصاب الاطفال والنساء من مصائب وآلام وقتل من قبل الاعداء في

الحرب العالمية الاولى وذلك لما فطر عليه من شعور الرحمة والشفقة، ثم راى ببصيرته المعنوية ان هؤلاء الاطفال وهؤلاء الناس الذين قُتلوا يدخلون الجنة برحمة من الله تعالى، حتى وان كان هؤلاء الاطفال الابرياء من الكفار، لان رحمة الله سبحانه وتعالى ستشملهم ثم يقول:

(... وحتى لو كان هؤلاء المظلومين من الكفار فان مكافئات ستهدى اليهم من خزينة الرحمة الالهية يوم القيامة مقابل تلك الآفة الدنيوية التي تجرعوا الامها وانا اعلم بانه لو رفعت استار الغيب لراى هؤلاء المظلومون الرحمة الواسعة المخصصة لهم وللهجوا بالحمد: يارب لك الشكر ولك الحمد).

للرحمة موضع مهم في ديننا، والرحمة تشغل حيزاً كبيراً ومهما في مؤلفات سعيد النورسي، وهذا الموضوع يدفعنا ويجبرنا للحوار ، وفي يوم الكاثوليك الالمان قال رجل الدين المسيحي الكاردينال «آرنيز» عن هذا اليوم «ليكن عام ٩١ عام الحوار للمعونة الانسانية او للمعونة الاجتماعية» ولاشك ان هذه التسمية تتماشى مع رغبة سعيد النورسي وتتوازى معها.

اجل! فنحن مضطرون الى مد يد المعونة والحل لكل من يعاني من الحرب او الجوع في اي موضع في هذا العالم دون ان ننظر الى دين او لون هؤلاء الناس.

يجب الا تقتصر القيم المشتركة بين المسيحيين وبين المسلمين على ساحة المساعدات الاجتماعية، بل يجب ان تتجاوزها كثيراً. ذلك لاننا

– لكوننا من اهل الكتاب – نؤمن بالله واحد ونعبد الهاً واحداً. ومع ذلك فهناك حاجة ملحة لكي يبرز الدين الحقيقي المستند الى الوحي وتبرز الاسس الاخلاقية الى ميدان الحياة. وقد ادرك سعيد النورسي هذه الحقيقة واشار الى ضرورة هذا في كليات رسائل النور.

نظرة بديع الزمان الى المانيا وطلبة النور

هناك علاقة خاصة لسعيد النورسي مع بلدي المانيا. ففي سنة ١٩١٨ عندما هرب من الاسر الروسي مر من اراضي بولنده التي كانت محتلة من قبل المانيا، ثم انتقل منها الى «برلين»، واستقبل هناك كضابط واسير حرب، وبقي هناك مدة شهرين حيث استطاع التعرف على المناخ الفكري هناك بالمقابلات واللقاءات التي اجراها مع المثقفين. وقال آنذاك: «لقد كان الاتراك اصدقاء مع الالمان وكان الالمان اصدقاء مع الاتراك طوال التاريخ» وقد اهتم الاتراك بالحفاظ على هذه الصداقة اكثر من الالمان (٤).

وبعد ٣٦ سنة ارسل تلميذه محسن علوي سنة ١٩٥٤ الى برلين. وقبل هذا كان قد اهدى الى امام جامع برلين كتابه «ذو الفقار»، وبدأ محسن علوي بخدمة وبنشاط كبيرين، وبعد ان تشكلت في برلين جماعة بمرور الزمن نجحت هذه الجماعة في تأسيس مطبعة، حيث قاموا بطبع المصحف التوافقي (*) هنا عندما لم يجدوا امكانية طبعها في

(*) اي ظهور توافقات لطيفة في الصفحة الواحدة من المصحف في لفظ الجلالة «الله» و«الرب». – المترجم.

تركيا. وانا اجد نفسي محظوظة جداً لكوني املك نسخة من هذا المصحف. ثم طبع طلبة النور كتبا مختلفة من مجموعة رسائل النور في برلين باللغة التركية وارسلوها الى تركيا.

لقد قامت جماعة النور في المانيا منذ سنوات وفي تركيا كذلك بايفاء خدمات جليلة جداً كان بديع الزمان سعيد النورسي يتمناها، ذلك لان بديع الزمان كان يعد المانيا محطة وقاعدة ينطلق منها لتحويل اوروبا الى الاسلام.

ان المطبعة الموجودة في برلين وجماعة النور الموجودة في «كولن» تمارسان فعالياتهما بكل حرية ودون اية عوائق في ضوء الحقوق التي اعطاها لهما القانون الألماني. وهذه الحقوق تعطى للجميع بصرف النظر عن المعتقدات التي ينتسب لها، وتعطى حتى للملحدين مع ان البعض قد لايعجبهم هذا. ومع اننا نخوض نضالاً فكرياً الا اننا لانستطيع ان نقلص او نحد من الحقوق الانسانية للملحدين. ويجب ان نبذل جهدنا كمسيحيين وكمسلمين لكي نعيش ديننا بشكل مثالي لكي نجذب هؤلاء الملحدين الى الايمان.

ان المانيا اليوم مسرح لسلسلة من الاضطرابات وليس في الامكان التنبؤ بالنتائج التي ستتمخض عنها، فالولايات الفدرالية الجديدة التي كانت تشكل سابقاً المانيا الشرقية لم تستطع بعد القضاء على البذور التي بذرتها الشيوعية، ومن الخطأ الفاضح الاعتقاد باختفاء المبادئ الالحادية بعد ان عاشت خمسين سنة وذلك بمجرد انهيار النظم الشيوعية. وهنا تقع على كاهل المسيحيين مهمات ووظائف كبيرة مثلما

تقع على عاتق المسلمين مهمات كبيرة في الدول التي ظهرت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي مثل اوزبكستان، وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجاكستان.

* *

ارسلت جماعة النور في «كولن» بمناسبة عيد الفصح رسالة تهنئة الى البابا تستحق الاعجاب. في هذه الرسالة كان يتم التعبير عن الدور الكبير للبابا المنحدر من اصل بولندي في خلاص الكتلة الشرقية من الشيوعية، وكمثال على النضال المشترك ضد الشيوعية كانت الرسالة تشير الى قيام المسلمين باخراج الروس من افغانستان، وكانت الرسالة تستمر وتقول: (نحن نعي جيداً بان مهمتنا لم تنته بعد كل هذه الاحداث. فكما ذكر سيادتكم فان الانسانية بحاجة الى الايمان والى نظام عالمي جديد).

لقد سطرت رسالة التهنئة هذه لعيد الفصح بنفس نظام تفكير سعيد النورسي. والدليل على هذا هو ان سعيد النورسي ارسل سنة ١٩٥١ الى البابا نسخة جميلة جداً من احدى كتبه المخطوطة.

لقد ادركت الكنيسة البروتستانتية والكنيسة الكاثوليكية منذ زمان مدى الاهمية القصوى للحوار بين الاسلام والمسيحية لمستقبل عالمنا.

وقد اشتركت في المانيا وبشكل فعال ولسنوات عديدة في اجتماعات الحوار. ففي يوم البروتستانت الالمان من كل عام يشترك عدد من المسلمين الذين يجيدون اللغة الالمانية ويقيمون علاقات وثيقة

جـداً مع الالمانيين، ولـكنني لاحظت ان عـددهم قليـل. ولكن بجـانب هذا فانه لكي يـستمـر الحوار فهناك حـاجة الى طاقـة جديدة والى فكر جديد والى قاعدة عريضة.

ولكوننا من اهل الكتـاب فلا تـوجد هناك حـاجة لكي يحـرص كل طرف على جـذب الطرف الآخـر الى دينه، امـــا ادخالـه بالقـوة فغيـر مقبول قطعاً، ذلك لانـــه ﴿ **لا اكراه في الدين** ﴾(البقرة: ٢٥٥) وبدلاً من ذلك علينا ان نعيش كما امرنـا ديننا وان نكون اسوة حسنة وحـية. وبدلاً من سرد وعـرض الفروق الموجـودة بين اديانـنا، علينا ان نصل الى وحدة فكرية حول المسائل المشتركة بينهما.

كيف ينظر بديع الزمان الى المسيحية؟

اود هنا ان الخص نظرة بديع الزمـان سعـيد النورسي التـفصيلـية الى منتسـبي الاديان الاخرى ولاسيمـا الجزء المتعـلق بالمسيحـيين في ثلاث نقاط رئيسة:

النقطة الاولى:

يسـود الاعتـقاد لدى بديع الزمـان بان القـسم الاكبـر من الانسانيـة سوف يتـقبل الدين الاسلامي. ويـرى بان الجهد اللازم لتـحويل اوروپا الى الاسـلام يجب ان ينطلق مـن المانيـا. وهـو يتناول هذه المسـألة في رسالـته المشهـورة «اشارات الاعـجاز» وفي مـواضع مختـلفة ايضـاً من رسائل النور.

(ان في «القرآن الكريم» اشارةً الى تشويق اهل الكتاب على الايمان وتأنيسهم، والتسهيل عليهم. كأنه يقول: «لايشقنّ عليكم الدخول في هذا السلك، اذ لاتخرجون عن قشركم بالمرة بل انما تكملون معتقداتكم، وتبنون على ماهو مؤسس لديكم» اذ القرآن معدِّلٌ ومكمِّلٌ في الاصول والعقائد، وجامع لجميع محاسن الكتب السابقة واصول الشرائع السالفة. إلا انه مؤسِّس في التفرعات التي تتحول بتأثير تغير الزمان والمكان؛ فكما تتحول الادوية والالبسة في الفصول الاربعة، وطرز التربية والتعليم في طبقات عمر الشخص؛ كذلك تقتضي الحكمة والمصلحة تبدل الاحكام الفرعية في مراتب عمر نوع البشر. فكم من حكم فرعي كان مصلحة في زمان، ودواء في وقت طفولية النوع، لايبقى مصلحة في آخر، ودواء عند شبابية النوع. ولهذا السر نَسخَ القرآن بعض الفروع. اي بيّن انقضاء اوقات تلك الفروع ودخول وقت آخر)(٥).

ان بديع الزمان يعترف بالحقائق الدينية للانجيل ولكنه يرى ان هذه الحقائق تتكامل في القرآن وانه لم تعد هناك حاجة للمسيحية – التي هي دين مستقل – بعد مجئ الرسول محمد ﷺ وانه لايوجد اي شئ يمكن تقديمه للمسلمين خارج ما هو موجود الآن في القرآن. واذا قمنا نحن المسيحيين بتقييم آخر لهذا فمعنى هذا اننا لم ندرك هذه الحقيقة القرآنية حق الادراك. وقد اوضح بديع الزمان هذه المسألة ايضاحاً براقاً، ويعد هذا من اهم غاياته الرئيسة، ومن الطبيعي ان هذا الفهم وهذا التفكير بقي ملازماً له بشكل لايمكن الاستغناء عنه.

النقطة الثانية:

لقد كان تأسيس دولة براغماتية (*) من بين اهداف سعيد النورسي، وذلك بالنسبة لوضع العناصر غير المسلمة في الدول الاسلامية. وهكذا فعلى ضوء سياسة الدولة فان غير المسلمين سيكون لهم نفس حقوق المسلمين في البلدان الاسلامية ويعاملون على هذا الاساس لكي تعامل الدول غير المسلمة المسلمين على نفس الاساس.

وقد شرح «صفاء مرسل» هذه المسألة في كتابه «بديع الزمان وفلسفة الدولة» وذلك استناداً الى كتاب الاستاذ النورسي «المناظرات» كمصدر له. وفي سنة ١٩١١ وفي عهد المشروطية قبل بديع الزمان اعطاء الحرية للارمن على اساس ان ذلك «موافق للاسلام»:

(افرضوا ان حريتهم ستكون سيئة كما تتوقعون، ولكن لايمكننا ان نوجه اي ضرر لاهل الاسلام)(٦).

وهذا الامر ينطبق على المسيحيين، فاذا لم يقم المسلمون بابداء بالاضرار بالدين المسيحي وبثقافته واذا لم يخلوا بالدستور فانهم يملكون نفس الحقوق التي اعطاها سعيد النورسي للمسيحيين في الدولة الاسلامية، فاذا لم يعترف غير المسلمين بقوانين الدولة او قاموا بنشاطات تبشيرية ظهرت عند ذلك المشاكل.

ويبين بديع الزمان سعيد النورسي ايضاً في كتابه «المناظرات» بانه من الممكن للمسلمين ان يكونوا اصدقاء لليهود وللمسيحيين. اذ يمكن عقد صداقات في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية رغم

(*) الفلسفة البراغماتية: او «الذرائعية» فلسفة ظهرت في الولايات المتحدة تقول ان صحة اية نظرة او فلسفة تظهر في نتائجها الواقعية. المترجم.

الفروق الدينية. فاذا كان طلبة النور يرون في أستاذهم رائداً في الحوار بين المسيحية والاسلام في هذا العصر فان المسيحيين يتقبلون هذا ويوافقون عليه.

وهكذا يستطيع المسيحيون والمسلمون ان يتفاهموا فيما بينهم على اساس من الحقوق الدولية. اي تكون الاختلافات الدينية مقبولة بحيث لاتؤثر تأثيراً سلبياً على امكانية التعايش معاً. ولاشك ان قيام اقلية بالتدخل في ادارة الدولة وفي دستورها من الناحية الدينية امر خارج عن هذا الموضوع.

ان هذه النظرة تعبر عن تقليد اسلامي طالما تكرر في التاريخ ووجد لها مجالاً للتطبيق. لقد عد بديع الزمان هذه النظرة مبدأ مهماً جداً لتأمين التعايش المشترك في زماننا هذا. وهذه النظرة ليست الا عبارة عن نظرة مرنة في التعايش معاً.

النقطة الثالثة:

احد الشروط الاساسية في الحوار المسيحي الاسلامي – ان نظرنا من زاوية رسائل النور – هي وجود نقاط مشتركة بين الدينين. وهذه النقاط المشتركة هي التي تعطي للمسيحية وللاسلام امكانية العمل المشترك ضد الالحاد وضد المادية وضد الشيوعية... الخ في جميع انحاء العالم. ويشير بديع الزمان سعيد النورسي للاية رقم ٤٨ في سورة الانعام كدليل على دعواه هذه. ان تنافس الاديان السماوية في اعمال الخير، ولاسيما نضالهم المشترك ضد الالحاد سيؤدي الى الاتحاد

الذي سيأتي اولاً قبل ظهور الامة الواحدة. والقرار في حق هؤلاء لايصدره الناس بل سيصدره الله سبحانه وتعالى. فمن اجل غاية عامة وهي السعي في سبيل الله وعمل الخير من اجله يجب الا نبخل باية تضحية او باي جهد. وليس لهذا الا معنى واحد وهو قيام الاديان بالتساند والتعاون المشترك والمتقابل عند العمل في سبيل الله تعالى وعند تقديم الخدمات في الخير في سبيله. ولو كنا نحن مسلمين لاستندنا في عملنا هذا الى الآية رقم ٤٨ في سورة الانعام مثلما فعل بديع الزمان سعيد النورسي.

لقد رأى في المسيحيين الحقيقيين وفي المانيا (التي لعبت التقاليد المسيحية دوراً كبيراً في تشكيل سماتها) صديقاً وحليف دعوى في نضاله ضد جميع اعدائه في العالم. ان العمل المشترك في سبيل الله تعالى لم يكن عنده مجرد ابداء مرونة في زماننا الحالي بل بقي كرغبة قلبية كانت اهم عنده حتى من تحويل المسيحيين الى الاسلام. وكل شئ خارج هذه المهمة وهذه الوظيفة يعد اقل اهمية من زاوية هذا الحوار.

وختاماً اريد الاشارة الى ان الخلافات بين الاديان ربما ستستمر حتى يوم القيامة.

ان بديع الزمان – الذي ينطلق من هذا الاساس الواسع – يرى ان اهم هدف من الحوار المسيحي – الاسلامي هو اكتشاف النقاط المشتركة لكلا الدينين والنظر الى الانجيل كقوة مهيأة وموجودة بجانب القرآن عند النضال ضد الالحاد. وعندما يتم ايفاء هذه الخدمات يجب

الا يقـول اي دين (انني فقط أمـثل الحق) والا يسلك هذا السبـيل. ان عمليـة الاشتراك هذه اهـم بكثـير من المرونة المتـقابلة التي ذكرناها سـابقاً واسمى منـهـا. لذا فاننا نحـن المسيحـيين نفتح كنائسنا عن طيـب خاطر لكي يؤدي المسلمون فيها عباداتهـم. فاذا كان تصرفنا هذا يعطي زخماً وقـوة لنضـالنا المشـتـرك ضد الالحـاد فلمـاذا لانؤدي العـبـادات بشكل مشترك؟

واذا تناولنا الاساس الذي عبر عنه بديع الزمان في كتابه «اللمعات» حيث قـال: «ان المتدينين الحقيـقيين للنصارى سيتفقـون مع اهل القرآن في آخـر الزمان...» اذا تناولنا هذا الاسـاس كلمة كلمـة فانني اسـتطيع القـول بانه مـا كـان ليكتـفي بتـأييـد هذا الحـوار بل كـان يشـتـرك فـيـه شخصياً.

ماهي اهم مسألة في الحوار المسيحي - الاسلامي؟

لقد اظهـر بديع الزمان كيف انه استـاذ حقيقي في هذا الامـر ايضاً. يمكن جمع هذه المسألة في ثلاث نقاط:

١- قـبل كل شئ يجب العـمل في سبـيل الله تعـالى بقيـمنا الدينيـة المشتركة.

٢- اعلاء اسم الله سبحانه وتعالى.

٣- العمل على زيادة الاشخاص الذين يذكرون اسم الله.

* * *

الهوامش

1. Bediüzzaman Said Nursî. Lem'alar, s. 144.
2. Bediüzzaman Said Nursî. Emirdağ Lâhikası, II:156.
3. Bediüzzaman Said Nursî. Kastamonu Lâhikası, s. 45.
4. Necmeddin Şahiner. Bilinmeyen Taraflarıyla Bediüzzaman Said Nursî. s.163.
5. Bediüzzaman Said Nursî. İşârâtü'l-İcâz, s. 59.
6. Bediüzzaman Said Nursî. Münazarat, s. 19.

البروفسور الدكتور

ابراهيم جانان

(جامعة اتاتورك)

ولد في مدينة «قونية» عـام ١٩٤٠، اتم دراسته الاولية في بلدته، تخرج عـام ١٩٥٨ من ثانوية قونية. عـمل معلمـاً في المدارس المتوسطة في مـدينة «قـيـصـري» (١٩٦٢ – ١٩٦٤) وفي «اسكي شـهـر» (١٩٦٦ – ١٩٦٧). في سنة ١٩٧٢ بدأ بوظيفته كعضو في التعليم في «كلية العـلوم الاسلاميـة» في جامعـة «اتاتورك»، واستـمر بوظيفـته هذه في «كلية الالهـيات» التي تأسست في الجامـعة نفسهـا. بدأ بنشر مقالاته في مـجلات كليته ثم في مـجلات: «ديانت / حق سس[١] / اسلام / اسلام مدنيتي[٢] / ظفر / سور / إجمال / قادن وعائلة[٣] / آلتن اولوك[٤]. وفي سنة ١٩٧٩ فاز كـتابه «تربية الاطفـال في الاسرة وفي المدرسة حسب نظرة رسـول الله ﷺ» بجائزة اوقاف الثقـافة الملية التركية.

كتبه:

الدين مـن زاوية المؤرخ (ترجـمـة عـن ارنولد تويـنبي ١٩٧٨) / مـرشد الحلقـات الدراسيـة والاطروحات ١٩٧٩./ تربيـة الاطفـال في

الاسرة والمدرسة حسب نظرة رسول الله ﷺ./ النزل في جامعة اتاتورك ومحاسبة مرض التقليد عندنا./ حقوق الاطفال في الاسلام ١٩٨٠./ اسس التربية الرئيسة في الاسلام ١٩٨٠./ خط الصلح ١٩٨٠./ الهجرة من زاوية التبليغ والتربية والتكتيك السياسي ١٩٨١./ التربية في السنة النبوية ١٩٨٠./ اصول الحديث الجديدة (ترجمة عن ظفر احمد العثماني) ١٩٨٢./ الفتنة والفوضى حسب القرآن والحديث ١٩٨١./ الطفل في القرآن ١٩٨٤./ المدنية والثقافة والتقنية في احاديث نبينا ١٩٨٤./ احكام الصغار (ترجمة عن اوسطروشني) ١٩٨٤./ حملة القراءة والكُتابة وسياسة التعليم عند نبينا ١٩٨٥./ الزمن وتنظيمه في الاسلام ١٩٨٥./ الاسلام وسلامة البيئة./ شرح مختصر الكتب الستة ١٩٨٨.

---

(١) اي صوت الحق. (٢) اي مدنية الاسلام. (٣) اي المرأة والعائلة. (٤) اي النبع الذهبي. المترجم.

القضايا الاساسية للعالم الاسلامي
وطرق حلها
في نظر بديع الزمان

«ما السبيل الى حل الخلاف في العالم الاسلامي؟» يجيب بديع الزمان على هذا السؤال: «يجب اولاً النظر الى المقاصد السامية التي يُجمع عليها، ذلك لان الهنا واحد ورسولنا واحد وقرآننا واحد ونحن متفقون على الضروريات الدينية.

ساقوم بتقديم ثلاث مسائل اساسية كانت خلاصة نضال بديع الزمان في حياته التي دامت ما يقارب قرناً. ولكي يتوضح الموضوع اكثر فسآشير اولاً الى بعض النقاط:

النقطة الاولى:

التكامل الفكري لبديع الزمان

بديع الزمان شخص قضى عمراً مديداً قارب قرناً واحداً. وهذا القرن لم يكن مهماً فقط بالنسبة للتاريخ التركي، كان عهداً جرى فيه اكبر الانقلابات في التاريخ الانساني كذلك. فما اكثر من بدل افكاره كما تبدل الحية جلدها، بينما يسترعي الانتباه عند بديع الزمان (هو انك لاتستطيع ان تجد فرقاً بينما قاله او كتبه في اول عهده وبين ما قاله وكتبه في اواخر حياته).

لقد بلغ نضوجه العلمي والفكري في وقت مبكر جداً، حتى ان احد اساتذته في بتليس وهو الشيخ امين حاول ان يلبس سعيد «الكسوة العلمية»(١) وهو صبي لم يبلغ بعد، وهذا يدل على ان بديع الزمان كان شخصاً استثنائياً استرعى اليه جميع الانظار.

لقد تطرقت لهذا لكي ابين ما يلي: لقد قام بديع الزمان منذ بداية عمله بتنظيم افكاره (التي سيجاهد في سبيلها طوال حياته) ضمن برنامج ومنهاج Program معين. ومسألة «الاعداء الثلاثة» التي سنتناولها تعد مركز وقلب هذا البرنامج الذي وضعه لنفسه. ولكي تتوضح مكانة «الاعداء الثلاثة» في نظام تفكيره فان من المفيد تقديم ملخص للبرنامج المذكور.

النقطة الثانية :

برنامج افكار بديع الزمان واسس دعوته

لخص بديع الزمان افكاره في تسع مواد في المقالة التي نشرها عام ١٩٠٩ في « الجريدة الدينية » تحت عنوان « ثمرة الجبل وان كانت مرة الا انها دواء » . والعنوان الفرعي الذي وضعه لمقالته هذه تبين انه ادرج بشكل واعٍ اهدافاً معينة في برنامج نضاله، لذا فهو يستحق الذكر والعنوان الفرعي هو « فهرست لمقاصد بديع الزمان وبرنامج افكاره » .

نستطيع تلخيص هذه المواد التسعة كما يلي :

المادة الاولى : تأمين اليقظة التي تدفع العالم الاسلامي الى الرقي .

المادة الثانية : ازالة الخلاف بين المراكز التي تؤمن المعارف الاسلامية . وهذه المراكز هي : المدارس الدينية، المدارس الحكومية، التكايا .

المادة الثالثة : تأسيس الحرية العلمية في الاوساط العلمية .

المادة الرابعة : تأسيس شعب اختصاص في المدارس الدينية .

المادة الخامسة : الاهتمام بتنشأة الخطباء والوعاظ الذين يعدون مرشدين عامين .

المادة السادسة : ايقاظ الاتجاه نحو الرقي لدى العثمانيين. وهنا يرد موضوع الاعداء الثلاثة الذي يشكل موضوعنا الاصلي .

المادة السابعة : اصلاح مقام الخلافة .

المادة الثامنة : لكي لاترجع الدولة العثمانية الى عهود امراء

الولايات(أ) فيجب نشر وتقوية الوحدة المحمدية بين الجماهير المسلمة(٢).

المادة التاسعة: الاستفادة من القوة الكبيرة التي يملكها الاكراد والتي ضاعت نتيجة الخلاف الكردي وذلك بتأمين الوحدة الملية.

ويجب الا ننسى ان بديع الزمان الذي حضر الى اسطنبول عام ١٩٠٧ كان قد طور افكاره هذه قبل هذا بكثير، وقد سعى قبل مجيئه الى اسطنبول بسنوات عدة الى تحقيق بعض هذه الافكار بين العشائر. بل انه حضر الى اسطنبول بقصد تحقيق افكاره هذه (٣).

لقد قام بديع الزمان بتلخيص افكاره في هذه النقاط التسعة «لكي يظهر انه يتبع مسلكاً (طريقة عمل) معيناً (٤)» و «لكونها تشكل حقائق» ثم لكي يري بشكل جيد اسس دعوته الحقة، لذا فانه يرى «ضرورة اعادة النظر فيها بشكل متكرر» وهذا ما دعاه الى تناولها في جميع كتبه ونشرياته بشكل متكرر (٥).

النقطة الثالثة:

مقارنة

لكي نفهم مدى شمولية مسألة «الاعداء الثلاثة» التي نحن بصددها الآن ولكي ندرك الدور الذي يلعبه بديع الزمان في العالم الاسلامي، فاننا نود اجراء مقارنة بينه وبين كلفن (ب) (١٥٠٩ — ١٥٦٤) الذي اجرى في حياة الغرب عملية جراحية كبيرة. فكما يعلم

الجميع فقد اجرى كلفن عملية تغيير وتجديد كبيرين في العالم المسيحي، وحسب الايضاحات التي لم يردها احد والعائدة لعالم الاجتماع الالماني «ماكس ويبر» فان التكنولوجيا الغربية التي تمتلكها الرأسمالية مدينة في وجودها الى كلفن. ذلك لانه اعطى الغرب ثلاثة افكار اساسية، واكتساب هذه الافكار الحياة هو الذي ادى الى نشوء واتساع وتقدم العلم والصناعة والتكنولوجيا في الغرب. وشرح هذه الافكار الثلاثة الرئيسية قد يطول ولكنها باختصار هي: العلم والعمل والزهد. وقد دلت ابحاث «ويبر» ان التقدم العلمي والتقني بدأ في الاوساط البروتستانتية السالكة مذهب كلفن وذلك في جميع بلدان الغرب.

الاعداء الثلاثة:

ان اعداء بديع الزمان الثلاثة هي: الجهل والفقر والفرقة.

وقد ذكر «سعيد القديم»(**) هذه الاعداء الثلاثة في جميع مقالاته وكتاباته، وعبّر عن افكاره هذه باساليب مختلفة اذ يقول مرة: (ان كل مؤمن مكلف باعلاء كلمة الله، والوسيلة الكبرى لهذا في هذا الزمن هو التقدم المادي. ذلك لان الاجانب يسحقوننا تحت سيطرتهم واستبدادهم المعنوي بوساطة اسلحة العلوم والصناعات، وسنجاهد نحن باسلحة العلم والصناعة ضد الجهل والبؤس والفرقة التي هي اعدى اعداء اعلاء كلمة الله)(٦).

وفي مقالة اخرى يقول:

(ان اعداءنا هي الجهل والبؤس والفرقة، وسنجاهد ضد هذه الاعداء باسلحة الصناعة والمعرفة والاتفاق)(٧).

وعندما كان بديع الزمان يكرر هذه المسألة كان يضع احياناً كلمة «العلم» او «العلوم الوضعية» محل «المعرفة» ويضع كلمة «الفقر» و«الحاجة» محل كلمة «البؤس». او يستعمل كلمة «الاتفاق» محل «الاخوة» او يستعمل كلمة «النفاق» او «الفوضى» او «العداوة» او «الخصومة» او «العداء» محل كلمة «الاختلاف» او يستعمل كلمة «السعي» محل «العلم والفن».

عندما استعرضنا اعلاه قبل قليل المواد التسعة التي تشكل فهرساً لمنهج افكاره ومقاصده قلنا ان المادة السادسة تناولت مسألة الاعداء الثلاثة. ولكي نفهم بشكل شامل الهدف الذي كان يسعى اليه بديع الزمان من نضاله ضد هذه الاعداء الثلاثة فان علينا ان نتفحص تلك المادة كما هي، يقول:

المادة السادسة

السعي من اجل تنشيط اتجاه الدولة العثمانية نحو الرقي، إذ لما كان مبعث حياة هذه الدولة ودينها هو الدين الاسلامي فان كل عثماني مكلف باعلاء الشوكة الاسلامية، وكل مؤمن عليه واجب اعلاء كلمة الله، ان الرقي المادي في هذا الزمن اكبر عامل في هذا الاعلاء، ولما كان

الجهل والبؤس والخلاف افظع عدو لهذا الرقي، فاننا سنجاهد ضد هذا العـدو بسيف المعرفة وبالسعي الانساني وبالاتحاد وبالاتحاد باسم الدين.

اما بالنسبة للاعداء الخارجيين فهم لكونهم مدنيين لذا يجب ان ننتصر عليهم فكرياً، وسنحيل ذلك الى براهين الشريعة)(٨).

الجهل هو رأس الشرور، اذ مع ان بديع الزمان يحول الانظار الى هذه الاعداء الثلاثة على الدوام، الا انه في بعض شروحه يعدها كلها نابعة من الجهل:

(ثم ان الجهل هو عدونا ويسعى لابادتنا، وهو ابن الآغا «السيد» اما البؤس فهو ابنه والخصومة حفيده)

(اذا كان الارمن قد اعلنوا عداوتهم لنا، فانهم فعلوا ذلك تحت إمرة هؤلاء المفسدين الثلاثة)(٩).

واذا اخذنا العبارات التالية لبديع الزمان بنظر الاعتبار تبين لنا ان جميع المفاسد الاجتماعية تنبع من هذه الاعداء الثلاثة وبالتالي من الجهل:

(ثم ان اعداءنا ليسوا هم «اي الاجانب» بل ان عدونا هو الجهل وماتولد منه من منع اعلاء كلمة الله ومانتج عنه من مخالفة الشريعة. ثم البؤس وثمرته سوء الاخلاق وسوء التصرفات، والخلاف ومايتولد عنه من الحقد والنفاق . وغاية اتحادنا هي الهجوم على هذه الاعداء الخالين من الانصاف)(١٠).

وبديع الزمان الذي يرى الجهل اساس كل سوء، يرى ان الخلاص يكون بالعلم، فهو يقول:

(كنت ارى الاحوال البائسة للعشائر في الولايات الشرقية، فادركت ان جزءاً من سعادتنا الدنيوية سيتحقق بالعلوم الجديدة للمدنية)(١١).

وهناك عامل آخر او قناعة اخرى ساقت بديع الزمان لاعطاء كل هذه الاهمية للعلم، وتعد هذه نظرة جديدة تماماً من زاوية معاصريه آنذاك، إذ من الصعب ان نجد رجل علم في اوائل هذا العصر يملك كل هذه البصيرة النفاذة حول مستقبل العلم. فهو يقول:

(ان البشرية في اواخر ايامها على الارض ستنساب الى العلوم، وتنصب الى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة)(١٢).

وكذلك فان (الحكومات التي تستند الى القوة ستشيخ – مثلها في ذلك مثل قوتها – بسرعة، ولكن لما كان شأن العلم ومجده في تزايد مستمر، فان الحكومات التي تستند الى العلم ستكتب لها حياة ابدية)(١٣). وهو بذلك يشير الى وجوب استناد دولتنا الى العلم.

حل مسألة الجهل

لقد رأى ان ازالة الجهل (الذي عده السبب الاصلي لكل انواع سوء الخلق والتأخر والهزائم امام الاعداء الخارجين) تتم بنشر المدارس

الدينية، غير انه لم يكن راضياً عن هذه المدارس لا من حيث عددها ولا من حيث كفائتها ومستواها. اجل كان من الضروري زيادة عددها، ولكن قبل هذا يجب اصلاحها، بل عمل انقلاب وثورة فيها، فهذه المدارس لم تكن تستطيع تنشئة رجال يستطيعون مجابهة ومواجهة احتياجات العصر وذلك لوجود ثلاثة نواقص فيها (١٤).

هذه النواقص هي: النظام.. والرقي.. والتخرج.

ويقصد بالنظام النواقص المهمة في بنيتها الداخلية.

فالمدارس الدينية كانت تُخرّج نمطاً واحداً من الانسان، اذ لم تكن تملك شعباً متخصصة، بينما يتمنى ان تكون لهذه المدارس شعباً متخصصة مثلها في ذلك مثل دار الفنون (اي الجامعة)، اي تنقسم الى شعب مترابطة فيما بينها. يقول: (يجب ان يطبق هنا تقسيم الاعمال بتمامها)(١٥). واذا تناولنا بياناته الاخرى نرى انه كان يرغب ان تُنظم هذه المدارس من جديد فيوضع لها اولا قسم فيه دروس اساسية ثم ينقسم الى اقسام متخصصة اي تكون جامعة لها كلياتها المختلفة.

ويقصد بالرقي الرقي العلمي، وهو يرى ان لهذا النقص اسباب عديدة:

١ ــ احتلت دروس الآلة محل الدروس الاصلية. ويقصد من دروس الآلة اللغة ومايتعلق بها من علوم. فالطلاب لم يكونوا يستطيعون تجاوز هذه العلوم ويقضون اعمارهم في فك رموز العبارات.

٢- كانت البرامج الرسمية لهذه المدارس الدينية حافلة بالكتب التي تتناول المسائل نفسها ولم يكن بمقدور الطلاب ان يتجاوزوا هذه الكتب التي كانت تستغرق اعمارهم . فالمتون الاصلية وشروح هذه المتون وهوامش هذه الشروح، واحياناً هوامش الهوامش.. الخ. كانت سجناً لافكار الطلاب وهدراً لاوقاتهم، وما كانت تسمح لهم بالخروج عن قبضتها.

٣- لعدم وجود الاختصاصات لم يكن امام الطلاب اية فرصة للابداع حسب ميولهم الفطرية، وحسب تعبيره فان الميل عند الجميع كان نحو البروز وحب السيطرة والنزوع الى التحكم، ولم يكن هناك من يهتم بتطوير نفسه علمياً، لذا «فقد سارت هذه المدارس الدينية نحو الاندثار»(١٧).

وعامل آخر كان يعرقل الرقي العلمي وهو عدم وجود العلوم الوضعية في هذه المدارس الدينية. ويقترح بديع الزمان ادخال هذه العلوم الوضعية (او العلوم المدنية بتعبيره) الى هذه المدارس. وان عدم وجود هذه العلوم يؤدي الى تعصب الطلاب . وكما سنذكر فيما بعد فان بديع الزمان عندما كان يقترح ادخال العلوم الوضعية الى المدارس الدينية كان يقترح في الوقت نفسه ادخال الدروس الدينية الى المدلرس الاعتيادية. فعدم وجود العلوم الوضعية في المدارس الدينية كان يقود طلاب هذه المدارس الى التعصب وعدم وجود الدروس الدينية في المدارس الاعتيادية كان يقود الطلاب الى الشك والى الاحتيال.

مسألة التخرج

وتتعلق بساحة عمل خريجي هذه المدارس الدينية. لقد ادت النواقص الموجودة في المدارس الدينية الى عدم توجه الطلاب الاذكياء واصحاب الكفاءات الى هذه المدارس «فالاذكياء ذهبوا الى المدارس الاعتيادية، والاغنياء استنكفوا من طراز عيش المدارس الدينية»(١٩). يقول بديع الزمان هذا منبهاً الى الآثار السلبية التي يلعبه موضوع التخرج على هذه المدارس الدينية. وعندما كان يعدد الشروط والامور التي يجب توفرها في «مدرسة الزهراء» – التي كانت المثل الاعلى للمدارس الدينية عنده – والتي بذل جهوده لتأسيسها طوال ٥٥ عاماً، نراه يقول بان الملتحقين بها يجب ان يعاملوا على قدم المساواة مع طلاب الدراسات العليا الملتحقين بالمؤسسات التعليمية الاخرى ويجب انْ تُعد امتحاناتهم على نفس الدرجة من الاعتبار والاهمية لامتحانات المؤسسات التعليمية الاخرى والا تكون امتحانات عقيمة (٢٠).

علموا اطفالكم

بينما كان بديع الزمان يناضل من اجل اصلاح المدارس الدينية وزيادة عددها، كان يشجع ويدعو في الوقت نفسه الى تعليم الصغار، وعندما سن قانون توحيد التدريس بعد اعلان الجمهورية ومنعت الدروس الدينية تماماً في المدارس انتشر في طول البلاد وعرضها شعار لانعرف مصدره يقول: «ان هذه المدارس مدارس كفار لاترسلوا

ابناءكم اليها» وعندما بدأ مفعول هذا الشعار في بعض العهود يسري لدى الاوساط الدينية كان بديع الزمان يقول: «ان جميع العلوم الوضعية تتحدث بالسنتها الخاصة بها عن الله. لاتستمعوا انتم الى المعلمين بل استمعوا اليها» اي انه بدلاً من التوصية بمنع ارسال الصغار الى المدارس كان على العكس من ذلك يشجع على ارسالهم اليها. ويمكن العثور على امثلة متعددة على هذا الحض والتشجيع في الذكريات المروية عن بديع الزمان (٢١).

العدو الثاني: البؤس

ويعني بديع الزمان بـ«البؤس» التخلف المادي والتقني الذي اصاب المسلمين. وقد عبر عنه بعدة تعابير منها «الفقر» او «الجوع» او «الحاجة».. الخ. ويعترف بديع الزمان بهذا الفقر وبهذه الحاجة وبهذا التخلف الذي يئن تحت عبئه العالم الاسلامي والذي يحس بثقله على عاتقه وبالذل الناتج عنه... يعترف به كما هو في الواقع. ولكنه لايجعل هذا – كما يفعل بعض الماديين – وسيلة يأس يدفع الناس الى حالة من الشلل يمنعهم من القيام باية محاولة ومن بذل اي مجهود، على العكس من ذلك فانه يجعل هذا دليلاً على قناعته بان المسلمين سيتقدمون في المستقبل وسيترقون وسيلحقون بالغرب في مضمار العلم والتقنية بل سيسبقونه (٢٢). ويشرح ذلك بالحاجة التي ظهرت في الغرب والفاقة هي التي دفعته الى التقدم. ويورد في هذا الصدد مثلاً

كثيراً مـاستعمله وكرره وهو: «الحاجـة هي معلم المدنية»(٢٣). ويقول بان هذا المبدأ ليس قناعة شخصـية له، بل انه «ثابت حكمة – اي علماً –». ويستشهد بنظريات لعلماء الاجـتماع تقول بان الحروب والجفاف والزلازل والاوبئة تلعب ادواراً ايجابية في تطور المدنيات ورقيها (٢٤).

يبين بديع الزمـان بان الفـقر والحـاجة تحـفز الـناس نحو بذل السـعي وبذل المجـهود، وهكذا ينـقلب الميل الفطري الموجـود لدى الافراد نحـو الرقي من القـوة الى الفـعل، وبنتيـجـة بذل المساعـي وبذل المجهـود يأتي الرقي.

ولكي يبلغ هذا الموضوع درجة مقنعة من الوضوح يقوم بديع الزمان بتـحليـلات عـديدة لذا نراه يتناول مـواضـيع عـديدة يعـدها مـواضـيع الساعة ويعطي الايضاحات حولهـا، فيقول: (ماهي العوامل التي تدفع الى السـعي؟ لماذا انطفـأت عندنا شـعلة السـعي والشوق الـيه؟ وكـيف نوقظ هذا الشـوق؟ وكـيف نحـيي لدى الناس نبـض الحـيـاة؟ ومـاهي الاخطاء في انموذج عـملية النمـو والتطوير المتبعة حـالياً؟ ومـا الانموذج الذي يجب ان نتبعه في عملية الارتقاء والنمو؟).

ويقـول مـثـلاً (ان الحـيـاة عـبـارة عن حـركـة وفعـاليـة والشـوق مطيتها)(٢٥) او (السعي هـو دافع الانسان)(٢٦) اي يبين ان الشـوق يشكل الاساس لجميع الفعاليات والجهود. ويقول بان بعضاً من العلماء غيـر الكاملين الذين لم يأخـذوا بعين الاعـتبـار ظروف وشـروط الزمن اطفـأوا شوق الناس الى العـمل بدفعهم الى تـواكل خاطئ استناداً الى

المعاني الظاهرية لبعض المتون الدينية والى كسل وبطالة. (٢٧) ثم يبين المعنى الصحيح للتوكل الاسلامي في هذا الموضوع. ثم يبين العلاقة الوثيقة بين الشوق الموجود لدى الفرد وبين همته اي شعوره بمصالح امته. ويوضح كيف ان من يحمل هدفاً سامياً مثل هدف خدمة الدين لابد ان تزداد همته. فيقول: (ان من كانت همته موجهة لأمته فهو امة صغيرة)(٢٨) ويقول بان الغرب (الذي سرق منا شعور الامة وشعور الملية ترقى بهذا الشعور)(٢٩) وان الارمن ادوا تضحيات كبيرة بقوة وعظمة هذه الهمة (٣٠). فبديع الزمان يرى بان اس الاساس لرقي الغرب هو شعور الملية(٣١) لذا يجب اثارة هذا الشعور لدينا ايضاً، الا انه عندما يذكر شعور الملية عندنا فانه يعني بذلك الاسلام اذ يقول «الملية جسم وروحه الدين» ويقول «الدين هو حياة الملية وروحها»(٣٢). يجب ان نأخذ علوم الغرب، ولكننا عندما نفعل هذا يشترط الا ننسى عاداتنا الملية والا نضحي بها. ان ترك العادات الملية – حسب رايه – يدل على شيخوخة تلك الامة (٣٣). لذا يرى من المناسب اتباع طريق اليابان في الرقي.

(عند اكتساب المدنية يلزمنا الاقتداء باليابان، فمع انهم اخذوا بمحاسن المدنية من اوروبا الا انهم حافظوا على تقاليدهم الملية، هذه التقاليد التي بها تدوم حياة الامم)(٣٤).

ويقول بان السعي نحو الرقي المادي وجيبة دينية على المسلمين:

(ان كل مؤمن مكلف باعلاء كلمة الله. واكبر عامل لهذا في هذا الزمن هو الرقي المادي)(٣٥).

ان السعي والعمل من القوانين والشروط الكونية لله سبحانه وتعالى، وان المكافأة جزاء اتباع هذه القوانين والشروط او العقاب جراء تركها يكون عاجلاً وفي الدنيا. ويقول «ان جزاء العمل والسعي هو الثروة وجزاء الكسل والبطالة هو البؤس»(٣٦).

ويقف طويلاً وبشكل مستقل حول الاعداء الذين كسروا الهمة التي هي منبع الشوق الذي يدفع الانسان نحو العمل، ويبحث عن حلول لعلاج هذا الامر وتلافيه (٣٧).

ولكي يكون هناك عمل مثمر وجهد منتج فانه يوصي باختيار المهن حسب القابليات الفطرية (٣٨).

ويبين ان الممكن الاستفادة من صناعة غير المسلمين، فكفر الكافر وفسق الفاسق لايضر بالمهارة ولا بالصنعة (٣٩).

وهو يوصي باستعمال المنتوجات المحلية، ومثلما فعل غاندي فقد قاطع طوال حياته مصنوعات الغرب «انني البس فقط النتاج المادي والمعنوي لبلدي»(٤٠).

ولاوضح نقطة اخيرة في موضوع الفقر: فحسب رأى بديع الزمان فان احد اسباب زيادة غنى الاقليات، وزيادة فقر المسلمين في الدولة العثمانية يعود الى كيفية اختيار المهنة (لقد لقينا عقابنا لاننا اخترنا طرق الامارة في المعيشة التي تساعد على الكسل والتي تدغدغ غرور الانسان) ويقول ان الطرق «الطبيعية» و«المشروعة» و«الحيوية» للمعيشة هي «الزراعة» و«التجارة» و«الصناعة» ويقول: (انني ارى

بان من يتقلد وظيفة او امارة يجب ان يدخلها من اجل ايفاء خدمة، ولكن ان دخلها كطريقة كسب ومعيشة فانه يكون قد تصرف بحمق)(٤١).

النقطة الثالثة:

الاختلاف

والمسألة الثالثة التي يتناولها بديع الزمان ويتفحصها اي العدو الثالث فهو «الاختلاف» ويعبر عنها احياناً بكلمات وتعابير اخرى مثل «الفوضى» او«النفاق» او«الخصومة» وضدها هو «الاتفاق» واحياناً يستعمل كلمات اخرى امثال: «الوفاق» او «التساند» او «التعاون» او «الاتحاد» او «الاخوة».

واذا نظرنا الى بياناته المختلفة نجد انه يقصد بـ«الاختلاف» الاختلاف الضيق النطاق بين المسلمين وكذلك الاختلاف بين المجموعات الدينية، ويتناول كلا منها ويكررها حسب اهميتها. والاختلاف الذي يقف عنده طويلاً ويقدم الحلول لتلافيه هو الاختلاف الموجود بين المدارس الدينية والمدارس الاعتيادية والتكايا وهي الشعب الثلاثة لمنابع الفيض.

ولكي يبين مدى جدية ووخامة الاختلافات على نطاق المجتمع في نظره فانه يستعين بقاعدة من علم الرياضيات فيقول:

(اذا لم يكن المجتمع واحداً صحيحاً فان الجمع والضم يؤدي الى

النقصان مثلما يؤدي الى ذلك ضرب الكسور) ثم يوضح فيقول (من المعلوم في علم الحساب ان الضرب والجمع يؤدي الى الزيادة. فاربعة مضروبة في اربعة يساوي ستة عشر. ولكن الضرب في الكسور يؤدي الى النقصان، فالثلث في الثلث يساوي التسع، ونجد نظير هذا في عالم الانسان، فاذا لم يتحد الانسان مع الصحة ومع الاستقامة فان النتيجة يكون نقصاناً وخللاً ودون اية قيمة) (٤٢).

ولكي يظهر مدى الالم الذي يلم به نتيجة الاختلاف في المجتمع فانه يستفيد من الابيات التالية للسلطان ياووز سليم:

ان الخشية من الاختلاف والتفرق
يجعلني اضطرب حتى وانا في القبر
ان الاتحاد هو وسيلتنا في الصولات
ان لم تتحد الامة اكون مجروح القلب (٤٣).

وحسب راى بديع الزمان فان «الحياة في الاتحاد» (٤٤).

ان الحياة وكل شئ يُعد امتداداً لها لايظهر للوجود الا بعد اتحاد معين «هناك قوة في الاتحاد، وهناك حياة في الاتحاد، وهناك سعادة في الاخوة» (٤٥).

ويقول بان العالم الاسلامي ان اسس فيما بينه اتحاداً تاماً فليست هناك قوة دنيوية تستطيع ان تقف امامه.

ولكي يبين مدى القوة الحاصلة نتيجة الاتفاق يقول (نعم.. ان لم تتحد ثلاث «الفات» فستبقى قيمتها ثلاثاً فقط، اما اذا اتحدت

وتساندت بسر العددية، فانها تكسب قيمة مائة واحد عشر «١١١»، وكذا الحال في اربع «اربعات» عندما تكتب كل «٤» منفردة عن البقية فان مجموعها «١٦» اما اذا اتحدت هذه الارقام واتفقت بسر الاخوة ووحدة الهدف والمهمة الواحدة على سطر واحد فعندها تكسب قيمة اربعة آلاف واربعمائة واربع واربعين «٤٤٤٤» وقوتها)[٤٦].

اسباب الخلاف

يوضح بديع الزمان اسباب الخلاف بين المسلمين فيقول انه يعود الى بعض النواقص والى بعض التصرفات غير السليمة، مثل ضعف الايمان والانانية والبحث عن الأحق، وحسب رايه فان المرض الرابع من الامراض الستة التي ادت الى تأخر المسلمين هو «عدم معرفة الروابط النورانية التي تربط اهل الايمان بعظهم ببعض»[٤٧].

اذن يجب اظهار هذه الروابط الايمانية والدينية الى ضوء النهار واعادة الفعالية اليها. وهو يقول:

(الاتفاق من الله تعالى وليس من الهوى ورغبات النفس)[٤٨].

وهكذا فهو يبين ان الاتفاق والوحدة لايمكن ان تتم بصيغ بشرية. فمثلاً لايمكن ان تتحقق الوحدة بالتخويف او بالضبط او بالاكراه، على العكس من ذلك فهذا يؤدي الى زيادة الفرقة والنفاق بين الاطراف[٤٩].

حلول التوحيد

يذكر بديع الزمان في هذا الصدد حلولاً عديدة وطرقاً كثيرة وايضاحات مختلفة، والمهم بالنسبة الينا الاشارة الى بعضها:

الشعور الايماني

يأمر القرآن الكريم المؤمنين بالرجوع الى الله تعالى والى رسوله ﷺ عندما يقع بينهم اي خلاف، والمؤمن مادام مؤمناً فهو لايستطيع اهمال او تناسي هذا الامر.

ويقول بديع الزمان (فكما انك اذا استعظمت حصيات تافهة ووصفتها بانها اسمى من الكعبة المشرفة واعظم من جبل احد، فانك بلاشك ترتكب حماقة مشينة)(٥٠).

(ما الحل الذي يعالج الخلاف في العالم الاسلامي؟) يجيب بديع الزمان على هذا السؤال بالاجابة التالية: (يجب اولاً النظر الى ما هو متفق عليه من المقاصد السامية، ذلك لان الهنا واحد، ونبينا واحد وقرآننا واحد ونحن متفقون حول الضرورات الدينية)(٥١).

المساواة

من بين الخصائص والعوامل التي تؤمن وحدة الامة يعير بديع الزمان اهمية كبرى لموضوع المساواة «ما الذي يؤدي الى وحدة الامة غير رفع الامتياز؟» (٥٢).

وهذه يمكن تحقيقها بتأمين الحاكمية التامة للقانون والا فان كل اداري سيكون مستبداً مستقلاً وتزداد محاولات الجمعيات السرية مما ستؤدي الى زيادة الاستبداد(٥٣).

مجاراة السواد الاعظم

يرى بديع الزمان بان مجاراة السواد الاعظم من الناس في بعض المسائل يزيل الاختلاف، لان من الخطر الانشقاق عن الاكثرية (٥٤).

المعارف

لقد تنبأ بديع الزمان منذ بداية هذا القرن بهذا الفوضى الذي يعصف بمناطقنا الشرقية، وقال بان العلاج يتم عن طريق المعارف، واقترح على الدولة القيام بفتح المدارس الدينية في المراكز المهمة التي سماها بالمنطقة الشرقية وتنشئة وتربية الطلاب، وهو يقدم هذا الاقتراح مع ايضاح اسبابه كما يلي:

(.. بهذا يتم تأمين اساس التربية والثقافة. وبعد تأسيس هذا المبدأ يتقرر الاتحاد ويتحقق اننا ان اعطينا هذه القوة العظيمة التي تذهب هدراً نتيجة الخلاف الداخلي الى يد الحكومة لكي تستعملها في الخارج ولكي يظهر انهم بفطرتهم السليمة يستحقون العدالة وانهم مهيأون ومستعدون لتقبل المدنية)(٥٥).

ان هذه الجمل تبدو وكأنها تشير الى ظروفنا الحالية.

البحث عن الاحق

هذه صيغة لازالة الخلافات المذهبية والخلافات بين المجموعات الدينية على الاخص.

يقول بديع الزمان «عندما يكون هناك اتفاق على الحق، ولكن مع وجود خلاف حول الاحق، يكون الحق احق من الاحق»(٥٦)، ويقول

ان كل واحد يحق له ان يفهم ان مسلكه «حق» وانه أجمل، ولكن لايحق له ان يفهم او يتصور ان مسلك الآخرين باطلة وقبيحة. وهو يرى بان الشخص ان اعتقد بان مسلكه فقط هو المسلك الحق فان هذا يدل على ضيق افقه وعلى انانيته وحبه لنفسه. وهو لكي يعالج مثل هذا المرض فانه يستعرض امثلة على امكانية تعدد الحق (٥٧)..

حب المحبة والعداء للعداوة

في سبيل ازالة الخلاف يوصي بنشر المحبة بين المؤمنين وازالة العداء، فهو يقول: «نحن فدائيو المحبة، لاوقت لدينا للخصومة»(٥٨). وقد اعلن انه عفا عن جميع الذين عذبوه طوال حياته وملأوا حياته ألماً وضيقاً، وعن جميع الذين جروه من محكمة الى محكمة ومن مركز شرطة الى مركز شرطة، والذين القوا به في السجون، وسامحهم وصفح عنهم (٥٩).

الذين يجب ان يتفقوا

وبجانب قيام بديع الزمان بتقديم الصيغ التي تؤدي الى الاتفاق فانه بيّن المؤسسات التي يجب ان تتفق. لذا يجب ان نشير الى هذه المؤسسات.

اتفاق ثلاث شعب كبيرة

وهذه الشعب (مثلما سجلنا سابقاً) هي: المدارس الاعتيادية، والمدارس الدينية والتكايا، اذ يقول: (ان من اهم اسباب تأخرنا في مضمار المدنية، هو تباين الافكار واختلاف مشارب منتسبو ثلاث

شعب كبيرة يعدون مرشدين عموميين بعد عهدِ الاستبداد وهم منتسبو المدارس الاعتيادية ومنتسبو المدارس الدينية ومنتسبو التكايا)(٦٠).

فهو يرى (ان هذاالتباين في الافكار هزّ اساس الخلق الاسلامي وفرّق وحدة الامة). ويستمر بديع الزمان تحليله فيقول بان منتسبي المدارس الدينية كفروا منتسبي المدارس الاعدادية، وهؤلاء اتهموهم ورموهم بالجهل. ولكي تتقبل جماهير الشعب العلم، فانه يجب نقله اليهم بوساطة علماء يثق فيهم الشعب (٦١). ومن هذا المنطق يجب تدريس العلوم الوضعية في المدارس الدينية، وتدريس علوم الدين في المدارس الاعتيادية. ومدرسة الزهراء التي ستضع مفردات هذه العلوم في مفردات مناهجها ستقوم باصلاح البين بين هذه الشعب الثلاثة، وستكون هذه احدى فوائد هذه المدرسة.

واريد ان اذكرهنا بانه بعدما تم اغلاق شعبتين من هذه الشعب الثلاثة ظهر مدى صواب اقتراح هذا الحل وذلك بعد ظهور الفوضى في الجيل الجديد. وهذا موضوع مطروح للنقاش.

اتفاق الجماعات الدينية

قدم بديع الزمان في هذه المسألة اقتراحات حلول نعتقد انها لاتزال حتى الان معتبرة. فقبل كل شئ عد وجود هذه الجماعات المختلفة ضرورية ومفيدة. ولكنه يريد منها ان تكون غايتها واحدة. ولاشك في وجوب كون هذه الغاية ايجابية وبناءة وتهدف الى خدمة الدين

والامة. فاذا تحقق هذا فلا يُشترط ان تكون الطرق والمشارب واحدة. بل تكون مثل هذه الوحدة ضارة لانها قد تدفع الناس الى اللامبالاة والى قول: «ليفكر غيري بهذا»(٦٣) اذ يقول:

(ان الجماعات التي تتشكل بدافع المحبة الدينية ان حققت شرطين فنحن على استعداد لتهنئتها جميعاً والاتحاد معها:

الشرط الاول: المحافظة على الحرية الشرعية وعلى الأمن العام.

الشرط الثاني: أن يكون طراز حركتها قائماً على المحبة وعدم محاولة ابراز نفسها بالقاء التهم على الجماعات الاخرى وتلويث سمعتها)(٦٤).

وهكذا يتبين هكذا ان بديع الزمان ضد الجمعيات الثورية.

اللامركزية

يعجب بديع الزمان بفكرة اللامركزية وتوسيع وزيادة الصلاحيات التي طرحها الأمير «صباح الدين». ولكنه لايناصرها، وذلك لان الاتجاه نحوها قبل تقوية الروابط العثمانية بين افراد الامة وقبل تأمين المحبة بين الامة سيؤدي الى احياء العنصرية التي ماتت قبل ١٣ قرناً والى ايقاظ الفتنة وارجاع البلد الى عهد الامارات شبه المستقلة. وتفكيره على هذا النمط يدل على مدى اهتمامه بوحدة الامة، لذا يجب الا يغيب عن الانظار هذه الملاحظات من بديع الزمان ولاسيما في هذه الايام التي اثيرت فيها هذه المسائل من جديد وباتت من مواضيع الساعة.

العدو الخارجي

امام اصرار بديع الزمان على ان اكبر الاعداء الحقيقيين هم الجهل والفقر والاختلاف فلابد ان يرد للخاطر السؤال التالي: وماذا يقول عن العدو الخارجي؟ والحقيقة انه يتناول هذه المسألة عند قيامه بشرح نفس المواضيع. فهو لايرى فيهم اعداءً يجب محاربتهم باسلحة مادية، بل انه يقول بانه يجب النظر اليهم نظرة صداقة ويقدم لتبرير ذلك عدة اسباب:

١- انهم سبب ووسيلة ليقظتنا.

٢- اننا نكتسب منهم العلوم الوضعية.

٣- يجب ان نقنعهم بان الدين الاسلامي دين صلح.

٤- انهم جيراننا، والجيرة تستوجب الصداقة.

وهذه احدى عباراته:

(يجب الا ننظر للاجانب نظرة عداء، بل ربما يتوجب علينا ان ننظر اليهم كاصدقاء ومساعدين لانهم اصبحوا وسيلة لسعادتنا ولاعلاء كلمة الله في هذا الزمن لكونهم وسطاء لرقينا ومشوقين بل حتى مجبرين لنا لاكتساب المدنية)(٦٦).

ويبدي بديع الزمان اهمية اكبر لموضوع ازالة القناعات الخاطئة لاوروبا حول الاسلام، فهو يقول:

(لقد حزنت من اعماق قلبي عندما علمت بان اوروبا تظن بان

الاستبداد الناشئ عندنا نتيجة الجهل والتعصب مرده – حاشا لله – لموافقة وملائمة الشريعة له. ولكي اقوم بتكذيب ظنونهم هذه فقد ايدت باسم الشريعة اعلان المشروطية اكثر من الجميع)(٦٧).

والشئ الذي يكرره باصرار في هذا الموضوع انه لكون غير المسلمين مدنيين، فان الجهاد ضد المدنيين لايكون بالسلاح بل بالاقناع. فهو يقول عندما يتكلم حول جمعية الاتحاد المحمدي:

(ان سبيل هذا الاتحاد هو المحبة وخصومته موجهة للجهل وللبؤس وللنفاق. وليكن غير المسلمين مطمئنين وواثقين بان اتحادنا هذا ضد هذه الصفات الثلاثة. واسلوبنا مع غير المسلمين قائم على الاقناع ذلك لاننا نعرف انهم اشخاص مدنيون لذا يجب اظهار الاسلام بشكل محبوب وبشكل سامٍ)(٦٨).

السلاح ضد المدنيين

اذا كان الاقناع هو السياسة الرئيسية المستعملة تجاه الاعداء الخارجيين، فلا بد ان يتغير مفهوم «السلاح»، لذا نراه يكرر بشكل متواصل بان اسلحتنا تجاههم هي البراهين القطعية والاكيدة للشريعة (٦٩). وجوابه على سؤال «كيف سنغلب الارمن؟» يلقي ضوءً على مفهومه «للسلاح» اذ نراه يقول:

(سنغلبهم بالسلاح نفسه الذي غلبوكم به اي تستطيعون التغلب عليهم بالعقل وبالفكرة الملية والاقبال على الرقي والتقدم والميل نحو العدالة)(٧٠).

وفي بيان آخر له: (ان السلاح الذي يُغلب به الاعداء ويُشتت في المستقبل سيكون المدنية الحقيقية بدلاً من السيف، والتقدم المادي، وسيكون السيف المعنوي للحق وللانصاف)(٧١).

وفي موضوع آخر نراه يوصي يعيش الاسلام فعلاً وحقيقة كسلاح (٧٢). فلو عشنا الاسلام، وظهر الاسلام في افعالنا وتصرفاتنا فان قارات عدة ستدخل الى الاسلام برغبتها (٧٣).

والبلاغة والفصاحة ستكون من امضى الاسلحة في المستقبل كما بينه بديع الزمان(٧٤). ويقول بان عهد الشجاعة الفطرية انتهى وفات اوانه، اذ حلت مكانه الشجاعة العلمية (٧٥). ويخاطب الجيل الجديد فيقول:

(يجب ان تصنعوا اسلحتكم من العلم ومن الصناعة ومن التساند ومن جوهر الحكمة القرآنية)(٧٦).

اذن فان الجهاد بدل ان يكون في جبهات القتال سيكون في ساحات العلم والصناعة وفي سبيل الحصول على التساند وعلى الحكمة القرآنية التي ساحتها النفس. يقول بديع الزمان:

(لما كان كل واحد قائداً في عالمه الذاتي، فانه مكلف من عالمه الاصغر بالجهاد الاكبر)(٧٧).

النتيجة: امل المستقبل

اذا ذُكر بديع الزمان ذكر الامل مجسماً، ولو تم تلخيص كل مؤلفاته في ثلاث او خمس نقاط رئيسية لكان الامل في المستقبل احدى هذه

النقاط دون اي شك. لذا فاننا نحب ان ننهي محاضرتنا بالامل. فقد كان يؤمن بان العالم الاسلامي سوف يستطيع التغلب على هذه الاعداء الثلاثة التي قمنا حتى الآن بتحليلها، وسوف يكون رائداً للانسانية حتى من الناحية المادية وسيؤسس السلام العالمي، فهو يقول:

(بما ان العقل والعلم هما اللذان سيحكمان في المستقبل، لذا لابد ان يحكم القرآن الذي تستند جميع احكامه على البراهين العقلية والذي يستمد جميع احكامه من العقل)(٧٨). ويقول: (ان المستقبل سيكون فقط للاسلام، والحقائق القرآنية والايمانية ستكون هي الحاكمة)(٧٩).

ويقول: (انني اعلن دون اي تردد وبكل ما املك من يقين وعقيدة... سينتشر الحق وسيترعرع. وانا اعتقد ان الحقائق الاسلامية هي التي ستحكم جميع القارات حكماً مطلقاً في المستقبل)(٨٠).

ويقول الابيات التالية شعراً:

يقيني ان تربة المستقبل وسماءها هي آسيا

وان اليد البيضاء ستكون مع الاسلام (٨١).

ثم يقول:

ستعلو راية الهلال والنجمة التي هي راية اعلاء كلمة الله وستصل الى سابق قوتها وشوكتها ان شاء الله)(٨٢).

الهوامش

1. Bediüzzaman Said Nursî. Âsâr-ı Bediiyye, s. 669.
2. Âsâr-ı Bediiyye, s. 372-378.
3. Bediüzzaman Said Nursî. Divân-ı Harb–i Örfî, İstanbul, 1990. s. 28-29.
4. Bak. Âsâr-ı Bediiyye, s. 385; Mesnevî-i Nûriye, İstanbul, 1958. s.217.
5. Weber Max, Ethique Protestante et L'esprit du Captilazim, Plon, Paris, 1987, p, 81.
6. Divân-ı Harb–i Örfî, s. 57.
7. A.g.e. s. 15.
8. Âsâr-ı Bediiyye, s. 375.
9. Bediüzzaman Said Nursî. Münazarat, İstanbul, 1991, s.69.
10. Âsâr-ı Bediiyye, s. 381.
11. Divân-ı Harb–i Örfî, s. 28.
12. Bediüzzaman Said Nursî. Sözler, İstanbul, 1985, s. 264.
13. Münazarat, s. 134.
14. Sözler, s. 264.
15. Münazarat, s. 128.
16. Muhakemat, İstanbul, 11977. s. 47.
18. Münazarat, s. 127.
19. A.g.e., s.134.
20. A.g.e., s. 128.
21. Şahiner, Necmeddin. Son Şahitler. İstanbul:1988. 4:372; Çeleğen, Nuriye. Bediüzzaman'ı Gören Hanımlar, İstanbul:1987. s.11.
22. Âsâr-ı Bediiyye, s. 349; D.H.Ö. s. 69.
23. Sünuhat, Ankara, 1976. s. 55.

ان نظرة بديع الزمان هذه تصدر من منطلق « الحاجة للنجاح جزء من شخصية الانسان » وهي تذكرنا بالابحاث التي اجراها العالم الاجتماعي الامريكي ماكلالند والتي اظهرت ان القصص وحكايات البطولة والاساطير التي تدرج ضمن كتب الدراسة بشكل ادبي لتلقين الجيل الجديد الحاجة الى النجاح تؤدي بعد مدة الى تقدم ملحوظ في الحياة الاقتصادية لتلك الامة. ولكن لاشك ان هناك فرقاً كبيراً بين تلقين الحاجة الى النجاح بصورة اصطناعية بوساطة القصص والاساطير وبين تلقين هذه الحاجة الصادرة من اعماق الوجدان كنتيجة لامر الايمان والشعور بانه واجب من الواجبات الدينية. ولمن يرغب في الاستزادة من المعلومات حول نظرية ماكلالند نشير الى كتابنا « التربية في سنة نبينا ﷺ » ص/١١٧ والى كتابنا « التقنية والثقافة والمدنية في

احاديث النبي ﷺ ص/ ٥٤ – ٥٥).

٢٤– توجد المعلومات حول هذا الموضـوع في كتاب ارنولد توينبي المعنون بـ(L'historia ترجمته الى الفرنسية Elizabeth Jullia Gallimarol باريس ١٩٥١ ص/ ١٠٤ – ١٥٧ وما بعدها.

25. Bediüzzaman Said Nursî. Münazarat, s. 136.
26. A.g.e. s. 30.
27. A.g.e., s. 78.
28. Bediüzzaman Said Nursî. Hutbe-i Şâmiye, İstanbul, 1990. s. 56.
29. Hutbe-i Şâmiye, s. 58-59; Münazarat, s. 100-101.
30. Münazarat, s. 98.
31. A.g.e. s. 100.
32. Hutbe-i Şâmiye, s. 64.
33. Âsâr-ı Bediiyye, s. 359.
34. Âsâr-ı Bediiyye, s. 350.
35. Bediüzzaman Said Nursî. Muhakemat, s. 37.
36. Hutbe-i Şâmiye, s.129; Sözler, s. 726.
37. Münazarat, s. 136-139
38. Muhakemat, s.46.
39. Âsâr-ı Bediiyye,, s. 396.
40. Divân-ı Harb–i Örfî, s.15-16
41. Münazarat, s. 77-79.
42. Hutbe-i Şâmiye, s.124.
43. Divân-ı Harb–i Örfî, s. 21-22.
44. Âsâr-ı Bediiyye, s. 356.
45. Muhakemat, s. 42.
46. Bediüzzaman Said Nursî. Lem'alar, s. 150-151.
47. Hutbe-i Şâmiye, s. 20.
48. Hutbe-i Şâmiye, s. 89; Divân-ı Harb–i Örfî, s. 58.
49. Divân-ı Harb–i Örfî, s.52.
50. Bediüzzaman Said Nursî. Mektubat, s. 287.
51. Bediüzzaman Said Nursî. Tulûât, s. 84
52. Divân-ı Harb–i Örfî, s. 41.
53. Divân-ı Harb–i Örfî, 41.
54. Hutbe-i Şâmiye,124.
55. Şahiner, Necmeddin. Bilinmeyen Taraflarıyla Bediüzzaman Said Nursî, İstanbul:1974. s., 64; Âsâr-ı Bediiyye, s. 267.
56. Hutbe-i Şâmiye, s. 124-125.
57. Bediüzzaman Said Nursî. Sözler, s. 719.
58. Divân-ı Harb–i Örfî, s. 57.
59. Bediüzzaman Said Nursî. Tarihçe-i Hayat. İstanbul:1976, s. 604.
60. Divân-ı Harb–i Örfî, s. 80,; Âsâr-ı Bediiyye, s.355.

61. Divân-ı Harb–i Örfî, s. 28.
62. Münazarat, s. 132.
63. Hutbe-i Şâmiye, s. 99; Âsâr-ı Bediiyye, s.391.
64. Hutbe-i Şâmiye, s. 98; Âsâr-ı Bediiyye, s. 390.
65. Âsâr-ı Bediiyye, s.357.
66. Âsâr-ı Bediiyye, s.389.
67. Divân-ı Harb–i Örfî, s. 16.
68. Âsâr-ı Bediiyye, s.379.
69. Divân-ı Harb–i Örfî, s.57; Hutbe-i Şâmiye, s.88; Âsâr-ı Bediiyye, s.375.
70. Münazarat, s. 68.
71. Hutbe-i Şâmiye, s.35.
72. A.g.e., s.96.
73. A.g.e., s. 24.
74. Sözler, s.264.
75. Divân-ı Harb–i Örfî, s.28.
76. A.g.e., s.54.
77. Münazarat, s. 68.
78. Hutbe-i Şâmiye, s. 27.
79. A.g.e., s. 21.
80. Muhakemat, s.7.
81. Sözler, s. 694; Bediüzzaman Said Nursî. Şuâlar, s. 502.
82. Âsâr-ı Bediiyye, s.679.

هوامش المترجم:

(أ) كانت هناك في الدولة العثمانية ولايات شبه مستقلة ترتبط بالدولة ارتباطاً ضعيفاً يتجلى في دفع ضريبة معينة وارسال الجنود في بعض الاحيان للاشتراك في الحروب التي تدخلها الدولة وكمثال على ذلك «امارة تونس» في شمالي افريقيا.

(ب) جون كلفن (١٥٠٩ – ١٥٦٤): لاهوتي فرنسي. ولد في مدينة «نويون». تحول عن الكثلكة عام ١٥٣٣ واصبح بروتستانتياً ومن قادتهم. بدأ بنشر مذهبه في جنيف فنفي منها فذهب الى «بازل» و«ستراسبورغ» وبدأ يدعو لمذهبه. اوضح مبادئ لاهوته في كتابه «انظمة الدين المسيحي» من اهم مبادئه عدم الاعتراف بسلطة البابا، وقبل فكرة التبرير بالايمان فقط وان الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد لشريعة الله وواجب الانسان تفسير هذه الشريعة. وتختلف الكلفنية عن الكثلكة في امور عديدة اهمها قضاءَ الله الابدي وهو ان الخلاص هدية من الله وانه لايكتسب بالاعمال الصالحة بل هو للمختارين من قبل الله. انتشر مذهبه في اسكتلندة وانجلترة ونيوانجلند في امريكا والهيجونوت في فرنسا الذين لقوا المصائب والاهوال والمذابح ولاسيما في عهد لويس الرابع عشر عندما اضطرهم الى الفرار الى انجلترة وهولندة والمانيا وامريكا.

(ج) قسم الاستاذ النورسي مراحل حياته الى: مرحلة سعيد القديم، مرحلة سعيد الجديد،

البروفسور الدكتور

آدم طاطلي

« جامعة سلچوق »

ولد عام ١٩٤٧ في « انطاليا / كوركوت ألي ». انهى دراسته في المدرسة العالية للمعلمين عام ١٩٦٦ في انقرة. ثم انهى دراسته في كلية علم الاحياء في انقرة. درّس سنتين في مدرسة تخريج المعلمين للمدارس الابتدائية ١٩٧٠ – ١٩٧١. ثم دخل عام ١٩٧١ في المدرسة العليا لـ« العلوم الاساسية » في جامعة اتاتورك كمساعد استاذ، وهناك قدم رسالته في الدكتوراه. رقي هناك الى مرتبة استاذ مشارك عام ١٩٨٢ حيث انتقل الى كلية التعليم في جامعة اتاتورك.

ومنذ عام ١٩٨٨ يدرس في كلية العلوم والفنون في جامعة سلجوق في مدينة « قونية » بصفة استاذ (بروفسور). نشر مقالاته في مجلة « ظفر » ١٩٨٧ – ١٩٨٨ وفي مجلة « سور » ١٩٨٤ – ١٩٨٨ وفي جريدة « يني آسيا » ١٩٧٤ – ١٩٨٠ وفي جريدة « الترجمان » عام ١٩٨٦.

مؤلفاته: « المتحجرات والتطور » مترجم ١٩٨٤.

« ملخص التقرير حول نظرية التطور » ١٩٨٥.

« الخلق والتطور وتربية الجمهور » مترجم ١٩٨٥.

« انموذج الخلق » مترجم ١٩٨٥.

« مانتشوق لمعرفته » ١٩٨٨.

كما له مؤلفات في ساحة تخصصه.

نظام التربية لدى بديع الزمان

لقـــد اهدى بديع الزمـــان الى الانسـانيـة الحـائرة والضـجـرة من النظم التعـليميـة المختلفـة انموذجاً جـديداً لنظام التربية يقـوم على اساس اصلاح المدارس الدينية حسب المفهـوم المعاصر وتأسيس السـلام بينـهـا وبـين العلوم الوضـعـيـة وتقديمهما معاً وضمن اطار واحد.

لاشك ان الغاية الاساسية من فعاليات المجتمعات الانسانية وجهودها هي تأمين رفـاه الفـرد وامنه، وبـالتـالي رفـاه المجتمـع وامنه. وتأمين هذه الغاية تـتوقف على معـرفة رغـبات الفـرد وميوله مـعرفـة جيـدة وكذلك معرفة نوعية الروابط التي تربط الافـراد بعضهـم ببعض. والتربية هي التي تحقق هذه وتؤمنها. والتربية التي لاتتناول الانسان من نواحيه المادية ومن نواحيه المعنوية تربية ناقصة وغير كافـية ولاتناسب بنيته البيولوجية، وهي بعيـدة عن تحـقـيق السـعادة والمحبـة والرحـمـة والحنان في الاسـرة وفي المجتمع.

ان النظرة المادية (ولاسيما نظرة انصار التطور) الى موضوع ظهور الانسان تقيم الانسان على اساس مادي صرف دون ان تأخذ بنظر الاعتبار رغباته وتطلعاته وميوله ومشاعره المتلائمة والمنسجمة مع الغاية من خلقه والوضع الحالي للعالم افضل شاهد على نتيجة نظام التربية الغربية.

ان الانسان حسب الفلسفة التطورية الغربية ليس الا حيواناً ناطقاً، وهذا الانسان ترقى من مستويات ادنى من الاحياء (بوساطة التغيرات الحاصلة صدفةً ضمن شريط زمني) الى مستوى القرد، واخيراً تخلى عن فروته وخرج من المغارة.

وهو من الناحية البيولوجية ـ حسب نظرتهم ـ ليس الا حيواناً متكوناً من مجموعة معلومة من الخلايا ولايكسو جسده الشعر.

وغاية مثل هذا الانسان تأمين احتياجاته الشخصية ومحاولة العيش بافضل صورة في حياته المحدودة في هذه الدنيا. وغاية التربية المقدمة له هي مساعدته في تأمين غايته تلك.

الانسان موصول بالماضي وبالمستقبل ايضاً

تسترعي رسائل النور الانظار ـ استلهاماً من القرآن الكريم ـ الى ان الانسان هو أشرف المخلوقات وانه خُلق أحسن خلق واكمله بارادة هادفة، وزين وزود باحاسيس مادية ومعنوية عديدة، فقد وهبت له استعدادات واسعة وقابليات عامة اذ أخذ في الحساب وجود رغبات

لانهاية لها عنده. واهم من كل هذا هو انه في منزلة يستحق فيها ان يكون مخاطباً من قبل الله، لذا فرسائل النور تأخذه ككل وتقيمه من كافة نواحيه المادية والمعنوية، لذا فهي تدنو من هذا الموضوع كما يلي:

(ان الانسان ضعيف، بينما مصائبه كثيرة، وهو فقير ولكن حاجاته في ازدياد، وعاجز الا ان تكاليف عيشه مرهقة، فان لم يتوكل هذا الانسان على العلي القدير ولم يستند اليه، وان لم يسلم الامر اليه ولم يطمئن به، فسيظل يقاسي في وجدانه آلاماً دائمة، وتخنقه حسراته وكدحه العقيم، فإما يحوله الى محرم قذر او سكير عابث)(١).

وتشير رسائل النور الى الرغبات غير المحدودة للانسان:

(ان الانسان محتاج الى اكثر انواع الكائنات وهو ذو علاقة صميمية معها. فلقد انتشرت حاجاته في كل طرف من العالم، وامتدت رغباته وآماله الى حيث الابد، فمثلما يطلب أقحوانة، يطلب ايضاً ربيعاً زاهياً فسيحاً، ومثلما يرغب في مُرج مبهج يرغب ايضاً في الجنة الابدية)(٢).

ان هذا الانسان الذي له مثل هذه البنية الروحية سيكون مهتماً بالماضي وبالمستقبل وذا علاقة بهما، ويشرح بديع الزمان هذا الامر كما يلي:

(فهو يتلذذ دون ألم، ويتذوق الاشياء صافية دون تكدر وتعكر، فلا تعذبه آلام الماضي ولاترهبه مخاوف المستقبل، فيعيش مرتاحاً ويغفو هانئاً شاكراً خالقه، حامداً له)(٣).

يجب الا تكون الدنيا كل همّ الانسان وكل غايته

توضح رسائل النور فتقول بان مثل هذا الانسان المجهز بكل هذه الاحاسيس الرقيقة والمزين بكل هذه الافكار والمخلوق في اجمل الصور المادية والمعنوية ان جعل حياته الدنيوية كل هدفه وكل غايته فانه لايكون مؤهلاً ومستحقاً لان يكون مخاطباً من قبل الله سبحانه وتعالى:

(اذن فالانسان الذي خلق في «احسن تقويم» اذا حصر فكره في الحياة الدنيا وحدها فسيهبط ويتّضع ويصبح اقل شأناً بمائة درجة من حيوان كالعصفور وان كان اسمى واتم من الحيوان من حيث رأسماله بمائة درجة)(٤).

اذن ما الذي يعلى مقام الانسان ويسمو به الى الموقع اللائق به؟ يجب ان نبحث جواب هذا في كيفية نظرة الانسان الى الدنيا وفي ادراك ان هذا العالم زائل ومؤقت. ويعبر بديع الزمان عن هذا الامر كما يلي:

(انت هنا ضيف وستذهب من هنا الى مكان آخر، والضيف لايتعلق قلبه بشئ لايستطيع اصطحابه معه. وكما ستترك هذا الموضع فانك ستترك هذه البلدة، ثم ستترك هذه الدنيا الفانية وتخرج منها، اذن فاجتهد ان تخرج منها عزيزاً. وضحِ بجسدك لموجده ولخالقه لانك ستتسلم مقابله مكافأة كبيرة)(٥).

قيمة الانسان تسمو بمقدار توجهه لله

ان الانسان حسب الفلسفة الغربية حيوان ترقى من القرد نتيجة تغيرات عشوائية، اذن ماذا يستطيع مثل هذه الفلسفة ان تقدم لروح الانسان المشتاق للبقاء واية كمالات تستطيع هذه الفلسفة من اهدائها لروح الانسان واية زينة تستطيع تزيين الانسان بها؟ وماذا اعطت وماذا قدمت لانصارها حتى الآن غير الضجر والالم والسفاهة والروح المتوحش، وماذا يمكن ان ننتظر منها غير هذا بعد الآن؟

ولكن بديع الزمان (الذي أخذ دروسه من القرآن يشرح طريق القرآن برسائل النور) يهتف:

(نعم ايها الانسان! انك من جهة جسمك النباتي ونفسك الحيوانية جزء صغير وجزئي حقير ومخلوق فقير وحيوان ضعيف تخوض في الامواج الهادرة لهذه الموجودات المتزاحمة المدهشة. إلاّ أنك من حيث انسانيتك المتكاملة بالتربية الاسلامية المنورة بنور الايمان المتضمن لضياء المحبة الالهية سلطانٌ في هذه العبدية.. وانك كليٌ في جزئيتك.. وانك عالمٌ واسع في صغرك.. ولك المقام السامي مع حقارتك فانت المشرف ذو البصيرة النيرة على هذه الدائرة الفسيحة المنظورة، حتى يمكنك القول: ان ربي الرحيم قد جعل لي الدنيا مأوىً ومسكناً، وجعل لي الشمس والقمر سراجاً ونوراً، وجعل لي الربيع باقة ورد زاهية، وجعل لي الصيف مائدة نعمة، وجعل لي الحيوان خادماً ذليلاً، واخيراً جعل لي النبات زينة واثاثاً وبهجة لداري ومسكني.

وخلاصة القول: انك اذا ألقيت السمع الى النفس والشيطان فستسقط الى اسفل سافلين واذا اصغيت الى الحق والقرآن فسترتقي الى اعلى عليين وكنت «احسن تقويم» في هذا الكون)(٦).

ويستمر بديع الزمان:

(ان الانسان الذي يملك في رأسه عقلاً لايفرح في امور الدنيا بما كسبه، ولايحزن بما خسره او فقده. ذلك لان الدنيا ليست ثابتة بل هي ماضية، والانسان يمضي معها. فانت ايضاً مسافر. انظر هاهو شفق الشيخوخة قد ظهر على الشعر فوق اذنك وغطى الكفن الابيض اكثر من نصف رأسك. اما الامراض التي بدأت تتوطن في جسدك فهي طلائع الموت، ومع ذلك فان الحياة الابدية امامكم. فالراحة واللذة التي ستتذوقونها في حياتكم الابدية مرتبطة بسعيكم في حياتكم الفانية وانت غافل عن حياتك الابدية. فانتبه واستيقظ قبل ان توقظك سكرات الموت)(٧).

والفرد الذي اخذ هذا الدرس ونظم حياته واهدافه ومثله حسب هذه المقاييس ألا يكون مستحقاً كي يكون سيد الانسانية ورئيس العالم واجمل ثمرة للكون وارشق والطف واجمل عبد لله سبحانه وتعالى؟ ما اكثر حاجة الانسانية الى افراد لهم مثل هذا الخلق.

نظم التربية المقدمة للانسان يجب ان تأخذ باعتبارها جميع رغباته:

لكي يكون لاي مؤلّف تأثير في الحياة الشخصية للانسان فانه

يجب ان يأخذ باعتباره جميع رغبات الانسان وميوله لكي يستطيع توجيهها وجهة ايجابية وهذا لايمكن تنفيذه الا عندما يستطيع مخاطبة عقل الانسان وقلبه وروحه واحاسيسه. لايمكن اهمال رغبات وميول القلب والروح ولاسيما عند الشباب في المرحلة الدراسية الوسطى والجامعية. فنحن لم نهتم حتى الآن الاهتمام الكافي. فمن الحوادث المتكررة لدى طلاب المدارس المتوسطة والثانوية قيامهم بحرق كتبهم في الحديقة بعد اكمالهم الدراسة ثم الرقص حولها.

وفي كثير من مؤسسات التعليم العالي نجد انه لاخوف الرسوب في الصيف ولا مخاوف كسب المعيشة في المستقبل يكون دافعاً للطلاب للانكباب على دروسهم، او يعطي لهم الشوق او يثير فيهم الهمة للدراسة الجادة. والامثلة البارزة على هذا الامر هو ان اكثر الطلاب يحاولون اجتياز الامتحانات بتكثيف جهودهم لبضعة ايام فقط، وعندما يتخرجون يهملون كتبهم حتى يعلوها التراب في مكتباتهم.

اما الحالة الروحية والنفسية للطلاب المتخرجين من الكليات بمعلومات مادية فحسب فتدعو للرثاء وللعبرة وتستدعي دراسة عميقة. وبشكل عام ان استمعت الى اصحاب اية مهنة فستسمع منهم جميعاً تقريباً كيف انهم يتطلعون الى مستوى رفيع من الرفاه، وكيف انهم يخططون للوصول الى الثراء السريع مهما كان الثمن وبأية طريقة كان هذا الوصول.

ولايستطيع احد لا الافراد ولا الامة ان تتوقع من امثال هؤلاء اية

مشاعر سامية مثل التضحية او الفداء ولا اية حمية. ولا يحق لنا اصلاً مطالبتهم بذلك. ذلك لاننا لم نلقن لهم هذه المعاني في اي نظام تربية. بل اجتهدنا لتعليمهم كيف يكسبون فقط، واهملنا رغبات ارواحهم وقلوبهم.

بل هناك ماهو أسوأ، ذلك لاننا نحاول الآن ان نحفظ المنشأت الصناعية واماكن العمل من المهندسين ومن ارباب المهن الاخرى الذين يسرنا لهم تخرجهم من الكليات واصبح حفظ الانفس والاموال منهم حالة ضرورية، واذا رضينا ام لم نرض فهؤلاء ثمرة تنشأتنا.

والآن لننظر من نفس المنظور الى الذين استفادوا من رسائل النور واخذوا فيض المعاني منها، واصاغوا سمعهم لنصائحها وملأوا قلوبهم وارواحهم من نبعها.

جيش المتطوعين لحملة التعليم

كانت سنوات الثلاثينيات سنوات تم فيها منع قراءة وكتابة ونشر جميع الكتب الدينية، بل منع حتى تواجدها، فقد كانت هذه هي السنوات التي صدر فيها الامر بـ« قتل الدين ». في هذه السنوات كان هناك شيخ اسمه بديع الزمان قد نفي من شرقي البلاد وبدأ باظهار حقائق القرآن فهو يقول (لقد ضحيت حتى بآخرتي في سبيل تأمين سلامة ايمان المجتمع. فليس في قلبي لاحب الجنة ولا خوف جهنم، ففي سبيل المجتمع التركي وفي سبيل ايمان المجتمع التركي البالغ ٢٥

مليونـاً فانني على استـعداد ليس فـقط بتضـحية سعيد واحـد بل بألف سعيـد. فاذا بقي قرآننا دون جماعـة على سطح الارض فانني لا ارغب حتى في الجنة لانهـا ستكون هي ايضـاً سـجناً لي. وان رأيت ان ايمان امتنا في خـير وتحيطه السلامـة فانني ارضى ان احرق في لهـيب جهنم، ذلك لانه بـينمـا يحـتـرق جـسـدي يكون قلـبي في سـعـادة وفي سرور)(٨). وفي «بارلا» وهي ناحـيـة من محـافظة «اسـپـارطة» املى رسالة بـ(٢٠ – ٣٠) صـفـحة حـول الآخـرة وحـول الايمان، وحـيث هربت الى قرية «صـاو» بشكل سري. وهنا شمر كل من يعـرف القراءة والكتابة من الرجـال والنساء والاطفال عن ساعده لمساعـدة هذا العالم المجاهد والاسراع الى معاونته، فبدأ الف قلم في كتابة هذه الرسالة على ضوء الشموع وفي اماكن مخفية في البيت ومسدلة عليها الستائر، ذلك لان رجال الجندرمـة ورجال الامن ان اطلعوا على ذلك فالمصير المعلوم هو السجن.

وبينما نعجز نحن عن دفع الطلاب للقـراءة رغم التشويق بالمكافأة او التخويف بالدرجـات، ورغم قيامنا بتأمين تيسيـرات مادية عديدة. اذن فما هو الحافز الذي دفع هؤلاء القرويين بدءً من اطفالهم حتى شيوخهم الى القـراءة والكـتـابة؟ هذا رغم وجـود الضـغط الحكـومي والتـهـديد بالسجن.

لاشك ان علماء الاجـتمـاع وعلماء التربيـة في العالم سيتناولون في المستـقـبل القـريـب تلك الظاهرة بـالدراسة الجـادة. ونحن اذ نـحـيل هذا الموضيوع اليهم نرجع الى ايامنا الحالية.

جامعة الشعب

لقد قام بديع الزمان بتأليف كتب يستطيع كل الناس مهما كانت اعمارهم ومستوى تعليمهم من الجلوس جنباً الى جنب لدراستها والاستفادة منها. وقراءة هذه الكتب والاستفادة منها لاتستوجب اية كلف ولا اية امكانيات مادية، ولاتستوجب مكاناً او زماناً معينين. ففي كل زمن وفي كل مكان يمكن الاستفادة منها. لذا فان كتب بديع الزمان اضاءت كل مكان دخلت اليه، وقلبت السجون الى مدارس يوسفية(*)، وقلبت المدارس الى مراكز تفكير وحولت المصانع الى اماكن عبرة والبيوت الى قصور سعادة. ويوضح بديع الزمان فيقول بان التربية التي توفرها رسائل النور في (٥ – ١٠) اسابيع كانت المدارس الدينية القديمة لاتوفرها الا في (٥ – ١٠) سنوات (٩).

ففي كل مساء وفي كل مدينة يجتمع مئات – وفي المدن الكبرى آلاف – من الناس من اعمار مختلفة ومستويات تعليم مختلفة بشكل مجموعات تتألف كل مجموعة من ثلاثة الى خمسة اشخاص يجلسون معاً ويقرأون رسائل النور بينهم. فكأن رسائل النور جامعة شعبية مفتوحة لكلٍ طبقات الشعب. جامعة ينتسب اليها الجميع بكل حب وشوق اعتباراً من الطفل بعمر سبع سنوات الى الشيخ بعمر سبعين سنة.

ان تحول رسائل النور الى مثل هذه الجامعة الشعبية كان بسبب وجود بعض الخصائص فيها، منها:

(*) اشارة الى سجن يوسف عليه السلام وقيامه بالدعوة داخله.= المترجم

١– انها تهدف الى توجيه الانسان الى الله سبحانه وتعالى وتقريبه منه.

٢– انها تتناول الانسان بجميع جوانبه المادية والمعنوية، وتذكر المقاييس التي تؤدي الى سعادة الدنيا والآخرة.

٣– بدلاً من تلقين اليأس والقنوط فهي تنفث على الدوام الشوق الى العمل.

٤– لفت الانظار الى ان جميع الموجودات التي تحيط بالانسان وكل موجودات الكون مخلوقة لغاية ولهدف، وكذلك الى الحكم البديعة للخلق والمصاغة بموازين حساسة ومقاييس دقيقة وذلك لكي يتمزق ستار الالفة من امام الانظار.

٥– تقريب حتى أشمل الحقائق الاسلامية الى العقول وذلك عن طريق ضرب الامثال وجعلها سهلة لاترهق الاذهان.

٦– عند تبليغ الحق والحقيقة لايقوم المؤلف بتوجيه الخطاب الى الغير بل يوجهه الى نفسه، اي وجود اسلوب يتسم بالصدق وبالنزاهة.

٧– كون هذه المؤلفات مرآة صادقة لحقائق القرآن.

عندما تتحدث الى الاشخاص الذين يقرأون رسائل النور ستجد ان كلا منهم قد استفاد من رسائل النور حسب قابلياته وحسب سعته النفسية فازداد ايمانه وتعمق، وتوسع حبه وشفقته للافراد وللمجتمع، وقويت روابطه مع بلده ومع امته، وتقدمت احاسيس الفداء والتضحية عنده الى المقام الاول. ويكمن سر هذا في نظام التربية لرسائل النور.

ذلك لان هذه المؤلفات لاتكتفي بمخاطبة العقل، بل تأخذ الاحاسيس والمشاعر الاخرى ايضاً في نظر الاعتبار. ويعطي بديع الزمان التقييم التالي في هذا الخصوص:

(ان حقائق رسائل النور – التي هي بمثابة الغذاء والطعام – تأخذ حصصها من العقل ومن القلب ومن الروح ومن النفس ومن الحس)(١٠).

ويقول في موضع آخر:

(لقد رأيت فيها «يقصد رسائل النور» ذكراً كلياً وفكراً واسعاً، وتحليلاً غزيراً ودروساً ايمانية قوية، واطمئناناً دون غفلة، وحكمة قدسية وعبادة تأملية)(١١).

مقياس التضحية

تلخص رسائل النور مقياس التضحيات الممكن تقديمها للبلد وللامة كما يلي:

(ان قيمة كل امرؤ هي بنسبة همته، فمن كانت امته هي همته فانه يعد بذاته امة صغيرة... اما من كانت همته نفسه، فلا يعد هذا انساناً)(١٢).

اذن فهذا هو الفرق بين التربية التي نعطيها نحن، وبين التربية التي تعطيها رسائل النور، فهي لاتعد المرء الذي يفكر في نفسه لائقاً بصفة الانسان.

رسائل النور حولت السجون الى اصلاحيات

يقوم بديع الزمان بتحليل الحوادث التاريخية كعالم اجتماعي، ويستخرج منها دروساً مهمة من الناحية التربوية:

(عندما كنت اسيراً في روسيا بدأت العاصفة البلشفية في السجون في بداية الامر، كما بدأت الثورة الفرنسية الكبرى اول امرها من السجون، لذا فقد حاولنا نحن طلاب النور ان نصلح من احوال المسجونين في سجون «اسكي شهر» و «دنيزلي» وهنا في «افيون» قدر امكاننا. وقد رأينا فائدة كبيرة في «اسكي شهر» و«دنيزلي»(١٣).

يجب الا ننسى ان حاجة المسجونين الحاليين الى رسائل النور اكثر من اي عهد آخر.

اهمال التربية الدينية ادى الى ظهور الفوضى

لقد نبه بديع الزمان مسؤولي ذلك العهد على الدوام وبشكل متكرر الى ان اهمال التربية الدينية للشباب سيؤدي الى اضرار لايمكن تلافيها في المستقبل، وان الفوضويين سيتسلطون على رقاب الامة والبلد. وقد بين هذا في احدى المحاكم فقال:

(لماذا انتم مشغولون بنا وبرسائل النور ايها السادة؟ انني اوكد لكم بانني ورسائل النور لانقوم بمحاربتكم او مبارزتكم، بل حتى مجرد التفكير بكم قد يكون خارج مهمتنا. ذلك لان رسائل النور وطلابها

الحقيقيين يسعون لتقديم خدمة كبرى للجيل القادم بعد خمسين سنة لانقاذه من ورطة كبيرة ولانقاذ الامة والوطن من خطر كبير.

وعلى فرض المستحيل فلو عُدّ تقديم هذه الخدمة (التي تسعى لتأمين السعادة والسلامة) مبارزة فمن الواجب الا يهم هذا المدفونين في المقابر والذين تحولوا الى تراب (*) مع ان هذه الامة المضحية قدمت من اعماق روحها وطوال ألف سنة امثلة لاتضاهي من البطولات في خدمة القرآن الا ان الجيل القادم يمكن ان يقوم بتلطيخ هذا الماضي المشرق لطخة كبيرة قد تقضي عليه. لذا فان انقاذ قسم من هذا الجيل من هذا السقوط المريع بتزويده بالحقائق التي تحتويها رسائل النور افضل خدمة لهذه الامة ولهذا الوطن. ولكوننا نعلم هذا فاننا لانفكر في انسان الزمن الحالي بل انسان ذلك الزمن.

(ذلك لان المسلم لايشبه غيره. فان ترك دينه وخرج من سجية الاسلام وقع في الضلالة المطلقة واصبح فوضوياً لايمكن السيطرة عليه... ومادامت هذه هي الحقيقة، فان الواجب الاول لجهاز العدالة ليس اتهامي واتهام طلاب النور، بل القيام بحماية رسائل النور وحماية طلابها لكونهم يحافظون على اعظم حق من حقوق الامة والوطن، فان الاعداء الحقيقيين لهذه الامة ولهذا الوطن يهاجمون رسائل النور ويدفعون اجهزة العدالة – بعد خداعها – لارتكاب افظع ظلم وافظع جناية على العدالة)(١٤).

(*) المقصود بهذا هو مصطفى كمال: فقد اتهم بديع الزمان بانه يعمل ضد مصطفى كمال وضد افكاره ومنجزاته! وهو يدافع عن نفسه ويقول بأن المفروض الا يتهم بمعاداة شخص هو الآن ميت واصبح جسده تراباً. المترجم.

من كان في اعمارنا يعلمون جيداً أننا قد شببنا على نغمات الهجوم على بديع الزمان وعلى رسائل النور، وكبرنا على تلقين مستمر بانهم يشكلون ضرراً حالياً وضرراً في المستقبل على الوطن وعلى الامة. ولكن عندما قمنا بالبحث والتدقيق عن قرب تبين لنا ان الحقيقة ليست كذلك.

حسناً؛ ماذا قال هذا العالم في كتبه؟

لقد اراد ان تتم المحافظة على الوطن وعلى الامة والدفاع عن حقوقنا وان يحافظ الانسان ولاسيما الشباب منهم على ايمانهم في سبيل سعادتهم الدنيوية والاخروية.. واشار الى ان المسلم ان خرج عن إسلامه اصبح شخصاً ضاراً لنفسه ولاسرته ولمجتمعه وسيكون فوضوياً.

ألم تكن هذه هي النتيجة؟ لقد اظهر النظام التربوي الخاطئ كم كان بديع الزمان محقاً.

مثال حي:
على ما احدثته رسائل النور من انقلاب في القلوب والنفوس

اود ان اقرأ عليكم رسالة واردة من المنطقة الشرقية الجنوبية للبلد من احد طلاب النور دون ذكر اسم المدينة التي وردت منها الرسالة:

(اخوتي الكبار الاعزاء المحترمين الماضين في الخدمة القرآنية بثبات وحكمة:

اولاً: اهنئكم بمناسبة حلول الشهور الثلاثة. وادعو الرحمن الرحيم ان يجعل هذه الشهور الثلاثة المباركة وسيلة رحمة للعالم الاسلامي ولنا.

ثانياً: بينما تعصف الاعاصير المادية والمعنوية في شرقي البلاد في هذه الايام التي لبست فيها ثوباً ابيض كالكفن، فان نتائج حلوة حلاوة السكر تظهر تحت الاستار الباردة للثلوج.

ثالثاً: هناك حوادث فظيعة تحدث في المدرسة الثانوية هنا نتيجة تدخل اصابع قوى الشر فالمظاهرات والمقاطعات، وكل مظاهر الفوضى تعصف بالبلد هنا ويُهدد اخواننا وتظهر كل اسباب السقوط والانهيار، ومع ان جميع الترتيبات والوسائل المادية جُربت فان الهدوء لم يسد في المدرسة. فالجمعيات السرية لاتفتأ تمد اصابعها ومؤامراتها فتثير الشغب والفوضى والدمار. اما جماعتنا واخواننا في صفوف هذه المدرسة، فقد توجهوا الى الله تعالى الذي هو سبب الاسباب كلها.. التجأوا اليه وبدأوا بنشاط كثيف. اذ دعي احد قادة مسببي الفوضى الى الغداء، ثم تم اعطاء درس استغرق ساعتين حول التوحيد والحشر والنبوة. وفي نهاية الدرس قام الشاب من مكانه بسرعة قائلاً: «امهلوني ساعة واحدة، سارجع ثانية» وبعد فترة جاء مع بعض رفاقه قائلاً: «استاذي.. ارجو منكم ان تعيدوا على اسماع هؤلاء ماذكرتموه لي».

وقمنا نحن بالتحدث معهم لفترة من الزمن فقاموا وصلوا معنا صلاة العشاء. وبعد الصلاة اعترفوا لنا قائلين: «لم نكن نعرفكم على هذا

الوجه. لقد عوملنا حتى الآن معاملة سيئة فيها إهانة. فقد ابدى الجميع لنا ردود فعل خشنة حتى عوائلنا. ولكنكم ابديتم لنا حنان الام لوليدها واستمعتم الى همومنا ووجدتم لها شفاءً وعلاجاً. سنأتي اليكم من الان فصاعداً نحن واصدقاؤنا».

وفعلاً بدأوا يجلبون كل يوم عـدداً من اصدقائهم. وكان هؤلاء هم الرؤساء والقـياديون في كل صف. وقـال اكثرهم: «لو لم نأت الى هنا لإلتحقنا بمن في الجبل».

وكم كانت دهشة المحيطين بهم، اذ كيف تغير هؤلاء كل هذا التغير في ظرف اسبوع واحد؟! وعندمـا دخل احد المدرسين الـصف وجده صفاً هادئاً والكل جالسين في اماكنهم وبيدهم كتب ذات اغلفة حمراء وهم يقرأونها.

سـأل الطلاب «مـاهذا الكتـاب؟» اجـابوه «انه رسـائل النور لبـديع الزمان» وعندما رجع الى غرفة المدرسين سمع الشئ نفسه من المدرسين الآخرين، فالكل كانوا مذهولين من درجـة التغير الايجابي الذي اصاب هؤلاء الطلبة في مثل هذه المدة القصيرة، ومن درجة صلاحهم الحالي.

ان رسائل النور تجري تأثيرها الايجابي على الجميع في هذه الاماكن حـالياً ولله الحـمد. وفي احـدى الاقـضيـة القريبـة قـدم اخونا مـصطفى خدمـة ايجابيـة مشـابهة، وقـد سر مـدير المدرسة والمدرسـون من ذلك سروراً بالغاً فالمدرسة تموج بالشبـاب. وشرقي البلاد في حاجة ماسة الى المعاني الايجـابية لجماعـة النور، والخدمة النورية اصبـحت نقطة استناد للامة الواقعة في ظلام اليأس.

« والخلاصة اننا ندعو الله تعالى بان ينقذ شرقي البلاد برسائل النور في القريب العاجل . وان يخلص امة محمد من موارد التهلكة هذه ومصائبها... آمين. وان يهيئ من ينذر نفسه لخدمة شرقي البلاد ممن ينذرون انفسهم دون اي تردد للخدمة النورية ولايخشون الموت مثلهم في ذلك مثل استاذهم بديع الزمان. آمين يارب.

« وندعو الله ان يحقق ما تريد رسائل النور تحقيقه للعالم الاسلامي باجمعه ومايرضى عنه رسول الله ﷺ . آمين يارب. وان يوفق المجاهدين من طلبة رسائل النور الساعين لتحقيق هذا المعنى وفي ايفاء هذه الخدمات باخلاص وثبات حتى نهاية اعمارهم . آمين يارب.

اخوكم صالح المحتاج الى دعائكم

مامعنى هذا ومالحكمة منه؟ اين يكمن السر الذي يقلب اناساً فقدوا توازنهم المادي والمعنوي الى درجة النية للصعود الى الجبل في مدة اسبوع وهي مدة قصيرة جداً الى اناس محبين للحق وللحقيقة الى درجة العشق؟

نجد ايضاً جواب هذا السؤال في كلمات بديع الزمان إذ يقول:

(ان دروسنا الايمانية هي ضد الفوضى وضد اثارة الفتن وضد الماسونيين وضد الشيوعيين. ليسألوا من دوائر الامن لعموم القطر أيوجد ضد فرد من افراد طلاب النور البالغ عددهم (٥٠٠) الف طالب (وهو العدد الذي قدمه مقام المدعي العام عام ١٩٤١ حول عدد

طلاب النور) اية تهمة حول قيامه باية حادثة للاخلال بالامن؟ لاتوجد... طبعاً لاتوجد. وذلك لوجود الايمان في قلوبهم، وهو افضل حارس للنظام والاستقرار..

(ان المسلم الحقيقي، والمؤمن المخلص لايمكن باي حال من الاحوال ان يكون نصيراً للفوضى واثارة الشغب، لان الدين ينهى عن الفتنة وعن الفوضى نهياً قاطعاً وشديداً)(١٥).

اذن فهاهنا يوجد مفتاح السعادة والاطمئنان للاسرة وللمجتمع. اذن فعلى جميع من يرغب في استتباب الامن في الداخل وعلى جميع المربين وعلى جميع محبي بلده وامته من المسؤولين واصحاب الصلاحيات ان يتأملوا المعنى الذي عبرت عنه هذه الرسالة دون اي حكم مسبق.

ويرى بديع الزمان ان بعث هذه الامة من جديد لن يكون الا بالالتزام بالدين: (ان الدين حياة الحياة ونورها واساسها، احياء الدين احياء هذه الامة)(١٦).

ان مفتاح الاستقرار والسعادة في حياة المجتمع هو الدين، ويعبر بديع الزمان عن هذا بقوله:

(ان علينا ان نداوي الامراض المعنوية وذلك باحياء الاستقامة والصدق الذي هو اساس حياتنا الاجتماعية. اجل ان الصدق والاستقامة هما العقدة الحياتية للحياة الاجتماعية للاسلام)(١٧).

وهو يرى ان اليأس اي انقطاع الامل هو احد الامراض المعنوية للمجتمعات. ويجب ان لاتُبعد هذه المسائل عن الانظار في التربية.

(اليأس يمنع بلوغ اي كمال... والذي مزق العالم الاسلامي مزقاً متناثرة هو اليأس ، فهو افظع سرطان، اي المرض الوبيل للامم وللشعوب)(١٨).

يجب تقديم العلوم الوضعية والعلوم الدينية معاً

يرى بديع الزمان انه لكي ينهض هذا البلد في اطار من الاستقرار فان من الواجب اعطاء العلوم الوضعية والعلوم الدينية معاً للشباب. وهو يعبر عن هذا بقوله:

(العلوم الدينية هي ضياء الوجدان، والعلوم المدنية هي نور العقول، وتتجلى الحقيقة من امتزاجهما. والطلبة يستطيعون التحليق بهذين الجناحين. فان افترقا عن بعضهما تولد التعصب عند اولهما وتولد الشك والحيلة عند غياب الثاني)(١٩).

ان جامعاتنا التي تدرس العلوم والتقنية وعلوم الفلسفة اهملت حتى الآن الجوانب المعنوية للشباب. فانقلب معظم الشباب اما الى فوضويين او الى اشخاص مثقفين يضعون منافعهم الذاتية فوق كل اعتبار ويخططون لكيفية الوصول الى الثراء من اقصر طريق.

ان ما نقترحه هنا هو القيام - دون اضاعة اي وقت آخر - بجعل تدريس رسائل النور في المدارس المتوسطة والدراسات العليا وفي جميع المؤسسات التعليمية اجبارياً وان تقرأ في الراديو والتلفزيون، وتطبيق هذا سيكون وسيلة لتوحد هذه الامة مع العالم الاسلامي ان شاء الله.

ويبين بديع الزمان بان امتنا ستفتخر امام العالم الاسلامي برسائل النور اذ يقول:

(انني اود ان ابين لكم قناعتي الاكيدة والجازمة ونتيجة لامارات ودلائل عديدة بان هذا الوطن وهذه الامة وحكومة هذا البلد ستحتاج في المستقبل القريب الى مؤلفات مثل رسائل النور امام العالم الاسلامي وامام العالم باجمعه وستظهر كيانها وكرامتها وشرفها ومفاخرها التاريخية بابراز هذه المؤلفات)(٢٠).

ويشرح السبب في ذلك فيقول:

(... لو جاءت الضلالات والسيئات من الجهل فان ازالتها سهل، ولكن ازالة الضلالات الآتية من العلوم ومن العلوم الوضعية تكون صعبة جداً. وبما ان الضلالات تأتي في هذا الزمان من العلوم فان ازالة هذه الضلالات وانقاذ من يسقط فيها من الجيل القادم تحتاج الى مؤلفات جيدة مثل رسائل النور تستطيع ان تقف في وجه هذه الضلالات)(٢١).

مدرسة الزهراء

يرى بديع الزمان ان الاساس في الامراض المهمة التي يشكو منها العالم الاسلامي كالتأخر والفقر والاختلاف هو الجهل، وان الحكم في المستقبل سيكون للعلم وليس للسيف:

(ان الشجاعة الايمانية والعقلية والعلمية هي التي تسود وتحكم الآن. فان مثقفاً واحداً قد يعادل مئة احياناً، والاجانب يتغلبون بهذه الشجاعة لأن الشجاعة الفطرية وحدها غير كافية) (٢٢).

ويتقدم بالنصيحة التالية:

(عليكم ان تصنعوا سيوفكم من جوهر العلم والفن وتساند الحكمة القرآنية) (٢٣).

ويشير بصورة خاصة بان ازالة الفقر المادي والمعنوي في الولايات الشرقية تتم برفع مستوى التربية والعلم والعرفان، لذا اقترح انشاء جامعة شرقية وضع لها اسم «مدرسة الزهراء» واوضح المسائل الاساسية لهذه الجامعة مثل هدفها وتشكيلاتها ومفرداتها وماهيتها ومصادر تمويلها. بالنسبة لهدفها وماهيتها يقول مايلي:

(كما ان جامع الازهر يعد مدرسة عمومية في افريقيا، ولكن آسيا اكبر من افريقيا وبقد الزيادة بينها فان قارة آسيا تحتاج الى دار فنون والى جامعة اسلامية اكبر، وذلك لكي لاتستطيع الفكرة العنصرية افساد الامم الموجودة في البلدان العربية والهندية والقفقاسية في بلاد تركستان وكردستان، ولكي تساعد على توسع الفكرة الملية الحقيقية والايجابية والمقدسة التي هي الملية الاسلامية ﴿ **انما المؤمنون اخوة** ﴾ (الحجرات: ١٠) والتي هي احدى القوانين القرآنية الاساسية) (٢٤).

وهو يرى ان مدرسة الزهراء المذكورة يجب ان تنشأ بالشروط التالية:

١- ان تحمل اسم «المدرسة».

٢- يجب ان تدرس العلوم التي كانت تدرس في المدارس الدينية القديمة مع العلوم الحديثة، اما لغة التدريس فهي اللغة العربية والتركية والكردية على ان تكون اللغة العربية واجبة واللغة التركية لازمة واللغة الكردية جائزة.

٣- ينتخب المدرسون ممن يملكون جناحين (اي الذين يتقنون العلوم الدينية والعلوم الدنيوية) والذين يحوزون على رضا الاكراد والاتراك (اي الذين ليست لهم ميول عنصرية) من علماء الاكراد او من غيرهم ممن يعرفون اللغة المحلية (وهي اللغة الكردية) لكي يتم الاستئناس بهم.

٤- تتم الاستشارة مع شخصيات كردية من ذوي القابليات والشجاعة.

٥- يجب وضع شعب متخصصة بجانب الدروس المشتركة.

٦- يجب ايجاد مجالات لاستخدام المتخرجين. ويجب ان يملك المتخرجون من هذه المدرسة حقوقاً مساوية لحقوق المتخرجين من الجامعات الاخرى للدولة.

٧- يجب حصر المدارس التي تُخرج المعلمين في هذه المدارس لمدة مؤقتة، وذلك لكي ينتقل النظام والفيض العلمي من هذه المعلمين الى هذه المدارس، وتنتقل الفضيلة والدين من هذه المدارس الى المعلمين.

٨- تعديل نظام التدريس المنفرد في كردستان وجعله عمومياً. (٢٥)

كان بديع الزمان يعتقد بانه بوساطة مدرسة الزهراء ستزول الفروق الفكرية والنفسية بين المدارس الدينية والمدارس الاعتيادية والتكايا وستتأسس الاخوة والوحدة في العالم الاسلامي ولاسيما في الشرق الادنى.

ولكي يحقق بديع الزمان تأسيس هذه المدرسة فعلياً فقد راجع السلطان رشاد ثم مصطفى كمال واخيراً جلال بايار وعدنان مندرس وقال في مراجعته الاخيرة.

(ان تأسيس مدرسة الزهراء بكل ما تشتمل عليه من معنى في مركز الولايات الشرقية تكون وسط الهند والبلدان العربية وايران وقفقاسيا وتركستان ، اي تأسيس دار الفنون على غرار جامع الازهر، اي جامعة تدرس مواد المدارس الاعتيادية ومواد المدارس الدينية كان هدفاً سعيت من اجله ٥٥ عاماً، تماماً مثلما سعيت في اظهار حقائق رسائل النور)(٢٦).

وبعد افتتاح مجلس النواب كرر طلبه بتأسيس هذه المدرسة لكي ترى النور، ومن ضمن النواب الذين كان عددهم يبلغ مئتي نائب من ضمنهم مصطفى كمال صوت بالقبول ١٦٣ نائباً وجمعوا ١٥٠ الف ليرة. وعندما قال نائبين من هؤلاء النواب:

(اننا اليوم في حاجة الى العلوم المدنية والى اقتفاء اثر الغرب اكثر من حاجتنا الى العلوم الدينية والى العلوم التقليدية). اجابهم:

(لنفرض المستحيل ونقول بانكم لاتحتاجون الى ذلك مطلقاً وباي

وجه من الوجوه ، ولكن ظهور اكثر الانبياء في آسيا وفي الشرق وظهور اكثر الحكماء والفلاسفة في الغرب يدل على ان تأثير الشعور الديني في دفع آسيا نحو الرقي اكثر من تأثير العلم والفلسفة، فاذا لم تعيروا بالاً لهذا القانون الفطري وجريتم وراء تقليد الغرب وتخليتم عن التقاليد الاسلامية وعملتم على بناء اساس لاديني فان وقوع الولايات الشرقية في وسط خمس امم اسلامية كبيرة يحتم عليكم ان تكونوا من انصار الحقيقة الاسلامية لكي يتم تأمين سلامة الامة وسلامة الوطن، بل ان هذا الامر من ألزم اللوازم) (٢٧).

ونستطيع ان نقول مايلي في حق رسائل النور التي تسحر القلوب والنفوس والتي تخاطب وتناسب كل عمر وكل مستوى من مستويات التعليم والتي تجعل الافراد اعضاء صالحين في المجتمع وتقربهم من الله وتجعلهم لائقين للجنة:

انها تقوم باصلاح المدارس الدينية السابقة حسب المفهوم المعاصر وذلك بتأسيس السلام بينها وبين العلوم الوضعية، ومن مزجهما معاً تقدم للبشرية الحائرة بين مختلف نظم التربية والتي تبحث لها عن مخرج انموذجاً جديداً للتربية.. وهي تعكس أنموذج دار الأرقم في العهد النبوي وطراز اصحاب الصفة. ان أنموذج تربية رسائل النور يهتم – ولاسيما بالنسبة للشباب – جداً بالتنشأة حسب التربية القرآنية، فهو يحكم بالنوعية اكثر من اهتمامه بالكمية.

لقد وضع بديع الزمان نصب عينيه في نظامه للتربية تقريب العبد من الله وهدايته الى طرق السعادة الدنيوية والاخروية وتأسيس الوحدة والاخوة والتساند والمحبة بين المسلمين.

الهوامش

1. Bediüzzaman Said Nursî, Sözler (İstanbul:1959), s. 29.
2. A.g.e.s. 333.
3. A.g.e.s. 338.
4. A.g.e.s. 339.
5. Bediüzzaman Said Nursî, Mesnevi-i Nuriye. (İstanbul: Sözler Yayınevi, 1979), s.108.
6. Nursî, Sözler, s.343.
7. Nursî, Mesnevi-i Nuriye, s.119.
8. Bediüzzaman Said Nursî, Tarihçe-i Hayat. (İstanbul: Sinan Matbaası, 1960), s.524.
9. Bediüzzaman Said Nursî, Emirdağ Lahikası, (İstanbul: Sinan Matbaası, 1959) I:245.
10. A.g.e., s.64.
11. Nursî, Tarihçe-i Hayat, s. 256.
12. Bediüzzaman Said Nursî, Hutbe-i Şamiye (İstanbul: Envar Neşriyat, 1990), s.60.
13. Nursî, Tarihçe-i Hayat, s.496.
14. A.g.e., s. 386.
15. A.g.e., s.544-45.
16. Nursî, Sözler, s.703.
17. Nursî, Tarihçe-i Hayat, s.81.
18. Nursî, Hutbe-i Şamiye, s.81.
19. Bediüzzaman Said Nursî, Münazarat. (İstanbul: Sözler Yayın-evi, 1977), s.72.
20. Nursî, Emirdağ Lahikası, I:72.
21. Nursî, Tarihçe-i Hayat, s.387.
22. Bediüzzaman Said Nursî, Divan-ı Harbi Örfi (İstanbul: Enver Neşriyat, 1990), s.28.
23. A.g.e.s. 54.
24. Nursî, Emirdağ Lahikası II:195.
25. Nursî, Münazarat, s. 127-129.
26. Emirdağ Lâhikası, II: 196.
27. A.g.e.

البروفسور الدكتور

شَنَر دِلَك

(جامعة اينونو)

ولد عام ١٩٤٩ في قضاء «هينس» التابعة لمحافظة «ارضروم». وفي عام ١٩٧١ تخرج من كلية ادارة الاعمال في جامعة اتاتورك.

في اعوام (١٩٧٠ - ١٩٧٢) خدم كمدرس في دروس اختصاصه في ثانوية التجارة في ارضروم.

في عام ١٩٧٢ اصبح مساعداً في كلية ادارة الاعمال. وفي عام ١٩٧٦ انهى رسالته في الدكتوراه. في ١٩٨٣ اصبح مساعد استاذ وفي عام ١٩٨٩ رقى الى رتبة استاذ (بروفسور).

يعمل حالياً كاستاذ في كلية الادارة والاقتصاد في جامعة اينونو.

والاستاذ الدكتور شَنَر معروف باطلاعه العميق على رسائل النور وله مؤلفات منشورة في مجال اختصاصه.

منهج وطريقة رسائل النور وغايتها

لقد عملت رسائل النور على تأسيس دولتها بالحكمة، واستمرت في تقديم رسالتها بالكلام الرقيق الناعم وباللسان العذب. وبصبر وتحمل للالام استمرت في دعوتها بالحركة الايجابية دون خوف او وجل ودون ان تنكفئ على وجهها. لقد اتخذت اساساً انسانياً في اسلوبها وطراز حركتها، وتطلعت الى المستقبل بأمل وكونت جيشاً من الفدائيين الخُلّص.

القسم الاول

سلوك ونزعة رسائل النور

عندما يتم تدقيق حركة فكرية او نظام فكري او عقائدي يوضع اولاً بعض المعايير الاساسية التي تكون قاعدة لذلك التدقيق والبحث، حيث

يتم ضمن اطار هذه المعايير امرار هذا النظام الفكري خلال مصاف دقيقة وعرضه على المحك. ذلك لان طريقة الفحص والتدقيق توجب هذا، والوصول الى الحقيقة يتطلب هذا، وهكذا يمكن توضيح ماهية وقيمة ذلك النشاط وتلك الفعالية وذلك النظام الفكري ودرجة اهميته. يقول بديع الزمان سعيد النورسي مؤلف كليات رسائل النور في كتابه« المناظرات »:

(لا يقول اي مفسد: انني مفسد. بل يحاول دائماً الظهور بمظهر صاحب الحق والمدافع عنه او يرى الباطل حقاً. اجل لن يقول احد ان لبنه حامض. ولكن لاتأخذوا منه شيئاً دون تجربته. ذلك لان كثيراً من الاقوال والوعود الباهته منتشرة في عالم التجارة. وحتى كلامي لاتأخذوه باجمعه على علاته لكونه صادراً مني، فلعلي شخص مفسد او انني افسد دون ان اعلم. اذن فلا تفتحوا قلوبكم لكل كلمة صادرة. فدعوا كلماتي في يد الخيال ومرروه على المحك، فان ظهر ان معدنه من الذهب فاحفظوه في قلوبكم، وان ظهر ان معدنه من النحاس فردوه علي رداً غير جميل)(١).

وعلى ضوء هذه الحقائق فقد وضعنا بعض الاسئلة التي هي بمثابة «المحك» فحسب رأينا فان الحركات الفكرية والنظم الايدولوجية يجب ان تختبر وتمتحن بشكل جدي بالاسئلة التي سنذكرها ادناه، وهكذا يتبين الخط الاساسي للنظام الفكري وجذوره وعمقه ومزاجه وهدفه وماهيته ضمن مقاييس محددة.

نستطيع ترتيب الاسئلة التي تختبر النظم الفكرية كما يلي:

١- هل هذا النظام الايدولوجي والحركة الفكرية المراد امتحانها وفحصها تتوافق وتنسجم مع القوانين الفطرية؟

٢- ماهو منبعها ومصدرها وجذورها؟ اهي نابعة من الارض ام هابطة من السماء؟ من يغذيها ويمدها بالقوة ومن اين؟

٣- ماهي تأثيراتها على العالم الداخلي للانسان؟ اهي تأثيرات سطحية وشكلية ام تأثيرات حيوية وعميقة وديناميكية؟

٤- ماهي قيمها الاساسية التي تمكنها من تأسيس وتقوية البنية الاجتماعية؟ وهل لها «اهداف» و«اسس» من زاوية البنية الاجتماعية والعلاقات الانسانية؟ وهل تتخذ الاستقامة والتصرف الايجابي وتأمين الاستقرار والسكون اساساً لها ام غايتها الحقد والدم والانتقام؟

٥- اهي نظم مربية ومعلمة وموسعة لافق التفكير؟ ام تقوم فقط بعرض الشعارات وباثارة الاحاسيس والعواطف والاهواء او تخديرها واعطائها الاماني؟

٦- اهي باتجاه واحد ومقتصرة على حياة واحدة وبُعد واحد هو البعد الدنيوي فقط؟ ام تقوم بمزج المادة مع المعنى وتحتضن الدنيا والآخرة معاً؟

٧- اهي تحت تأثير تيارات ضارة وهدامة داخلية كانت ام خارجية؟ ايمكن ان تدخل الى مدارات تلك التيارات وتكون آلة بايديها وتابعة لها؟

في القسم الاول من محاضرتنا سنقوم ببعض التقييمات المتعلقة بهذه الاسئلة ونوضح كذلك بايجاز سلوك ونزعة رسائل النور ضمن اطار الاسئلة المدرجة اعلاه. اما في القسم الثاني والثالث من المحاضرة فسنتناول «منهج وطريقة رسائل النور وغايتها» بخطوط عامة وبشكل منهجي وبصورة تصلح لان تكون اجوبة على هذه الاسئلة.

السؤال الاول:

أينسجم رسائل النور وتتلائم مع قوانين الفطرة؟

قبل الاجابة على هذا السؤال لنبين شيئاً موجزاً حول قوانين الفطرة.

قوانين الفطرة: هي مجمل ومجموع القوانين التي وضعها الله في الكون والقوانين الجارية في العالم ومجمل القوانين التي ادرجها الله تعالى في ماهية الانسان ممانطلق عليها اسم «سنة الله» او «صبغة الله». قسم من هذه القوانين قوانين جارية في الكون والتي تكتشفها العلوم التجريبية كقانون الجاذبية الارضية وقانون ارخميدس في قوة رفع الماء للاجسام... الخ والقسم الآخر هو القوانين المذكورة في طبيعة الانسان. وندرج ادناه بعض هذه القوانين الفطرية حسب اهميتها:

* «البشرية لاتستطيع العيش دون دين»
* «حب التملك فطري في الانسان»
* «الانسان في حاجة للعطف وللشفقة لانه خُلق ضعيفاً»
* «الانسان عبد للاحسان»

* « لايستسيغ الانسان الدكتاتورية والارهاب »

* « الانسان ليس مخلوقاً مادياً ومخلوقاً سفلياً. فان كانت معدته محتاجة الى الرزق فان قلبه وروحه محتاجان الى الارزاق المعنوية »

* « الانسان مخلوق لحياة ابدية، وفطرة الانسان تبحث عن الحياة الابدية ونور البقاء »

* « الانسان يتذكر من يحبه، ويذكر من يحبه »

* « الالتجاء والاستغفار والاستمداد والدعاء والطلب من لوازم فطرته التي لايستطيع الاستغناء عنها »

* « تتطلب الفطرة منزلة معتبرة للانسان »

ان هذه القوانين الموضوعة للكون والمنقوشة في الفطرة لايمكن نزعها من الكون ورميها، ولايمكن اخراجها من الفطرة واهمالها ، والانسان يصل الى كماله عندما يدرك جيداً العلاقة بين هذه القوانين وعندما يؤسس التوازن بينها. ولكن اكتشاف اسس هذه القوانين المنقوشة في الفطرة وادراك التوازن الدقيق – فيما بينها وتفسير هذا التوازن والنفوذ الى كل طبقات الحياة وعكس الحكمة والعدالة الموجودة بين جميع هذه العلاقات شئ فوق طاقة البشر، لهذا السبب فان البشر في حاجة الى مدرس والى معلم والى مفسر يشرح له هذه الاسس ويوضح له هذه الحقائق.

وهذا المعلم والمفسر هو القرآن الكريم والفرقان الحكيم، وتعرض رسالة النور هذه الحقيقة بالشكل التالي:

(اجل! ان هذا القرآن الحكيم وهذا القرآن العظيم هو اسمى مفسر للكون وابلغ ترجمان له، اجل! انه هو الفرقان الذي يعطي الدرس للانس والجن حول الآيات التكوينية المكتوبة في صفحات الكون وفي اوراق الزمن بقلم القدرة)[٢].

فحسب بديع الزمان فان هذا الكون الرائع العظيم والكامل هو الكتاب الكبير. «اما القرآن الحكيم فهو قراءة كتاب الكون هذا وتلاوة نظامه فهو يقرأ شؤون النقّاش الازلي ويكتب افعاله»[٣]. وهذا الاعلان الحاسم من بديع الزمان يوصلنا الى النتيجة التالية وهي اننا لكي نفهم قوانين الفطرة فعلينا بمطالعة القرآن الكريم.

عندما نقرأ كليات رسائل النور نتقابل مع الحقيقة التالية وجها لوجه: ان الوظيفة التي اخذتها رسائل النور على عاتقها هي ايضاح قوانين الفطرة هذه السارية في الكون وفي الانسان. ولما كانت رسائل النور تفسيراً حقيقياً ومعنوياً للقرآن الكريم، لذا فان غايتها هي قراءة كتاب الكون وبيان هدف الفطرة ونتيجة الخلق ومصيرها. ذلك لان الله سبحانه وتعالى خلق الكائنات من اجل الانسان، وخلق الانسان لمعرفته ومحبته. لنستمع الى هذه الحقائق من بديع الزمان:

(اعلم علم اليقين ان اسمى غاية للخلق وان اعظم نيجة للفطرة هو الايمان بالله. وان اعلى مرتبة للانسانية ، وان افضل مقام للبشرية هي معرفة الله الموجودة في الايمان بالله. وان المع سعادة للانس وللجن واحلى نعمة هي محبة الله الموجودة في معرفة الله. وان اصفى سرور

للروح البشرية، واعذب فرح للقلب الانساني هو اللذة الروحية الموجودة في محبة الله. اجل لاشك ان السعادة الحقيقية كلها، وان الفرح الخالص باجمعه واعذب نعمة واصفى لذة كامنة في معرفة الله ومحبة الله. فلايمكن ان يوجدوا بغيرها. (فكلٍ من عرف الله تعالى حق المعرفة، وملأ قلبه من نور محبته، سيكون اهلاً لسعادة لاتنتهي، ولنعمة لاتنضب، ولانوار واسرار لاتنفد، وسينالها إما فعلاً وواقعاً او استعداداً وقابلية. بينما الذي لايعرف خالقه حق المعرفة، ولايمكن له مايليق من حب وود، يصاب بشقاء مادي ومعنوي دائميين، ويظل يعاني من الآلام والاوهام مالايحصر)(٤).

وهكذا فان الغاية الاولى لرسائل النور هي ايضاح وبيان اسمى نتيجة للفطرة وهي معرفة الله ونقش محبته في القلوب وفي الارواح. وهذا هو محور رسائل النور التي يزيد عدد صفحاتها على ستة الاف صفحة. فهي تدور على الدوام حول هذا المعنى تشرحه وتبحث فيه، وبهذا المعنى تشعل القلوب وتنورها. ويوجز مولانا جامي «الذي اشتعلت فطرته بالوجد وبالعشق الالهي السامي» هذا بهذه الابيات:

اطلب واحداً لاغير... فغيره لايستحق الطلب

استنجد بواحد لاغير... فغيره لايسرع إليك

ارغب في واحد لاغير... فغيره لايليق بك

تطلع الى واحد فقط... فغيره لايظهر كل وقت

اعرف واحداً، واية معرفة لاتزيد معرفتك به لافائدة منها

اذكر واحداً، فكل كلام لايتعلق به لايعنيك.

ويوضح بديع الزمان فيقول (ان من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة، لايستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه في امور الخير والرقي ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع اعماله في سبيل التخريب والشر)(٦)، فتدوسها عجلات الحياة الاجتماعية وتقضي عليها. فمن يعادي الفطرة ويخالفها منعت الفطرة عنه موافقتها وتأييدها (٧). والشيوعية افضل مثال حي على هذا على مسرح التاريخ. ذلك لانها سقطت وانهارت لانها خالفت الفطرة. وكل النظم التي تخالف الفطرة ستسقط وستتهاوى عاجلاً ام آجلاً وتكون أثراً بعد عين.

ويبين بديع الزمان العلاقة بين الاسلام وبين قوانين الفطرة في الجمل التالية:

(اجل! ان حقائق الشريعة التي اتى بها رسولنا محمد ﷺ حافظت على التوازن الموجود في قوانين الفطرة فلم تخل بالمناسبات اللازمة للروابط الاجتماعية فكلما طال الزمن ظهر الاتصال فيما بينها. ويتوضح من هذا ان الاسلام دين فطري للنوع البشري وهو العامل الوحيد في المحافظة على الحياة الاجتماعية ووقايتها من الهزات والزلازل)(٨).

السؤال الثاني:

مامنبع ومصدر رسائل النور؟... أهي ارضي ام سماوي؟... من اين يغذي ومن قبل من؟

ان منبع ومصدر رسائل النور هو القرآن العظيم ومرشدها هو الرسول العظيم محمد ﷺ وسبيلها هو السبيل القويم لاهل السنة والجماعة. وليست هناك قوة من بين القوى التي تبقى المجتمع حياً وقوياً وتربط الناس بعضهم ببعض وتوحدهم لها قوة تأثير مثل قوة الدين، وليست هناك قوة تستطيع ان تحل محل قوة الدين. ولكي تستطيع اية قوة النفوذ الى اعماق قلب الانسان وروحه وربط روحه وقلبه بالحقائق، واثارة الكرامة الانسانية بمشاعر الشوق والوجد فلابد ان يكون مصدرها ومنبعها قدسيا. فاذا لم تكتسب هذه القوى قدسية عامة وكلية فان تأثيرها سيكون باهتاً وضعيفاً. فان كان المصدر مقدساً فان التأثير سيكون جذرياً وعميقاً وكلياً ودائمياً، ويشرح بديع الزمان هذه الحقيقة كما يلي:

(ان قدسية المصدر تظهر تأثير براهين عديدة، وبهذه القدسية تفرض احكامها على الناس عامة)(٩).

وهكذا فان رسائل النور تستمد لمعانها من قدسية القرآن وتترنم بهذه القدسية. يقول بديع الزمان:

(بما اننا نملك في ايدينا معجزة باقية مثل القرآن فان البحث عن برهان آخر يبدو لعقلي شيئاً زائداً، بما اننا نملك برهاناً للحقيقة مثل القرآن الكريم فهل يصعب على قلبي الزام المنكرين وافحامهم؟)(١٠).

السؤال الثالث:

ما تأثير رسائل النور على العالم الداخلي للانسان؟... وهل هذا التأثير سطحي وشكلي ام حيوي وديناميكي وعميق؟

يهتم رسائل النور بالبنية الداخلية للانسان وتتجه لتزيينها. وتأثيرها تأثير عميق وحيوي وجذري، اذ تقوم بتشكيل الروح، وتوسيع افق التفكير وتؤمن امتزاج العقل مع القلب، وتأثيرها تهئ الانسان لاكبر وافضل تغيير. فهي تزرع في العالم الداخلي للانسان مشاعر علوية مثل طلب الرضا الالهي، والاخلاص والفداء والصفاء والصدق. والعالم الغربي والمدنية الغربية لاتعرف مثل هذه المشاعر ولاتفهم مثل هذه المفاهيم، لانها مشاعر ايمانية وعملية ووجدانية وحالية وليست قولية او لسانية. ولانها ليست ضمن الثروة وضمن المادة ولاضمن الشهرة والمظاهر الخادعة.

ان الحياة والعمل هما ساحة تأثير رسائل النور، فتأثرها يظهر في التصرفات ويُقرأ في سيماء الوجوه. وبهذه المناسبة اود ان انقل لكم احدى ذكرياتي:

تعرفت قبل عدة سنوات على شخص قروي لم يدخل لا المدارس الدينية ولا المدارس الاعتيادية، وكان يزورني احياناً ويسأل عني وعن احوالي.. وفي احدى المرات واثناء مسامرتي معه اشار الى رسالة النور في يده قائلا: «هناك اكسير عجيب في هذه الكتب وتأثير مدهش لها»

قلت له: «من اين علمت هذا؟ أقرأتها وفحصتها جيداً؟»

اجابني: «انا لا استطيع القراءة والكتابة بشكل جيد ولم أقرأ كثيراً. ولكن حصلت عندي القناعة التالية نتيجة مشاهداتي:

ضع رسالة من هذه الرسالة في جيب احد الشبان ثم تعال وانظر الى حاله بعد اسبوع، ستجد ان شكله قد تغير وحاله تغيرت وسيماه قد تغير».

السؤال الرابع:

ما القيم الاساسية لرسائل النور التي تمد اساس وقاعدة البنية الاجتماعية بالقوة والمنعة؟ وهل لها اهداف واسس من زاوية البنية الاجتماعية والعلاقات البشرية؟... أتتخذ الامن والاستقرار والفعاليات الايجابية اساساً لها ام تتخذ الحقد والانتقام واراقة الدماء هدفاً لها؟

تعطي رسائل النور اهمية كبرى لصحة البنية الاجتماعية ولاتجاهها، لذا تبذل جهدها لتأمين الهدوء الاجتماعي والراحة العامة. ولاتعير اي اهتمام او التفات لحركات التدمير والهدم والتمزيق، بل ترفع شعار الحركة الايجابية وترى فيها وظيفتها ومهمتها، ولاتسمح مطلقاً بالفعاليات السلبية، بل تسعى لتقوية اواصر المحبة والاخوة في بنية المجتمع، وتطرح ضرورة الاتحاد والامتزاح . وترد بشكل مطلق وتطرد كل المشاعر والافكار التي اطفأت روح الاخوة التي يأمر بها ديننا

الاسـلامي، والتي مـزقت المحبـة والاخـلاص المـوجـود بين المـسلمين كـالشعـور القبلي او العـشـائري او الفكرة القومـيـة او العنصرية او المليـة السلبية.

ان رسـائل النـور ترى ان الحق يجب ان يـكون هو نقطـة الاسـتناد والارتكاز في البنية الاجتماعية. وفي المجتمعات التي يراعي فـيها الحق لايبقى هناك اي مـجال للقوة الغاشـمة ولاتحكمها مثل هـذه القوة. ففي المجتـمع الذي يوزع فـيهـا الحق بصـورة عـادلة يجـد الاتفـاق متنفسـه وحياته.

ان استـحصـال الرضـاء الالهي وتحـقـيق الفـضـيلة هو هدف وغـاية رسائل النور التي تسعى لتحقيقها في البنيـة الاجتماعية. وفي المجتمعات التي تحل المادة والمنافع المادية محل الفـضيـلة والتي تنتشـر فـيهـا المظاهر الخداعـة والتصـفـيق، تكون العلاقات قـائمة على اسس النفـاق والتزلف وفي مثل هذا الجو لايمكن تأسيس المحبة الحقيقية والتساند.

وترى رسائل النور في التعاون دستوراً للحيـاة الاجتماعية ، لذا فهي تهرع لمساعدة الفقير والعاجز والمحتاج والوحيد الذي لاعائلة له ، واليتيم والذي لاصاحب له ولا صـديق. وهي لاتسمح بالتـقاتل والتـصادم ولا بالحـقـد واراقـة الـدمـاء بل تحـاول بـشـفـقـة وحلم مـداواة الامـراض الاجتماعية.

السؤال الخامس:

أتقوم رسائل النور بالتربية والتعليم وتوسيع الافق وبيان السبيل القويم؟... ام تقوم باختراع الشعارات او بالتخدير او بتقديم السلوان او باثارة الاهواء؟

لقد تأسس سلوك رسائل النور على محور القراءة، وهدفها تربية مخاطبيها بالحق وبالمعرفة عن طريق القراءة واكسابهم الشخصية الواثقة. ان مطالعة رسائل النور لذيذة ومنهجها مقنع، اذ تتناول المسائل تناولاً منطقياً وتحليلياً، وتعجنها بالادلة وبالبراهين ، فالى جانب استفادة العقل يستفيد القلب والروح واللطائف السرية الموجودة لدى الانسان، ويأخذ كل منها نصيبها، فمعانيها سامية وافقها واسع، وهي ترمي لتنشأة عناصر دعوة مثالية لهم همم عالية.

ونقدم المنهج التالي لرسائل النور لمؤسسات التربية ولعلماء التربية فهو يستحق منهم البحث والتحليل:

يقول بديع الزمان «ان تصوير الباطل يضلل الاذهان الصافية» ولهذا السبب فان طراز التربية لدى رسائل النور هو تقديم الشئ الايجابي والشئ الصحيح دون شرح الباطل، اي المداواة دون فتح جرح، ذلك لان الانشغال بالامور السيئة ستخلف آثاراً سيئة في القلب وفي الروح وتعكر الاذهان الصافية. وبدلاً من الافكار السيئة والسلبية وبدلاً من اطلاق الشعارات تقوم رسائل النور بتنوير القلوب والنفوس وتبديد الظلام منها وتعلم الخير لكي يتميز عن السوء وتعلم الحق لكي تنقذ من الباطل (١١).

السؤال السادس:

هل رسائل النور باتجاه واحد ومقتصرة على حياة واحدة وبعد واحد هو البعد الدنيوي فقط؟... ام تقوم بمزج المادة مع المعنى وتحتضن الدنيا والآخرة معاً؟

ولكون نظم التفكير الغربي على مدار التاريخ وكذلك في ايمنا الحالية تناولت حقيقة الانسان ببعد واحد ذي صبغة مادية فانها لم تصل ابداً الى اعماق الانسان ولم تعرف دقائق روحه ولا سماته الملكوتية، والنتيجة انها بقيت بجناح واحد ولم تستطع تأسيس التوازن، بينما نرى ان رسائل النور - لكونها تترنم باسس الاسلام التي هي نبع الحياة والسعادة الحقيقة - تأخذ بنظر الاعتبار المسؤولية الاخروية للانسان ووظائفه العبودية بشكل حساس وبشكل جدي الى جانب وظائف الانسان الدنيوية ومسؤولياته الاجتماعية، يقول بديع الزمان:

(فلابد ان أسعد انسان هو من: لاينسى الآخرة لاجل الدنيا... ولايضحي بآخرته للدنيا... ولايفسد حياته الابدية لاجل حياة دنيوية... ولايهدر عمره بما لايعنيه)(١٢).

السؤال السابع:

هل رسائل النور واقعة تحت تأثير تيارات ضارة وهدامة داخلية كانت ام خارجية؟... أيمكن ان تدخل الى افلاك تلك التيارات وتكون آلة بيدها وتابعة لها؟

ان موقف بديع الزمان سعيد النورسي من التيارات المنحرفة عن الحق وعن الحقيقة وعن الدين والعدالة والتي تستند الى العناد والى العصبية الملية والمنافع القومية الضيقة والى انانية النفس، والتي تعمل لحساب ظلم لم تشهد الدنيا مثيلاً له... موقف بديع الزمان لايكتفي ان لايكون مناصراً لها فقط، بل انه يرى ان مجرد الاطلاع عليها وتتبع اخبارها وسماع دعاياتها الكاذبة والمضللة ومشاهدة ظلمها شئ لايجوز. ذلك لان الرضا بالظلم ظلم، فان كان مناصراً له يكون ظالماً فان مال اليه يكون مظهراً للاية الكريمة ﴿ **ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار**﴾ (هود: ١١٣).

وملاحظات بديع الزمان في هذا الموضوع يستحق التأمل اذ يقول:

(ان العالم الاسلامي والقرآن بريئان من هذا التقاتل الذي لايتلائم ولاينسجم مع اي قانون للعدالة ولا مع الانسانية ولا مع اي دستور للحقيقة ولا مع اي قانون او حقوق. اذ لايتنازلان لمعونته ولايتذللان له. ذلك لان الفرعونية المدهشة والانانية هي التي تحكمه، وهو عندما يمد يده لايمدها من اجل خدمة القرآن وخدمة الاسلام، بل لكي يجعل الآخرين تابعين له وآلة بيده. ولاشك ان الحق القرآني لايتنازل للاستناد الى سيوف هؤلاء الظالمين. وبدلاً من الاستناد الى قوة قد تخضبت يدها بدماء ملايين الابرياء فان الواجب على اهل القرآن الالتجاء الى قدرة والى رحمة خالق الكائنات بل هو فرض عليهم)(١٤).

في هذا الزمان يبيع اهل الغفلة والضلالة دينهم بدنياهم، ومع ذلك

ففي نظر هؤلاء الغافلين (الذين يرجحون قطع الزجاج الرخيصة على قطع الماس الثمينة) فان هذه الخدمة الايمانية المقدسة يجب الا تكون تابعة لاي تيار والا تكون آلة بيده. ويقول بديع الزمان بانه لكي لاتنزل قيمة هذه الخدمة القرآنية ولاتصغر في نظر العامة، فانه يجب الا يشغل نفسه بالمسائل الخارجة عنها وبالامور التافهة، ويقول جواباً عمن يسأله عن سبب ذلك فيقول:

(.. ذلك لكي لايصيب خدمتنا المقدسة اي ضرر وسبب ذلك هو: ان الخدمة الايمانية وحقائقها فوق كل شئ في هذه الكائنات ولايمكن ان تكون تابعة لاي شئ آخر ولا ان تكون آلة بيده)(١٥).

(ان اهل الايمان يحتاجون اليوم الى حقيقة بحيث لاتكون تابعة لاي شئ في هذا الكون ولاتكون آلة بيد اي شئ، ولاسلماً وواسطة بيده، لذا فلا يستطيع اي حقد او اية نية وقصد ان يلوثها، ولاتستطيع اية فلسفة او شبهة ان تغلبها... هكذا يجب تقديم الحقائق الايمانية، وهكذا يستطيع اهل الايمان ان يحافظوا على ايمانهم تجاه هجوم الضلالات المتراكمة منذ الف سنة.

(ولهذا السبب فلا تعير رسائل النور اية اهمية للمساعدين الداخليين او الخارجيين مهما عظمت قوتهم، ولاتفتش عنهم ولاتكون آلة بيدهم: ذلك لكي لاتكون (هذه الخدمة الايمانية) سلماً وواسطة لاي غرض دنيوي في نظر عوام اهل الايمان. ولكونها ليست آلة بيد اي شئ ولاتهدف الا الى الحياة الباقية الابدية فانها تكون قوية جداً وتستطيع ان ترد بحقائقها هجوم كل الشبه والشكوك وتزيلها)(١٦).

القسم الثاني

تناولنا في هذا القسم وفي القسم الثالث الذي يليه منهاج وطريقة وغاية رسائل النور.

عند تدقيق منهاج وطريقة وغاية رسائل النور يجب القيام ببعض التصنيف ورسم اطار عام لكي يتيسر فحص وتدقيق الموضوع بشكل متكامل ومنهجي قابل للتحليل، ثم تناول الموضوع وشرحه في خطوطه الرئيسة وضمن هذا الاطار العام.

يمكن النظر الى خطة سير رسائل النور والى اسلوبه وطرازه من زاويتين:

الاولى: ماهي اسس سبيل رسائل النور؟ وبتعبير آخر على اي الاسس اقيم خط سير وسلوك رسائل النور؟

الثانية: ماهي خطط وطرق الخدمة التي تؤديها رسائل النور؟

ضمن هاتين الزاويتين من النظر الى كليات رسائل النور والى الخدمة الايمانية التي تقدمها سنقدم ملاحظاتنا بشكل موجز. ففي هذا القسم الثاني سنوضح اسس سبيل رسائل النور، اما في القسم الثالث فسنوضح طرق رسائل النور عند قيامها بايفاء خدماتها الايمانية.

* * *

اسس سبيل رسائل النور .

١- سبيل رسائل النور هو خدمة الايمان وحمل دعوة القرآن

ان اساس سبيل رسائل النور هو خدمة الايمان وخدمة القرآن. ان غاية الخلق هي الايمان بالله، والدعوى الكبرى هي كسب الحياة الابدية، فهذه اكبر من الحروب العالمية واكبر من موضوع حاكمية الشعب على ظهر هذه الارض. فدعوى ربح حياة باقية وابدية او خسارة تلك الحياة دعوى مفتوحة وتعود لكل مسلم. فان لم يكتسب وثيقة الايمان اكتساباً سليماً فانه سيخسر هذه الدعوى، وهذه هي خلاصة دعوة بديع الزمان ولبها. ولهذا السبب فان السعي لانقاذ الانسان من مستنقع الكفر ومن هوة الفسق والضلالة وجلبه الى دائرة الايمان وبذل كل المساعي والجهود في هذا السبيل الى درجة الوجد والعشق هو محور هذه الدعوى. فالانسان ليس عبارة عن كتلة من الجسد فحسب، اذ لاتنحصر فلسفة حياة الانسان في خدمة هذا الجسد. فلاجل تغذية هذا الجسد وخدمته لايقطع القلب ولا اللسان ولا العقل ولا الدماغ ولايقدم الى الجسد كطعام له.

(ولما كان باب القبر لايغلق، بل ان اجلّ مسألة لدى كل فرد هو قلقه على ماوراء القبر. لذا لاتنحصر الوظائف التي تستند الى احترام الناس وطاعتهم في وظائف اجتماعية وسياسية وعسكرية تخص حياة الامة الدنيوية. اذ كما ان تزويد المسافرين بتذاكر سفر وجواز مرور وظيفة، فان منح وثيقة سفر للمسافرين الى ديار الابد ومناولتهم نوراً

لتبديد ظلمات الطريق وظيفة جليلة، بحيث لاترقى اية وظيفة اخرى اهميتها.)(١٧).

هذه الوظيفة هي الايمان الذي هو مفتاح السعادة الابدية، وترسيخ هذا الايمان وتقويته.

لقد فتحت المدنية السفيهة جراحاً يصعب علاجها في روح البشر. فمن ذا الذي سيمد يده الى الانسان المحطم والممزق والمنحل بسبب التأثير المدمر والخانق للكفر والاباحية؟ من سيحميه ومن سيرشده الى السبيل القويم؟ هذا هو مصدر ألم بديع الزمان. وهو يعبر عن ألمه هذا بهذه الجمل:

(ان العالم يمر بازمة معنوية كبيرة، فالامراض الموجودة في المجتمع الغربي – الذي اهتزت قواعده المعنوية – بدأت تنتشر في سائر الأرض مثل وباء الطاعون. فكيف يستطيع المجتمع الاسلامي ان يواجه هذا الوباء المرعب ويتحداه وباية وسائل؟ أيستطيع ذلك بالصيغ المتفسخة والمتعفنة والباطلة للغرب؟ انني ارى الرؤوس الكبيرة سادرة في الغفلة. فالاعمدة المتهرئة للكفر لاتستطيع حمل حصن الايمان وقلعته. لذا فقد كشفت جميع جهودي حول الايمان وحول الحياة الداخلية للمجتمع ووجوده المعنوي ووجدانه وايمانه.

ولكني عندما افعل ذلك افعله على اساس الايمان والتوحيد الذي اسسه القرآن فقط فهذا هو العمود الاساس للمجتمع الاسلامي، وعندما يهتز هذا العمود فلا يبقى أثر للمجتمع)(١٨).

٢- اساس سبيل رسائل النور هو الاخلاص

ان الاخلاص هو سبيل رسائل النور. فالخلاص والنجاة هو في الاخلاص، والشفرة المعنوية من اجل قبول الخدمة القرآنية ونجاحها هي الاخلاص. ففي العمل يجب قصد وجه الله تعالى. ويقول بديع الزمان ان اكبر قوة لرسائل النور تكمن في الاخلاص. وقد الف رسالة بهذا الخصوص. ويظهر مدى اهتمامه بالاخلاص من الكلمة التي وضعها في اول رسالة الاخلاص فقد قال :« يجب اعادة قراءة هذه الرسالة كل ١٥ يوماً».

وقد بين بديع الزمان ان ابطال الحقيقة الذين اخذوا الخدمة القرآنية على عواتقهم ان طريق التخلص من الاحاسيس القذرة مثل الرياء وحب المظهر والحسد والحرص والطمع يتحقق بالاخلاص. ان حب الجاه وهوى توجيه الانظار الى النفس مرض روحي. ان سبيل رسائل النور هو جعل طلب رضا الله تعالى هو الاساس.

فاذا كانت رسائل النورقد نجحت كل هذا النجاح وتنجح فان السبب في هذا يكمن في سر الاخلاص.

٣- اساس سبيل رسائل النور هو الاخوة

ان العلاقة في رسائل النور هي علاقة صميمية قائمة على الاخوة الحقيقية دون انتظار اي مقابل. ليست مثل العلاقة الموجودة بين الشيخ وبين المريد، ولابين الاب وابنه. فطلاب النور اخوة واصدقاء في مائدة

درس القـرآن يعين بـعـضـهـم بعـضـاً، ويعـبـر عن هذا فـي رسـائل النور بـ« الفناء في الاخوان ». اي فناء بعضهم في بعض، اي العيش فكرياً في مزايا اخيـه، فان رآى فيه نقصـاً اكمله وان رآى فيه فتـقاً رتقه، وان رآى فـيـه سـوءً تألـم له ونصـحـه بكل لطـف، وحـاول اصـلاحـه دون ابداء خشونة او اظهار حب السيطرة عليه.

ان الايمان يقتضي المحبة، والاسلام يقتضي الاخـوة، فروابط الوحدة الموجـودة بين المؤمنين والاتفـاق والامتـزاج مـؤسسـة بفـضل اسمـاء الله الحسنى.

ويشرح بديع الزمان هذا الترابط كما يلي:

(ان خالقكما واحد، ومالككما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد.. وهكذا واحد واحد الى ان تبلـغ الالف، ثم ان نبيكما واحد، دينكما واحد، قبلتكما واحدة، وهكذا واحد واحد الى ان تبلغ المائة. ثـم انكما تعيشان مـعاً في قرية واحدة، تحت ظل دولة واحدة، في بلاد واحدة.. وهكذا واحد واحد الى ان تبلغ العشرة)(١٩)

كل هذه الروابط سـلاسل مـعنوية تسـتطيـع ربط الكائنات والعـوالم بعـضهـا ببعض وهذه الاواصر ليست مـادية او شكليـة او سطحيـة او سياسية بل تستمد نبعها من القرآن وتستثار بالانفعالات المقدسة للحمية الدينيـة فهي عـلاقـات واواصر تتـحـد وتتمـاسك وتتكامل ضـمن روح الدعوة.

٤- سبيل رسائل النور هو العجز والفقر والشفقة والتأمل

سبيل رسائل النور قائم على هذه الاسس الاربعة. وقد وصف بديع الزمان هذا الطريق الذي استخرجه من القرآن الكريم بانه اقصر طريق للوصول الى الله واسلمه وامضاه. فالمؤمن يرقى ويسمو بقدر ادراكه عجزه تجاه الله وفقره وبقدر ادراكه نقصه وقصوره. وهكذا يوصله العجز عن طريق العبادة الى اسم المحبوب، ويوصله الفقر الى اسم الرحيم. وعندما يسلك المؤمن طريق استعمال واستغلال فقره وعجزه فانه يصبح مرآة لتجلي الصمدانية.

ان ربع سلوك رسائل النور شفقة . فمن اسس رسائل النور مد يد الشفقة باسم القرآن ومن اجل الآخرة الى الناس المحيطين من الناحية المعنوية، والسعي لانقاذهم والعمل من اجلهم وبذل كل الجهود في سبيل هذا الانقاذ.

الشفقة مثل الحب والعشق (بل ربما اكثر منهما) طريق واسع ومؤثر. فطريق الشفقة هو طريق الرحمة، وبديع الزمان متصل مع جميع المسلمين، بل حتى مع جميع الناس بسبيل الشفقة، والجمل التالية تبين مدى شفقته الواسعة.

(يقولون لي: لم تعرضت لفلان ولعلان؟ انهم لايدركون.. ان امامي حريقاً هائلاً يصل لهيبها الى السماء ويحترق فيها اولادي، ويحترق فيها ايماني. وانا اهب لاطفاء هذا الحريق ولانقاذ ايماني، فاذا تعثرت رجلي بشخص يحاول منعي عن ذلك فما اهمية ذلك؟ وماذا

تعني هذه الحادثة الصغيرة امام هذا الحريق الهائل المرعب؟ آه من التفكير الضيق ومن النظرة الضيقة!)[20].

والتفكير اساس آخر من اسس سبيل رسائل النور. فتناول المواضيع والمسائل بابعادها الواسعة والتفكير فيها بدقة وبعمق، وامرار الاحداث من اشعة الفكر وتصفيتها ثم تصنيفها وتحليلها للتوصل الى تركيبها من اسس سلوك رسائل النور. فهناك تفكير شامل وتأمل عميق في رسائل النور وابعاد التفكير المتعلق بالمعرفة فيها ذات آفاق واسعة وذاتية. والتفكير الذاتي تفكير عميق ودقيق. ففيها سباحة في شواطئ الاسرار الالهية باستخدام خريطة الحقيقة الانسانية وبمطالعة مرآة الماهية الانسانية بوجدان مذعن للحق وبايمان تحقيقي سمته الاطمئنان.

ان آفاق التفكير التي تكسبها رسائل النور للانسان هي قراءة ومطالعة كتاب الكائنات باباً باباً وصفحة صفحة وسطراً سطراً باسم الله وعلى ضوء الاسماء الحسنى لله.

هناك ترغيب كبير للتفكر وللتأمل في رسائل النور، وذلك للوصول الىٰ سر الحديث النبوي الشريف (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) المقصود من العبادة هنا اداء النوافل.

٥- سبيل رسائل النور هو الثبات بصدق

فرسائل النور (تطلب من مريديها ومن طلابها الصادقين والثابتين بقوة ثمن الكسب الكبير والربح العظيم والنتيجة الثمينة جداً التي يكتسبونها صدق خالص وتام، وثبات دائم لايهتز)[21].

ان الثبات والاستمرار في اداء الخدمة الايمانية حتى الموت ومهما كانت الظروف والاحوال ودون خوف او تراجع، والايمان بالدساتير الموجودة في رسائل النور والمحافظة على العزة وعلى الكرامة الاسلامية واظهار الوفاء والاخلاص والصدق لدعوة القرآن من اسس سبيل رسائل النور.

لقد كان ابرز صفات رجال الاسلام العظام الذين لعبوا ادواراً حاسمة في التاريخ الاسلامي، والابطال الذين حفروا اسماءهم في سجل التاريخ هو الثبات المخلص الصادق، فبهذا الصدق والثبات تسير الدعوة وتبقى حية. والصدق عند بديع الزمان كان من نوع الصدق الصديقي (*) والكلمات التالية تعبر بكل جلاء عن مدى صدقه وبطولته:

(لو كنت املك رؤوساً بعدد شعرات رأسي، وبدأوا كل يوم بنزع رأس من رؤوسي لما تخليت عن الخدمة الايمانية.. لو حولتم الدنيا الى نار تصبونها على رأسي لما أحنيت هذا الرأس – الذي وضعته فداء للحقيقة القرآنية – امام الزنادقة) (٢٢).

٦– سبيل رسائل النور هو الشوق المطلق والشكر المطلق

من اسس رسائل النور ايفاء الشكر لله تعالى في جميع الاحوال وفي جميع الاوقات، في الالم والحزن، في الفرح والسرور، دون الوقوع في هوة اليأس ودون فقدان الامل والشوق والعزيمة، ومهما كانت الظروف

(*) نسبة الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه. المترجم.

والاحوال فيجب ايفاء هذا الشكر دون اتهام الرحمة الالهية. اذ يرى بديع الزمان ان (اليأس يمنع كل نوع من انواع الكمال، والذي فرق العالم الاسلامي ومزقه تمزيقاً هو اليأس. فاليأس هو افظع داء يصيب الامم والشعوب فهو سرطان الامم)(٢٣).

فاليأس يمنع بلوغ كل نوع من انواع الكمال وهو جبن وصفة للعاجزين.

لم يسقط بديع الزمان في ظلام اليأس حتى في تلك العهود المظلمة المرعبة التي صدرت في حقه احكام الاعدام ودبرت ضده خطط الخيانة، ولم ينحن ولم يفقد جلده بل حافظ على عزته الدينية، وبذر بذور الامل في كل مكان ذهب اليه مثيراً الهمم وملهباً الحماسة والشوق للدعوة. والحماسة والشوق الموجود في رسائل النور ليس من الانواع التي تأتي مع الاحداث وتذهب معها. بل هو شوق دائمي. لنستمع الى هذا من رسائل النور:

(اجل!.. اجل! لو تخلى البعوض والنحل عن طنينها فلا يفتر شوقكم ولاتأسفوا على شئ)(٢٤).

(اجل! كونوا مفعمين بالامل. ففي الثورة المستقبلية سيكون اعلى صوت هو صوت الاسلام)(٢٥).

والاساس الثاني من اسس رسائل النور هو الشكر المطلق. فاهم شئ يريده الخالق من عباده هو الشكر. فكل مخلوق في هذا العالم، وكل شئ متوجه الى الشكر بشكل ما ويؤدي الى الشكر. والشكر هو ثمرة شجرة الخلق:

(ان مقياس الشكر هو القناعة، والاقتصاد، والرضا، والامتنان. اما مقياس عدم الشكر والاستغناء عنه فهو الحرص، والاسراف، وعدم التقدير والاحترام، وتناول كل ما هب ودبّ دون تمييز بين الحلال والحرام)(٢٦).

وبديع الزمان يشرح انواع الشكر ثم يقول ان الصلاة هي اجمع شكل واشمل نوع للشكر وفهرست له:

(وما الوسيلة التي تمكّن الانسان من العروج بها الى اسمى مقام وهو مقام «احسن تقويم» ضمن ما يملكه من الجامعية الاّ الشكر. فاذا انعدم الشكر يتردى الانسان الى اسفل سافلين ويكون مرتكباً ظلماً عظيماً)(٢٧).

القسم الثالث

طرق تنفيذ الخدمة في رسائل النور

١- اصبحت رسائل النور مرآة للقرآن العظيم

يرى بديع الزمان ان من اهم اسباب الكسل الذي يبديه المسلمون نحو الاحكام الدينية، والاهمال واللامبالاة التي يظهرونها نحوها هو ان الكتب الموضوعة والمؤلفات المكتوبة لاتعكس بشكل جيد قدسية المصدر والمنبع وهو القرآن الكريم، وهو يرى ان الاجتهادات والكتب يجب ان تكون مرآة للقرآن حيث تبرز القرآن وتظهره امام الانظار، فان

اصبحتْ الكتب وكيلة او ظلاً غابت قدسية المصدر ذلك لان الذي يدعو الجمهور الى الامتثال والطاعة هو قدسية المصدر اكثر من الادلة والبراهين:

(عندما ينظر امرؤ الى كتاب ابن حجر فانه ينظر اليه بقصد فهم القرآن ومعرفة ما يقوله وليس من اجل معرفة ما يقوله ابن حجر)(٢٨).

فلو وجهت الانظار بهذا الشكل الى القرآن وتمت الاشارة في الضرورات الدينية الى القرآن، لادى هذا الى ايقاظ اكثر للضمائر ولزادت اشواق الارواح الى الحقائق، ولقامت قدسية القرآن وجاذبيته بهز الضمائر ولاثرت الحقائق على النفوس بوساطة الايمان، وهكذا تزداد حاكمية القرآن ونفوذه بكل معنى الكلمة على النفوس بصورة مباشرة.

وهكذا فقد اصبحت رسائل النور مظهراً ومرآة لهذه الطريقة المبتكرة، اذ قامت باظهار قدسية القرآن بشكل شفاف وجعلت قراءها يواجهون القرآن وجهاً لوجه وعزلت شخصيتها تماماً. وفي مسامراته ومجالسه وفي كتبه وتأليفاته لم يطلق بديع الزمان على نفسه القاباً امثال «قطب العارفين» او «غوث الواصلين» بل قال عن نفسه بانه «دلال» للقرآن وخادم له.

ولهذا السبب فان «قارئ رسائل النور لاينظر الى شخص المؤلف، بل ينظر مباشرة الى الحقائق الموجودة فيها ويحصر نظره في الادلة والبراهين فيها»(٢٩).

ويشرح بديع الزمان سر النجاح في الخدمة التي تؤديها رسائل النور فيقول:

(ارى ان قسماً من الفضائل التي تعود الى حقائق القرآن تُمنح الى الوسائل التي تقوم بدور الدعاة والدالين على تلك الحقائق. والحال ان هذا خطأ، لان قداسة المصدر وسموه هو الذي يولد تأثيراً يفوق تأثير براهين كثيرة. وعوام الناس انما ينقادون للاحكام بهذه القدسية. ومتى مابدى الدلال والداعي وجوداً لنفسه، اي متى ماتوجهت الانظار اليه – دون الحقائق – يتلاشى تأثير قدسية المصدر)(٣٠).

وفي هذا الزمان:

(يجب ان تعطى الدروس القرآنية بشكل بحيث لاتكون آلة لشئ، لكي يمكن كسر الكفر المطلق والضلالة المتمردة العنيدة، ولكي يُعطى الاقناع القطعي للجميع. ولايتم هذا الاقناع في هذا الزمن وفي ظل هذه الظروف الا عند حصول القناعة بان الدين لم يُجعل آلة لاي غرض دنيوي او اخروي او شخصي، مادياً كان ام معنوياً).

(ان القدر الالهي يقوم – دون اختيار مني – باظهار عدالة محضة بانزال الصفعات علي بوساطة الايدي الظالمة للبشر لكي تنبهني بألا اقوم بجعل الدين آلة بيد اي شئ ويقول لي: اياك! اياك ان تجعل حقائق الايمان آلة لشخصك، لكي يعلم المحتاجون الى الايمان بان الحقيقة هي التي تتكلم، ولكي تصمت اوهام النفس ودسائس الشيطان).

(اذن فهذا هو سر الاثارة والتهييج الذي تحدثه رسائل النور في

القلوب والارواح كمثل امواج البحار الكبيرة وليس اي شئ آخر. اذ مع ان الحقائق التي تبحث عنها رسائل النور نشرتها مئات الالاف من الكتب المؤلفة من قبل آلاف العلماء بشكل أبلغ، الا انها عجزت عن ايقاف الكفر المطلق. واذا كانت رسائل النور في كفاحها ونضالها ضد الكفر المطلق قد نجحت بعض النجاح في ظل هذه الظروف القاسية والصعبة، فان السر في ذلك يكمن هنا. فسعيد غير موجود وقدرة سعيد وكفاءته غير موجودة فالحقيقة هي التي تتكلم... الحقيقة الايمانية)(٣١).

٢- رسائل النور جددت علم العقيدة وعلم الكلام

قامت رسائل بايضاح واثبات حقائق الايمان واسس الاسلام بادلة عقلية ومنطقية. اذ قامت بتحقيق المعنى الذي ذكره الشاعر الكبير محمد عاكف:

بالالهام الماخوذ مباشرة من القرآن

يجب ان نقدم الاسلام الى عقل العصر

ان رسائل النور هي الدرس الذي يقدمه القرآن الحكيم الى عقل العصر والى ادراكه. ففي رسائل النور تم شرح الحقائق القرآنية بلغة العلم والتقنية وبشكل ملائم لادراك العصر، فبالمنطق وباستخدام طريقة ضرب الامثال وطريقة التمثيل قُربت الحقائق البعيدة وجُمعت المسائل المتفرقة المتشتتة ضمن اطار منهجي واحد، مما سهلت الوصول الى

اسمى الحقائق. فالى جانب استفادة العقل فقد روعي استفادة الاحاسيس ايضاً مثل النفس والخيال والتوهم والهوى. وبدلاً من نقب الجبال واجراء الحفريات لجلب المياه من اماكن بعيدة فقد اتبعت رسائل النور طريقة موسى عليه السلام الذي كان يجد الماء بعصاه في كل مكان، فاينما ضربه انفجرت عنده عيون الماء الزلال الذي جعل الله تعالى منه كل شئ حي.

(ان رسائل النور لاتقوم باعطاء الدروس مثل العلماء الآخرين، اذ لاتعتمد فقط على ارجل العقل ونظره، ولا مثل الاولياء الذين يتحركون بالكشف القلبي واذواق القلب. ولكن هذه الرسائل تتحرك باتحاد العقل والقلب وامتزاجهما وبتعاون الروح وسائر اللطائف الاخرى. فتطير الى الاوج الاعلى وتصل الى ذرى لاتصل اليها قدم الفلسفة، بل لايستطيع حتى نظرها الوصول اليها، وتستطيع اظهار هذه الحقائق الايمانية حتى للعيون العمياء)(٣٢).

ورغم تلفيق الدعايات الكاذبة ضد رسائل النور ووضع الخطط السرية الاثيمة ضدها فانها لاتزال تُقرأ بكل شوق داخل البلد وخارجه، واحد الاسباب في هذا هو الطريقة المبتكرة التي وضعتها في الصراع بين الكفر وبين الايمان، حيث ابانت وبرهنت على النتائج الاليمة والمرعبة للكفر وللضلال في الدنيا، وان اللذة الخالية من الالم لاتوجد الا في الايمان وليس في غيره.

فرسائل النور برهنت على (ان جهنماً معنوية توجد في هذه الدنيا في الضلالة، وجنة معنوية في هذه الدنيا في الايمان)

وان (في الضلالة جحيم معنوي في هذه الدنيا، كما تثبت ان في الايمان نعيماً معنوياً في الدنيا ايضاً. وهي تبرهن ان في المعاصي والفساد والمتع المحرمة آلاماً معنوية مبرحة، كما ان في الحسنات والخصال الحميدة والعمل بالحقائق الشرعية لذائذ معنوية أشبه ماتكون بملذات الجنة)(٣٣).

(ان نوازع الانسان واحاسيسه المادية لاترى العقبى، فتفضّل درهماً من لذة عاجلة على قنطار من لذات آجلة، هذه الاحاسيس قد طغت - في هذا العصر - على عقل الانسان وسيطرت على فكره؛ لذا فالسبيل الوحيد لإنقاذ السفيه من سفهه، هو الكشف عن المه في لذته نفسها، ومساعدته على التغلب على احاسيسه تلك)(٣٤).

فطريق رسائل النور هي «تغليب قوة الايمان على اللامبالاة، وشوق العبادة على السفاهة).

وهناك حال اخرى مفجعة واليمة في هذا العصر وهي ان الكفر المطلق، وكذلك الكفر المعاند النابع من العلم ومن الفلسفة اصبحا يهاجمان الحقائق الايمانية ويعارضانها، لذا فهناك حاجة الى حقيقة مقدسة تفجر قواعد الكفر بقوة القنبلة الذرية وتجعلها أثراً بعد عين. وهذه الحقيقة هي رسائل النور التي هي بمثابة سيف قرآني ماسي. ذلك لان الجانب المعنوي في هذا العصر لايتم الا بسيف الايمان المحقق الذي لاشبهة فيه. ورسائل النور هي المرآة التي تعكس حقائق الدين بحق.

٣- رسائل النور اسست شخصية معنوية

يرى بديع الزمان بان اي شخص - مهما كانت مرتبته المعنوية كبيرة - لايستطيع النجاح في ازالة الوساوس الصادرة من الكفر ومن الضلالة ومن الالحاد الناتج من فكرة الجمعيات السرية التآمرية ازالة تامة. لذا يجب وضع شخصية معنوية تجاه الشخصية المعنوية للالحاد. ورسائل النور اصبحت شخصية معنوية بعد ان نجحت في جلب ملايين الناس اليها. وهذه الشخصية المعنوية لاتحمل سمة السياسة او الجمعيات السرية المسلحة التآمرية، ولاسمة الجمعيات الاعتيادية، ولاسمة الفكرة القومية او المحلية ولاسمة فكرة شخصية. بل هي عبارة عن افراد تجمعوا وتحلقوا حول رسائل النور التي هي تفسير معنوي وتفسير حقيقي للقرآن، يريدون ارتشاف الحكمة والمعرفة منها، وهذه الشخصية المعنوية لاتعني جمعية علنية او سرية بالمفهوم الاجتماعي والسياسي، بل تعني ربما « وحدة قلبية » نابعة عن علاقات وجدانية وعاطفية او « انتساباً للقرآن ».

ان اسلوب الخدمة التي تؤديها هذه الشخصية المعنوية لرسائل النور ومفهومها لاتدخل ضمن القوالب السياسية او الشكلية او السطحية ولايمكن حشرها فيها. فخدمات هذه الشخصية المعنوية لاتنحصر في مركز معين او لشخص او لمحيط معين. ولاتوجد فيها سلسلة شكلية للآمر - والمأمور ولاعلاقة فوق - تحت. فالشخصية المعنوية لرسائل النور هي « تقارب قرآني » و « اشتراك في العواطف العلوية السامية ». ان

الشخصية المعنوية لرسائل النور تعد اقوى رابطة في حياة المجتمع واكبر قوة ديناميكية معنوية فيها.

لقد جمعت الشخصية المعنوية لرسائل النور اشخاصاً من مستويات متعددة في صعيد واحد والخدمات التي تقدمها حلقات الحقيقة المتداخلة بعضها في بعض والممتدة من المركز نحو المحيط، والتي تعبر عنها بتعابير « الطالب – الاخ – الصديق » لها وجوه متعددة، وتهدف جميعها الى ايصال حقائق القرآن الى كل جبهات الحياة الاجتماعية المختلفة بصورة صادقة ومخلصة، ومع ان اساس سلوك رسائل النور اساس واحد، الا ان المظاهر المختلفة لهذه النشاطات تتعلق بالميل النفسي وليس بالاساس. اي ان رسائل النور لاتنشئ اناساً ذوي بعد واحد، او اناساً في قالب معين فقط. فلكونها مظهراً لـ« الاسم الجامع » فان كل شخص يأخذ من معرفتها الكلية وحكمتها وحقيقتها واطار فكرها حسب قابليته وميله وفهمه وادراكه .

ثم يعكس ذلك حسب عزيمته وجهده وصفاء روحه. وفهم المشارب هذه يساعد على وضوح الحقائق النسبية وحضورها. واذا جاز التعبير فان الشخصية المعنوية لرسائل النور ليست بستان فيه نوع واحد من شجرة الفاكهة بل هي حديقة بستان واسعة تحتوي على اشجار متنوعة وعلى اثمارّ وفواكه متعددة وعلى ورود وزهور عديدة تنمو كلها في اطيب مناخ واحلاه. وضمن تكاملها فان هذه تظهر بشكل « جميل » و « اجمل » و « الاجمل ».

٤- طريقة رسائل النور هي التصرف الايجابي

الدرس الاخير الذي اعطاه بديع الزمان سعيد النورسي قبيل وفاته كان حول «التصرف الايجابي» فهو يقول في درسه الاخير:

(ان واجبنا هو التصرف بشكل ايجابي وليس بشكل سلبي، اي ايفاء الخدمة الايمانية لتحصيل الرضا الالهي دون التدخل في الوظيفة الالهية. ونحن مكلفون بالصبر تجاه كل الظروف الصعبة وبالشكر وبالتصرف الايجابي الذي يحافظ على الامن وعلى الاستقرار)(٣٥).

(لقد بذلت كل ما في وسعي من جهد طوال حياتي للمحافظة على الامن. اذ يجب الا تستعمل القوة في الداخل بل نحو الاعتداء الخارجي. وظيفتنا هي مد يد المساعدة للمحافظة على الامن الداخلي بكل ما نملك من قوة. ان اكبر شرط من شروط الجهاد المعنوية هو عدم التدخل في الوظيفة الالهية، فوظيفتنا نحن اداء الخدمة، اما النتيجة فتعود الى الله سبحانه وتعالى، ونحن مكلفون ومجبرون على اداء وظيفتنا).

(انني اقول مثلما قال جلال الدين خرزم شاه بان وظيفتي هي اداء الخدمة الايمانية اما النجاح او عدم النجاح فيعود الى الله تعالى، وقد تلقيت درساً من القرآن بوجوب الاخلاص في الحركة وفي العمل)(٣٦).

وقد ابتعد بديع الزمان البعد كله عن اي عمل او نشاط يؤدي الى اثارة اهالي البلد بعضهم ضد بعض او عمل اي شئ يؤدي الى

الاحساس بالانحياز نحو طرف او التزام طرف او القيام بما يمس الامن والاستقرار والهدوء. وقد اوصى تلاميذه وطلابه بذلك بشدة. وكلامه التالي يسترعي الانتباه:

(لايمكن التغلب على رسائل النور، فكلما زاد التعرض لها كلما قويت واشتد عودها، ولم تستعمل هذه الرسائل ضد الامة وضد الوطن سابقاً ولن تستعمل ولايمكن استعمالها ابداً في اي وقت من الاوقات)[٣٧].

هناك اسباب حيوية ومهمة جداً وراء اعطاء بديع الزمان كل هذه الاهمية للتصرف الايجابي ومراعاة الامن والاستقرار:

ان الحياة الاجتماعية ان كدر ماؤها فان اعادة السكون والاستقرار اليه تحتاج الى مدة طويلة من الزمن، وتتطلب همة كبيرة وجهوداً مكثفة. والبنية الاجتماعية ان اهتزت بعوامل الاستبداد والارهاب والفوضى، فلايمكن اداء الخدمة فيها بشكل مستمر وصحي ومؤثر. ولكي يتم نقش الحقائق القرآنية في القلوب والعقول فان الهدوء الاجتماعي شئ ضروري ولازم. فان تم تناول الامور تحت تسلسل (التهيج – استعمال القوة الجسدية – الانحياز) وليس تحت تسلسل (العقل – المنطق – موازنة الادلة) زادت التناقضات واكتسبت شدة وارتفع النبض الاجتماعي، والاضطرابات الشديدة تؤدي الى غياب الاستقرار والهدوء الداخلي والى انفراط عقد القلوب. واذا غاب الهدوء احتل الفوضى والاستبداد والارهاب مكانه. اما السد الذي

يقطع السبيل امام الفوضى الاجتماعية والفساد والانقلابات فهو التصرف بحركة ايجابية.

ولو لم يؤلف بديع الزمان اي كتاب طوال حياته لكانت ابياته الموجزة التي سنقدمها بعد قليل وصفة تستطيع البشرية استعمالها بدءً من الاحاسيس القلبية الى النية ووجهة النظر وصولاً الى العلاقات الفردية والعائلية والاجتماعية الى الابعاد الواسعة للحياة الى جميع العلاقات البشرية:

انظر بجمال وشاهد بجمال لكي تفكر بجمال
ادرك بجمال، وفكر بجمال لكي تدرك الحياة اللذيذة
حسن الظن في الامل حياة في الحياة
وسوء الظن يأس ومفسد للسعادة وقاتل للحياة (٣٨).

٥- تجردت رسائل النور عن السياسة

لم يهتم بديع الزمان طوال حياته بالسياسة الفعلية ابداً، وقد رآى ان من اسس وموجبات طراز خدمته تجرده من السياسة تماماً. ومن الملفت للنظر والداعي الى التفكير تجرد مثل هذا الشخص الذي يستطيع تحليل الاحداث الاجتماعية والسياسية تحليلاً فكرياً حكيماً وجيداً كل هذا التجرد من السياسة. والحقيقة ان تبنيه طراز خدمة بعيدة تماماً عن السياسة يُعد من اكثر افكاره جدة واكثرها مدعاة الى التحليل والبحث.

فلماذا لم يقم بديع الزمان بتشكيل حزب ولماذا لم يعمل على تشكيل انموذج سياسي؟ ولماذا حصر كل همه وجهوده في خدمة القرآن؟ دعنا نرتب الجواب على هذا السؤال في شكل مواد موجزة بعد القيام بمسح شامل لرسائل النور:

آ- يرى بديع الزمان انه عندما يتم تقييم الحوادث الاجتماعية يجب ان يكون التشخيص تاماً وذو متانة وصحة. وتشخيصه الموجز هو مايلي:

(ان الحياة البشرية ماهي الا كركب وقافلة تمضي، ولقد رأيت بنور القرآن الكريم في هذا الزمان، ان طريق تلك القافلة الماضية ادت بهم الى مستنقع آسن، فالبشرية تتعثر في سيرها فهي لاتكاد تقوم حتى تقع في اوحال ملوثة منتنة.

ولكن قسماً منها يمضي في طريق آمنة. وقسم آخر قد وجد بعض الوسائل لنتيجة - قدر المستطاع - من الوحل والمستنقع. وقسم آخر وهم الاغلبية يمضون وسط ظلام دامس في ذلك المستنقع الموحل المتسخ. فالعشرون بالمائة من هؤلاء يلطخون وجوههم واعينهم بذلك الوحل القذر ظناً منهم انه المسك والعنبر، بسبب سكرهم. فتارة يقومون واخرى يقعون وهكذا يمضون حتى يغرقون. اما الثمانون من المائة، فهم يعلمون حقيقة المستنقع ويتحسسون عفونته وقذارته الا انهم حائرون، اذ يعجزون عن رؤية الطريق الآمنة)(٣٩). ومن الصعب انارة القلوب بمطرقة السياسة. ثم ان ايفاء الخدمة في زمن عاصف

يكون صعباً، فان تكسرت هذه المطرقة لسبب من الاسباب طار حتى النور او إنطفأ. لذا يجب ترك تلك الناحية، والالتفات الى اهم وألزم واسلم ناحية وهي ناحية الخدمة الايمانية. والجهاد المعنوي داخل البلد لايحتاج الى خدمات مادية بل الى خدمات معنوية.

ب- ان رسائل النور دروس قرآنية وتهدف الى نيل الرضا الالهي، ولايمكن ان نكون متحيزين ضد اي شخص يأتي الى درس الايمان مهما كان هذا الشخص. فلا نميز في الدرس الايماني بين صديق وعدو، بينما التحيز الموجود في السياسة يقضي على هذا المعنى ويختل معنى الاخلاص. (٤٠).

ج- هناك دوائر وحلقات للقلب والمعدة والبدن بعضها وسط بعض بدءٍ من الاسرة الى المحلة الى المدينة الى البلد الى الكرة الارضية والنوع البشري، ففي كل دائرة قد يكون هناك نوع من الوظيفة لكل انسان. ولكن اكبر وظيفة واهمها واكثرها دواما توجد في اصغر دائرة وهي دائرة القلب، وقد توجد الوظيفة الصغيرة والمؤقتة والتي لانحتاج اليها الا من وقت الى آخر في اكبر دائرة (٤١). ولكن الدائرة الكبيرة تكون اكثر جاذبية:

(وبجاذبيتها هذه تجذب اليها الفضوليين وتشغلهم بها، وتجعلهم ينسون الوظيفة الحقيقية والوظيفة الكبرى، وتعطي دافعاً للتحيز ولاترى بأساً في ظلم الظالمين فتكون بذلك شريكاً في الظلم) (٤٢).

ان اوسع مجال ودائرة تكون سبباً في الغفلة وفي الانشغال بالدنيا

والغرق فيها وفي نسيان الآخرة هي دائرة السياسة، فمن الصعب على الشخص السياسي المحافظة على الاخلاص وعلى الصفاء وعلى نقاء القلب، فتجاه الحوادث وفي اثناء غمار النضال هناك حاجة ماسة الى ايمان بوضوح الشمس لكي لا يختنق الانسان بهذه الحوادث. لذا:

(ان السياسي لايكون – في الاغلب – متدينا ومتقياً تمام التقوى ومتقياً تمام التقوى. كما ان المسلمين والمتقين الحقيقيين لايكونون ساسة. والشخص المتدين الذي يعرف ان الغاية الكبرى للكائنات كلها هي عبودية الانسان لله، لذا فانه لايتعلق بالسياسة تعلق العاشق، بل يمكن ان يهتم بها بدرجة ثانية او ثالثة وفي سبيل جعلها وسيلة لخدمة الدين وخدمة الحقيقة)(٤٣)

د- (وحمداً لله فانني بسبب تجردي عن التيارات السياسية لم ابخس قيمة حقائق القرآن التي هي اثمن من الالماس ولم اجعلها بتفاهة قطع زجاجية بتهمة الدعاية السياسية. بل تزيد قيمة تلك الجواهر القرآنية على مرّ الايام وتتألق اكثر امام انظار كل طائفة)(٤٤).

هـ- ان ساحة السياسة ساحة ملوثة بالامراض السارية، وتشبه الانفلونزا تجعل الفكر يهذي.. وهي تفرق ما بين المسلمين، فتجعل الشخص عدوا لاخيه المؤمن ولو كان طيباً كالملاك لمجرد انه يختلف عنه في النظرة السياسية، ويحقد عليه ويكون محباً لصديق سياسة ولو كان كالخناس ويكون مناصراً له حتى في الظلم ويشترك من الناحية المعنوية في جرائمه. وفي الواقع العملي يخل باجراءات العدالة والحق

وباسـسهــمـا، ويتـخـذ التـحـيـز السـيـاسي اساساً فيـخل بالروابط الاجتماعية(٤٥).

و- في الحـوادث السـيـاسـيـة «لسنا متـحـركين ذاتيـاً، بل نتـحـرك بالواسـطة. فـاوروپا تنفخ ونـحن نرقص هـنا»(٤٦). فـمنبع الحـوادث السيـاسيـة ومصدرها ومـواضع صنعهـا هو الغرب. لذا فـهناك احتـمال الاشتراك بعلم او دون علم بالاعمال القذرة وبمناورات الغرب والاعيبه. والذين ينجـرفـون في تلك التيـارات تكون اعـمالـهم لحسـاب القـوى الخارجية لان ارادتـهم لاتأثير ولاحكـم لها وكون نياتهم خالصـة لاتفيد شيئاً (٤٧).

ز- ولايؤيد بديع الزمـان الانشغـال بالسيـاسة من الناحـية النـفسـية ايضـاً للفـرد.. ذلك لان الذين يتـعلقـون بالسيـاسـة وبامـورها التـافهـة ويصرفون اوقـاتهم في تتبع المشاجرات الـسياسية والنظر الـيها من زاوية متحـيزة يجعلون ارواحـهم غبية وعـقولهم منتكسة. والسيـاسة في هذه الايام تفسد القلوب وتجعل النفوس العصـبية في عذاب دائم. فمن كان يرغب فـي قلب مـسـتـريح ونفسٍ مرتاحـة فـعليـه بالابتـعـاد عن السياسة(٤٨).

ط- ان للخـدمـة القـرآنيـة منزلـة اسـمى من جـمـيع الســيـاسـات. ولاتسـتطيع هذه الخـدمة الـنزول الى مسـتـوى السـياسـة الدنيـوية التي صبغـتها - في الاعم الاغلب - هي الكذب، وبالنسبة الينا فانه تكفينا الاذواق المعنوية والانوار الايمانية (٤٩).

٦- قوة رسائل النور اصيلة

في الخدمة التي تؤديها رسائل النور حركة وقدرة عمل دائبة ومستمرة، ومنبع هذه القدرة هو الايمان. فكلما زاد ايمان الفرد زادت قدرته على العمل، وبتعبير بديع الزمان:

(كما ان الايمان نور وهو قوة ايضاً. فالانسان الذي يظفر بالايمان الحقيقي يستطيع ان يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث، مستنداً الى قوة ايمانه)(٥٠).

ان الخدمات التي لاتأسر القلوب ولاتشغل الارواح مهما بدت كبيرة في المظهر الخارجي، فانها — من منطلق الحقيقة — تشبه نار القش المشتعل لاتملك دواماً ولاتأثيراً، ان فعالية ونشاط رسائل النور هو في سبيل اسمى معنى، فلكونها تأخذ (العقل، القلب، الروح) اساساً فهي لاتهتم باطلاق الشعارات، بل تهتم بالحياة الواقعية، ووسيلتها ليست الهدم والتمزيق والحدة واستعمال القوة العمياء والسلاح، بل وسيلتها عشق الحقيقة والارشاد القلبي، فليست هي دون غاية او هدف او نظام. وفعاليتها تساعد على استتباب الامن والاستقرار والهدوء، وتقف في وجه الفتن والهدم الاجتماعي والاضطرابات والهزات ولاتعطي لها فرصة، وهذه الفعالية تحاول بالرفق واللين وبمشاعر الرحمة والشفقة معالجة دواليب المجتمع التي اصابها الخلل والفساد. وتتميز فعاليتها بانها تقوم بنقش الحقائق في النفوس، وبالنفوذ الى اعماق القلوب لتثير ارق المشاعر ولتوسع الاستعدادات السامية.

ولايضاح مدى تأثير فعالية رسائل النور وقوتها ادرج ادناه حادثة حقيقية:

في اثناء المحكمة التي انعقدت في ظل الاحكام العرفية سنة ١٩٨٥ أُحضر ارمني – يحتمل انه كان من حزب «اصالا» الارمني السري – الى قاعة السجن الذي كان احد طلاب النور مسجوناً فيه ، كان هذا الارمني مولوداً في اسطنبول ويتقن اللغة التركية، فدار بينهما الحوار التالي:

سأل الارمني:

– ما التهمة الموجهة اليك؟ لماذا أتوا بك الى هنا؟

– انني بريءٌ. لقد جاؤا بي الى هنا لكوني اقرأ كتاباً.

– اي كتاب ؟

– رسالة النور.

ما ان سمع الارمني كلمة «رسالة النور» حتى صمت قليلاً ثم دمدم بالكلمات التالية:

– الحركة النورية.. اكثر القوى هدوءاً في العالم ولكنها اكثر القوى قدرة وفعالية.

٧– طريقة تعليم وتربية رسائل النور متكاملة

لقد اسست رسائل النور في طول البلاد وعرضها ورشة تربية

دائمية، وقلبت سطح الوطن الى مدرسة والى مؤسسة معرفة، ان رسائل النور تقرأ الآن بكل شوق داخل البلد وخارجه من قبل جميع الاعمار بدءً من الاطفال الى الشيوخ قراءة مستمرة. ان اجتماع العديد من الناس – قد يبلغ عددهم عدة ملايين – حول دروس وحقائق رسائل النور في سبيل الله، دون وجود اي اكراه ودون وجود اية روابط فيما بينهم، وتوحدهم حول هذه الحقائق يُعد خدمة قرآنية كبيرة وحادثة مهمة. فلم يحدث في تاريخ الاسلام ان اجتمع كل هذا العدد من الناس حول كتاب اي مؤلف. ولما كانت رسائل النور تجلياً لسلوك الصحابة في هذا العصر فان نظام التربية عندها انعكاس لانموذج «دار الارقم» في عصر النبوة.

ان طريقة التربية والتعليم لرسائل النور تعطي اهمية كبيرة لتربية المؤمنين – ولاسيما اجيال الشباب – تربية قرآنية. ويركز هدفها التربوي على الكيفية اكثر من الكمية. اذ تتبع انموذج «اصحاب الصفة»، وتعكس النظرة القائلة بان «اسد واحد افضل من الف غنم».

٨- لاتطلب اجراً ولا اجرة عند ايفاء الخدمة

تتبع رسائل النور الانبياء في موضوع نشر الحق. اي انها لاتطلب اجراً مقابل خدماتها، بل تنتظر اجرها من رب العالمين، فهذه الدنيا عالم خدمة وليس عالم الاجر. وطريقة رسائل النور هذه بعيدة عن الرياء وعن المظاهر وعن حب التصفيق، فهي طريقة لخدمة خالصة. فقد

اتخذت رسائل النور دستور «تقديم الخدمة دون مظاهر» فباستغنائها عن الشعب وبرعايتها للاقتصاد انقذت العلم من ان يكون واسطة لجرّ المنافع فحافظت بذلك على عزة العلم وعلى كرامته.

النتيجة:

يقول بديع الزمان سعيد النورسي في كتابه «سكة تصديق الغيب»:

(انني اوكد لكم واقسم على ذلك بان قصدي من الثناء على رسائل النور هو تأييد حقائق القرآن وتأييد اركان الايمان والبرهنة عليها ونشرها. انني احمد خالقي الرحيم مئة الف حمد وشكر، لانه لم يجعلني اعجب بنفسي، وانه اراني كل تصيرات نفسي وكل عيوبها فلم تبق هناك اية رغبة للسعي لجمع الاعجاب لهذه النفس الامارة بالسوء)

وعلى ضوء هذا البيان فقد حاولنا في محاضرتنا هذه ليس استعراض شخصية سعيد النورسي، بل حاولنا استعراض الخدمات التي قدمها للقرآن وللاسلام حسب مقدار فهمنا. لقد اطلنا بعض الشئ، وجعلنا صبركم ينفد، غير ان مدح هذا المجدد وعلاّمة القرآن باسم القرآن والثناء عليه لايعد اسرافاً كما اعتقد، ذلك لانه كان تحت امرة القرآن وتلميذاً من تلاميذه.

ذلك لانه لقمان الحكيم في عصره الذي شخص حيرة العصر،

وطبيب الايمان ودلال القرآن، وهو من الناحية المعنوية اخصائي على مستوى العالم.

بديع الزمان هو طبيب زمانه الذي قدم من صيدلية القرآن ادوية لامراض العصر.

بديع الزمان هو دلال القرآن الذي عمل على احياء سنة الرسول ﷺ واعلن عن قدسية القرآن.

بديع الزمان هو دليل زمانه الذي فتش عن الخلاص في القرآن والذي جلب الانظار الى القرآن.

بديع الزمان هو ناشر نور القرآن الذي أخذ على عاتقه مسؤولية الدعوة القرآنية.

بديع الزمان هو معمار الايمان الذي عالج الوجدان العام والقلب العام بالحكمة القرآنية.

بديع الزمان هو الجواد الاصيل الذي سبح في شواطئ اسرار معرفة الله، وهو معرّف بالقرآن، وهو في النهاية الأمل المنتظر للاسلام.

لقد ارسى بديع الزمان سبيله على اسس صلبة، فالطريق الذي اختطه طريق حكيم وملائم للفطرة، فقد بدأ بألزم شئ للانسان، فدعا البشر الى «التوحيد». وبعد ان جعل منتسبي طريقه يمرون من مراحل انتقالية في الفكر والقلب والروح، جعلهم يتجولون في الافاق الرحبة للفكر والتأمل، وشكل منهم جماعة حصينة وكاملة. واستخدم الحكمة والكلمة اللينة واللسان العذب في تبليغ دعوته، ولم يلتفت او يهتم

ابداً بالاسلوب الخشن الحاد وبالاسلوب الهدام المخرب. واستمر في دعوته بصبر وبجلد، وتحمل كل الالام دون خوف ودون استسلام ودون التخلي عن اسلوبه الايجابي في التصرف. ونجح في تأسيس جيش فدائي متماسك نقي وصميمي، وانشأ شخصية معنوية قوية تشع نوراً تجاه الشخصية المعنوية للكفر. وقد تطلع الى المستقبل بأمل ولم يقع في اليأس. عاش مثلما تحدث، وتحدث مثلما عاش، فتربع على عرش القلوب كحقيقة تعيش في الواقع، ففي سبيله وطريقته وطرازه واسلوبه اتخذ الانسان اساساً ورسم سبل الوصول اليه، واهتم كل الاهتمام بانشاء هذا الانسان وبكيفية صعوده مدارج الكمال.

وقد اصبح سعيد النورسي المنقذ المنتظر في عصره باخلاصه التام وبتفكيره العميق وبتضحيته اللامحدودة وبتواضعه الكبير وبروحه المتآلفة وشفقته الواسعة وشخصيته الكبيرة الخالية من الانانية، وبخدماته الجليلة وبعبوديته الخالصة الخالية من حب المظاهر، وبالتزامه المتين. لقد عكس في القرن العشرين انموذج عصر الصحابة، ونشر اسلوب دار الأرقم واصحاب الصفة، فحرك الجماهير المتجمدة الفاقدة للحركة، بمشاعر عشق الحقيقة، وجعل غاية الاسلام ومثله الاعلى، والغاية العلوية والمقدسة للدين فوق جميع المنافع الشخصية، وفوق جميع المآرب. حافظ على العزة الدينية، وجعل الاخلاص والاستغناء عن الناس والتضحية والاقتصاد التام اسس قواعد حياته. وبمفهومه عن طراز الخدمة — الذي يبدأ من المركز ويتوجه نحو المحيط — فقد بدأ بشخصه وخاطب نفسه، ولم تقتصر طاقة خدماته في مكان معين او زمان معين

او بيئة معينة، بل داوم على اداء خدماته المخلصة في كل مكان وفي كل زمان وتحت جميع الشروط.

وخلاصة القول ان رسائل النور اخذت نورها من القرآن الكريم مباشرة، اي انها اصبحت مثلما قال الشاعر:

ان التقديرَ الالهي لايمكن رده بقوة الذراع

وان شمعة اوقدها الله لاتنطفئ بالنفخ

ان رسائل النور برسالتها الغنية وبفكرها المؤثر وبعلمها العميق تحمل بحق صفة «المعلم». ولكونها تزكي الانفس وتطمئن القلوب وتهذب الارواح فهي تحمل بحق صفة «المربي».

ان قراءة رسائل النور تجعل الانسان ينسى الانسان، اذ تحمله الى اقاليم المعرفة وتعجنه باسرار وبانوار القرآن، وتصفى نفسه وتعيد تشكيله من جديد، وتربطه برسول الله وبالقرآن وبالله. وتجعله يطير في انوار اسماء الله الحسنى ويتنزه في حدائق العشق والمحبة الالهية.

لذا فان العالم الاسلامي باجمعه، والبشرية جمعاء في حاجة الى مثل هذا التفسير للقرآن والى منظومة الحقائق هذه في بداية نقطة انطلاقها للهداية. وستزداد هذه الحاجة يوماً بعد يوم وستحتفظ رسائل النور بشبابها وطراوتها ويناعتها حتى يوم القيامة.

* * *

الهوامش

1. Nursi, B. S, Münazarat, Sözler Yayınevi, 1977, s. 11.
2. Nursi, B. S, Sözler, Envar Neşriyat, s. 131.
3. Nursi, B. S, Mesnevi-i Nuriye, Envar Neşriyat, s. 168.
4. Nursi, B. S, Mektubat, Envar Neşriyat, s. 222.
5. Nursi, B. S, Sözler, s. 217.
6. Nursi, B. S, Lem'alar, Sinan Matbaası, 1959, s. 160.
7. Nursi, B. S, İşaratü'l-İ'caz, Envar Neşriyat, s. 124.
8. Nursi, B. S, İşaratü'l-İ'caz, Envar Neşriyat s. 125.
9. Nursi, B. S, Mektubat, s. 319.
10. Nursi, B. S, Sözler, s. 365.
11. Nursi, B. S, Tarihçe-i Hayat, Envar Neşriyat, s. 609.
12. Nursi, B. S, Mektubat, s. 71.
13. Nursi, B. S, Kastamonu Lâhikası, Envar Neşriyat, s. 189.
14. Nursi, B. S, Kastamonu Lâhikası, Envar Neşriyat, s. 190.
15. Nursi, B. S, Kastamonu Lâhikası, Envar Neşriyat, s. 126.
16. Nursi, B. S, Emirdağ Lâhikası, Sinan Matbaası, s. 73.
17. Nursi, B. S, Lem'alar, s. 171.
18. Nursi, B. S, Tarihçe-i Hayat, s. 629.
19. Nursi, B. S, Mektubat, s. 264.
20. Nursi, B. S, Tarihçe-i Hayat, s. 629.
21. Nursi, B. S, Kastamonu Lâhikası, s. 122.
22. Nursi, B. S, Tarihçe-i Hayat, s. 701.
23. Nursi, B. S, Hutbe-i Şâmiye, s. 38.
24. Nursi, B. S, Münazarat, s. 9.
25. Nursi, B. S, Tarihçe-i Hayat, s. 133.
26. Nursi, B. S, Mektubat, s. 366.
27. Nursi, B. S, Mektubat, s. 367.
28. Nursi, B. S, Sünuhat, Tülûat, İşârât, s. 28.
29. Nursi, B. S, Tarihçe-i Hayat, s. 478.
30. Nursi, B. S, Mektubat, s. 319.
31. Nursi, B. S, Tarihçe-i Hayat, s. 678.
32. Nursi, B. S, Kastamonu Lâhikası, s. 12.
33. Nursi, B. S, Hutbe-i Şamiye, s. 18.

34. A.g.e., s. 7.
35. Nursi, B. S, Emirdağ Lâhikası-2, s. 241.
36. Nursi, B. S, A.g.e., s. 242.
37. Nursi, B. S, Emirdağ Lâhikası-1, s. 18.
38. Nursi, B. S, Sözler, s. 571.
39. Nursi, B. S, Mektubat, s. 48.
40. Nursi, B. S, Emirdağ Lâhikası-2, s. 36
41. Nursi, B. S, Şuâlar, s. 202.
42. A.g.e., s. 202.
43. Nursi, B. S, Emirdağ Lâhikası-1, s. 57
44. Nursi, B. S, Mektubat, s. 49.
45. Nursi, B. S, Kastamonu Lâhikası, s. 113.
46. Nursi, B. S, Sünuhat, Tülûat, İşârât, s. 46.
47. A.g.e., s. 46.
48. Nursi, B. S, Kastamonu Lâhikası, s. 123.
49. Nursi, B. S, Mektubat, s. 48. , Kastamonu Lâhikası, s. 109.
50. Nursi, B. S, Sözler, s. 314.

البروفسور الدكتور

ميم كمال أگه

(جامعة بوغاز اچي «البوسفور»)

ولد في اسطنبول عام ١٩٥٥ وبعد اكماله الثانوية في ثانوية «شيشلي ترقي ليسسي» تخرج من جامعة «روبرت كولج» الامريكية في اسطنبول. ثم اكمل دراسته العالية في موضوع الاقتصاد والتاريخ في جامعة كمبرج في انكلترة عام ١٩٧٧. حصل على درجة الماجستير والدكتوراه من جامعات سوساك وكمبرج وجامعة اسطنبول. عمل عام ١٩٧٩ في دائرة فلسطين التابعة لمجلس الامن الدولي. نشر مقالات عديدة في المجلات في الخارج وله كتب حول التاريخ العثماني في العصر الحديث. في سنة ١٩٨٤ اصبح مساعد استاذ وفي سنة ١٩٨٥ اصبح مستشاراً للمدير العام لمؤسسة الراديو والتلفزيون، في فرع التاريخ السياسي لتركيا حيث هيأ لهذه المؤسسة مسلسلات تاريخية عديدة. في عام ١٩٩٠ رقي الى مرتبة استاذ (بروفسور). ويعمل حالياً في سلك التدريس في جامعة «بوغاز اچي»، ويكتب مقالات تاريخية في احدى الجرائد اليومية، وهو عضو في العديد من مجالس ادارات الاوقاف الثقافية. والى جانب نشاطه في التلفزيون فانه مستمر في ابحاثه الفكرية والتاريخية وله مؤلفات بالتركية وبالانجليزية تزيد عن عشرة، ومقالات علمية عديدة منشورة.

مفتاح اهداف الجمهورية
في ضوء الافكار السياسية والاجتماعية
لبديع الزمان

ان قول بديع الزمان «انني شخص متدين ومن اتباع النظام الجمهوري» يشير الى النقطة التي ستصل اليها البشرية التي تخطو الآن نحو القرن الحادي والعشرين، وكأن هذا القول كان نابعاً في تلك الايام من اكتشاف قانون الهي.

هناك حقيقة لايمكن النقاش حولها وهي ان بديع الزمان سعيد النورسي عندما تكيف للمرحلة التي اطلق عليها مرحلة «سعيد الجديد» نذر نفسه تماماً لتبليغ ونشر «الحقائق الايمانية». وغاية هذه

المحاضرة هي الاشارة وبشكل خطوط عامة الى مواصفات الوسط السياسي والاجتماعي التي خدمت هدفه.

ولا شك ان الباحثين عندما يقومون بمسح وتدقيق رسائل النور التي ألفها بديع الزمان سيعثرون على خيوط المواضيع الخارجة عن ساحة الالهيات وعلى ارائه في تلك المواضيع.

لقد كان « سعيد القديم » في وسط المعترك السياسي في مرحلة الاستبداد ومرحلة المشروطية الثانية للدولة العثمانية. وبجانب نشاطه السياسي فقد اصبح قائداً لقوة الميليشيا التي كانوا يطلقون عليها اسم « ذوو القبعات اللبادية »، وعندما استولت القوات الروسية والارمنية – المتعاونين معاً – على شرقي الاناضول دخل في قتال معهم وهو على رأس هذه الميلشيات.

لقد بذل بديع الزمان جهوده في كل صعيد من الاصعدة التي اعتقد انها ضرورية لخدمة سلامة العالم الاسلامي ولخدمة دعوى الاتحاد الاسلامي، ذلك لان غايته كانت خدمة الانسان وخدمة الانسانية.

ان الانسان حسب رأي الاسلام هو « اشرف المخلوقات »، وحسب رأي المسلمين فان هذا الشرف يتعاظم بالنسبة اليهم لكونهم امة « حبيب الله » الذي خلقت الكائنات من أجله. وهكذا فان للمسلمين حقوقاً مختلفة في هذه الحياة وعليهم مسؤوليات ايضاً. من جملة هذه الحقوق ان المسلمين لائقون « للمدنية ». فاذا وضعنا نصب اعيننا كيف

ان العالم الاسلامي كان يعاني آنذاك من الضعف الاقتصادي ومن سيطرة المستعمرين من الناحية السياسية سهل علينا معرفة لماذا لم يكن بديع الزمان راضياً عن وضع المسلمين.

لنترك الكلام في هذا الموضوع اليه:

(لما كانت المدنية الحقيقية تسعى لترقية النوع الانساني وتكامله واخراج هذا التكامل من القوة الى الفعل فان طلب المدنية والسعي اليها يكون – انطلاقاً من هذه النقطة يعد سعياً نحو الانسانية.

ثم ان ابتلائي بمحبة معنى المشروطية هو:

ان المدخل الاول لتقدم آسيا والعالم الاسلامي في المستقبل هو المشروطية المشروعة والحرية الموجودة داخل نطاق الشريعة وان مفتاح خط الاسلام وسعده ورقيه موجود في مستوى المشروطية)(١).

يتبين مما جاء اعلاه بشكل واضح ان المدنية في رأيه شرط في تقديم الخدمة للانسان عندنا، وان هذه المدنية قد فقدت عندنا، ولاسترجاعها فان العالم الاسلامي يجب ان ينتقل الى الادارة المشروطية، اما الارضية التي ستكون عليها هذه الحرية فهي الحرية التي يجب ان تكون مناسبة وملائمة للعقائد الاسلامية.

ويستمر بديع الزمان كمفكر ادرك حركة العصر فيوضح بكل جلاء بان المشروطية والحرية ستتواجدان ضمن الاسس الملية. الا ان بنية الحياة الملية التي ستتشكل يجب الا تسمح ابداً للتيار الذي يصفه بـ« الفكرة العصبية » واحياناً بـ« التيار السلبي » والذي يطلق عليه اسم « المرض

الافـرنجي »، ذلك لان مـثل هـذا التيـار يجلب التـفرقـة الى العـالم الاسلامي.

ويقول عن الفكرة القومية الايجابية بانها (القومية الايجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لاسناد اكثر للاخوة الاسلامية. هذا الفكر الايجـابي القومي، ينبغي ان يكون خـادماً للاسـلام، وان يكون قلعـة حصـينة له، وسـوراً منيعـاً حـوله، لاان يحل محل الاسـلام، ولا بديلاً عنه، لان الاخـوة التي يمنحـهـا الاسـلام تتـضـمن الوف انواع الاخوة. وانها تبقى خالدة في عالم البقاء وعالم البرزخ)(٢).

ويتـمنى بديع الزمـان ان تكون خدمـة الدين من ضـرورات الثـقافـة السـياسـيـة والتقليـد السياسـي في ادارة الجمـهوريـة التي يراها الشكل المتطور والمتكـامل للمـشـروطيـة. وهو يرى ان الشـرق اي المجـتـمـعـات الاسـلامية متجـمـعة حـول الاخلاق والامـور المعنوية والثـقـافيـة، وان نهوضنا الاجتماعي ينطلق من هذه النقطة الديناميكية. لذا فان الاسلام – الذي يشكل القـاعـدة الاساسـيـة للثقـافـة – يجب ان يكون الاطار الذي يبين حدود الحرية، وان تتم المحافظة عليه لكونه يشكل المعايير والقواعد التي تؤمن احياء الامة وبعثها.

ونجد في البرقـية التي كـتبـهـا الى رئيس الجمـهورية آنذاك « جـلال بايار» والمدرجـة فـي كـتـابه « ملحق اميـرداغ » ان افـكاره هذه كـانت تشكل المسار الرئيس لدعوته:

(اننا لانقوم باستغلال الدين من اجل السياسة، لاننا لانبغي سوى الرضا الالهي ولانجعله آلة لشئ لا للدنيا ولا للسلطنة وهذا من اسس دعوتنا..

اجل! اننا لانعمل على استغلال الدين في سبيل السياسة ولكننا ضد الذين يستعملون السياسة ضد الدين وفي سبيل الالحاد وبشكل متعصب. ولو حدث ما يجبرنا ويضطرنا النظر في السياسة لكانت وظيفتنا آنذاك هي جعل السياسة في يد الدين وصديقة له، وبذلك نكسب لاخواننا في هذا الوطن محبة واخوة ثلاثمئة مليون من الاخوة المسلمين)[٣].

وقد بين بديع الزمان هذا في مجلس النواب في عهده بشكل واضح واشار الى ان الروح السائدة في «القوى الملية»[أ] التي قادت حرب الاستقلال هي الروح الاسلامية، وقد ادت هذا الى انعكاسات ايجابية في العالم الاسلامي وكانت سبباً لورود المساعدات منه.

وهو يوصي بان يتم الاستمرار على النهج نفسه بعد ان تم انقاذ البلد وانشاء الجمهورية، وهو لايخفى قلقه من انتشار وتوسع بعض التيارات في تركيا مثل المادية والوضعية [ب] التي سرت اليها.

(انني انظر الى الحكومة الجمهورية - التي الجأها الزمان الى اصدار بعض القوانين المدنية - كحكومة اسلامية لايمكن ان تسمح لاية تيارات الحادية ضارة للوطن وللامة).

ويكرر بان الانسانية والمدنية والجمهورية لايمكن ان تترقى دون ان تطبق «المشورة الشرعية».

في السنوات الاخيرة للدولة العثمانية لم يكن هناك فرق كبير بين اعلان المشروطية واعلان الحرية. والفروق الضئيلة بينهما هي ان الحرية نظرية بينما المشروطية هي التطبيق العملي لها ثم كونها تعتمد على المؤسسات.

وبعبارة اخرى ان اي نظام « Regime » تعتمد فيه الحرية على مؤسسات معينة يحمل خصائص المشروطية. وعندما يتحدث بديع الزمان عن « المشروطية » فانه يضيف اليها دائماً صفة « الشرعية ». ويقصد من ذلك ان المشروطية يجب ان تراعي « الشرع »، اي تراعي الاسس الاسلامية. والعناصر التي ستذكر هنا هي مواصفات « المشروطية » التي تؤطرها الشريعة.

يقول بديع الزمان عندما يُعرّف المشروطية:

(ان كانت المشروطية والقانون الاساسي هما الموضوع الذي سمعتم عنه فهما عبارة عن المشورة الشرعية. تلقوهما بترحاب وحافظوا عليهما)(٤).

لقد اثبت التاريخ ان الادارة البرلمانية هي وحدها القادرة على الوقوف امام الادارة العشوائية والتصرفات الشخصية، فالبرلمان الذي يتكون من ممثلي الامة سيتخذ القرارات التي تكون في صالح الامة. فتجمع الصلاحية في البرلمان يكمن في اساسه قصد تأمين حرية الامة وتأمين العدالة.

ويذكر بديع الزمان على الدوام (ان المشروطية نظام دستوري. فهو

عندما يتكلم عن « المشروطية والقانون الاساسي » (٥). نراه يذكر المفهومين دائماً معاً وكأنهما قرينان.

وعندما يقول بديع الزمان « يحيا القانون الاساسي للقرآن » فانه يسجل بان جميع المؤسسات الاجتماعية تستند الى الاسلام.

اذا كانت القواعد التي تربط كل فرد - حاكماً كان ام محكوماً - وتنظم الحريات والمسؤوليات والقواعد الاساسية للحقوق في اي مجتمع معروفه ومقبولة من قبل الجميع، فان هذا يؤدي الى استئصال الكثير من سوء الاستعمال والى استقرار نظام الدستور - الذي يعد المنظومة الكلية للقواعد - والى استمراره.

ومن هذه الزاوية يشير بديع الزمان الى ان المشروطية موجودة في ماهية الاسلام. واستناداً الى هذا الفهم الذي تبناه للنظرة السياسية القائمة على سيادة القانون، فانه يقدم صورة للبنية السياسية المقامة على الحرية وعلى العدالة.

ان الانموذج الذي اعطى له مثالاً من السيرة النبوية ومن عهود الخلفاء الراشدين الاربعة والقائم على عناصر العدالة والمشورة وسيادة القانون ليس في الحقيقة الا جمهورية مثالية.

ان بديع الزمان الذي ابان عن رأيه في النظام الجمهوري، واقامه على الاسس الرئيسة المذكورة اعلاه، وذلك قبل تأسيس الجمهورية التركية قد سيق الى المحاكم عدة مرات بعد عام ١٩٢٣ وذلك بتهمة معاداة الجمهورية.

ففي محكمة الجنايات الكبرى في مدينة «اسكي شهر» التي سيق اليها عام ١٩٣٥ سئل عن رأيه في النظام الجمهوري فاجاب:

(لقد كنت جمهورياً متدينا وذلك – باستثناء رئيس محكمة «اسكي شهر» – قبل ان تولدوا انتم، وكتاب «سيرة ذاتية»(ج) شاهد على ذلك)(٦).

وكدليل على ذلك ذكر بانه عندما كان طالب علم في مدينة «سعرت» كان يعطى الحساء الذي يجلبونه له الى النمل ويكتفي هو بشرب ماء الحساء. وعندما سئل عن ذلك قال لهم:

(ان النمل والنحل يعيشون في نظام جمهوري. واحتراماً مني لنظامهم الجمهوري فاني اقدم لهم حبات الارز في الحساء)(٧)

ان بديع الزمان الذي استصوب النظام الجمهوري بهذا النمط وبهذا المحتوى، اضطر احياناً الى ذكر وجهة نظره في الجمهورية العلمانية التي تأسست في تركيا عام ١٩٢٣ فهو يرى ان اية جمهورية مقامة على النمط العلماني الغربي يجب ألا تأخذ اي موقف معادٍ للدين.

وفي ضوء التجارب المرة الماضية، فقد اصبح من المبادئ المعروفة في العالم اليوم، ولاسيما في البلدان الصناعية المتقدمة للغرب، ان المجتمع الذي يتحرك بالعوامل الاقتصادية فقط لايمكنها المحافظة على الديمقراطية وادامتها، لان الافراد المستقيمين الفضلاء المزودين بالثقافة وبالدين هم الذين يستطيعون ادامة الديمقراطية والمحافظة عليها.

اننا نستطيع ان نقول بان قول بديع الزمان:

(انني شخص متدين ومن اتباع النظام الجمهوري) يشير الى النقطة التي ستصل اليها البشرية التي تخطو الآن نحو القرن الحادي والعشرين. وكأن هذا القول كان نابعاً في تلك الايام من اكتشاف قانون الهي.

* * *

الهوامش

1. Bediüzzaman Said Nursi. Divan-ı Harb-i Örfi, s. 41.
2. Bediüzzaman Said Nursi. Mektubat, s. 299.
3. Bediüzzaman Said Nursi. Emirdağ Lahikası, 2:16.
4. Bediüzzaman Said Nursi. Divan-ı Harb-i Örfi, s. 13.
5. A.g.e., s.13.
6. Bediüzzaman Said Nursi. Hutbe-i Şâmiye, s.53.
7. Bediüzzaman Said Nursi. Tarihçe-i Hayat. s,332.

هوامش المترجم:

(أ) هي القوة العسكرية التي شكلتها حكومة انقرة التي كان مصطفى كمال على رأسها. وكانت هذه الحكومة قد انشقت عن حكومة الخليفة رشاد الذي كان بمثابة الاسير في يد الدول التي احتلت اسطنبول وعلى رأسها انكلترة.

(ب) هي الفلسفة التي تقول باننا لانستطيع التوصل الى الحقيقة الثابتة الا بالتجربة والمشاهدة. وكل معرفة خارج التجربة والمشاهدة غير جديرة بالاهتمام ولاتعطي ثقة حول حقيقتها، ويعد الفيلسوف الفرنس «اوغست كومت» مؤسس هذه المدرسة الفلسفية. وهي فلسفة قاصرة لانها تخرج الوحي والدين من دائرة الحقائق وتحصر الحقائق في دائرة ضيقة.

(ج) من المعلوم ان طلاب بديع الزمان كتبوا عن سيرة وتاريخ استاذهم كتاباً في حياته تحت عنوان «سيرة ذاتية Tarihcei- Hayat» وقام الاستاذ النورسي بمراجعة الكتاب وحذف عبارات الاطراء منه.

الدكتور

احمد آق كوندوز

(جامعة سلجوق)

ولد عام ١٩٥٥ في قرية «مالقايا» التابعة لقضاء «گونگوش» وانهى تعليمه الابتدائي فيها. وتعلم اللغة العثمانية (اي قراءة وكتابة اللغة التركية المكتوبة بالاحرف العربية) من والده «جمعة آق كوندوز». وفي اثناء دراسته في الثانوية تعلم اللغة العربية. في سنة ١٩٨٢ تخرج من كلية الحقوق في جامعة اسطنبول. ثم التحق كعضو باحث في قسم «تاريخ الحقوق العامة» في كلية الحقوق في جامعة «دجلة» حيث بدأ بدراساته العليا. وفي عام ١٩٨٣ بدأ بدراسة الدكتوراه تحت اشراف البروفسور الدكتور «خليل جن». ولكي يقوم بالابحاث الضرورية لرسالته في الدكتوراه التي كانت حول «مؤسسة الاوقاف في القانون الاسلامي وفي التطبيقات العثمانية» فقد ذهب الى الكويت في النصف الاول من عام ١٩٨٥ بمنحة البعثة التي حصل عليها، وفي عام ١٩٨٦ حصل على شهادة الدكتوراه حيث عين مساعداً في قسم «تاريخ الحقوق» في كلية الحقوق لجامعة «سلجوق». في اعوام ١٩٨٤، ١٩٨٥، ١٩٨٦ قام بتدريس تاريخ الحقوق في تركيا، والتاريخ العام للحقوق في جامعة «دجلة»، وبتدريس نفس

هذه المواضيع في جامعة «سلجوق» في ١٩٨٦ – ١٩٨٧. في شهر تشرين الثاني لعام ١٩٨٦ نجح في امتحان اللغة العربية لمرحلة «الاستاذ المساعد» وفي شهر نيسان ١٩٨٧ نجح في امتحان اللغة الانكليزية للمرحلة نفسها. في ٣/ تشرين الثاني/ ١٩٨٧ اصبح مساعد استاذ في كلية الحقوق. في اعوام ١٩٨٦ – ١٩٨٨ عمل بحثاً في ارشيف التاريخ العثماني العائد لرئاسة الوزراء.

له مايقارب عشرة كتب، ومقالات عديدة جداً (تأليفاً وترجمة). يتقن اللغة الانكليزية والعربية والفارسية، وهو متزوج واب لطفلين.

رسائل النور مدرسة ايمانية جديدة

بينما رسائل النور تقوم – بصفة مدرسة ايمانية جديدة – بشرح الحقائق القرآنية بشكل يلائم ادراك العصر وفهمه، فانها كانت تعطي امثلة عن كتاب الكائنات، مفسرة بذلك القرآن في ضوء العلوم، ومبرهنا على ان الاسلام هو زبدة العلوم الحقيقية وخلاصتها.

الطرق المؤدية الى الله تعالى ورسائل النور

ان اسمى غاية للخلق واعظم نتيجة للفطرة هي الايمان بالله. واعظم دعوى هو اكتساب السعادة بمعرفة الله تعالى. لذا فان اهم موضوع في تاريخ الفكر الاسلامي، والذي وقف عنده العلماء وعصر المفكرون

عقولهم حوله وناقشه الفلاسفة بكل تفاصيله هو الايمان بالله وبصفاته، اي معرفة وجود الله ووحدانيته واقامة الدليل على ذلك.

وعند تدقيق تاريخ الفكر الاسلامي يتبين ان الطرق المؤدية الى عرش الكمالات يمكن ارجاعها الى اربعة طرق:

الطريق الاول:

هو طريق اهل التصوف القائم على التصفية النفسية، وعلى الاشراق. اما التصفية فهي تنقية القلوب من كل شئ عدا الله وذلك بالمداومة على العبادات وعلى ذكر الله تعالى ومحاولة الوصول بهذا الطريق الى الله والى معرفته.

اما الاشراق فهو محاولة العثور على الطرق الموصلة الى الله تعالى عن طريق الكشف والالهام.

في كلا الطريقين فان سلوك الطريق الموصل الى معرفة الله يتم عن طريق القلب. فمفتاح السير في هذا الطريق وسلوكه هو الذكر الالهي والتفكر. وبتعبير الامام احمد السرهندي مجدد الالف الثاني الملقب بالرباني: (ان منتهى الطرق الصوفية كافة هو وضوح الحقائق الايمانية وانجلاؤها)(١).

وحسب تصنيف الامام الرباني ايضاً فان «طريق التصوف هو الولاية الصغرى»(٢). والامام الرباني وعبد القادر الكيلاني وبايزيد البسطامي هم المقدمون في هذا الطريق المعنوي.

الطريق الثاني :

هو طريق علماء الكلام الذين وضعوا ما اطلق عليه اسم «علم الكلام» للدفاع عن العقائد الاسلامية والمحافظة عليها. وهناك اساسان استند اليها هؤلاء العلماء في اثبات وجود الله ومعرفته وهما دليلا «الامكان والحدوث». وعند استعمال هذين الدليلين يستندون الى العقل والى اسس نظرية. وجماعة العلماء امثال فخر الدين الرازي والتفتزاني والامام الغزالي هم قادة واعلام هذا الطريق المعنوي.

ومع ان هذين الطريقين اخذا إلهامهما من القرآن ثم توسعا وتشعبا، الا ان الفكر البشري وضعهما في قوالب عديدة ومختلفة مما ادى الى تعقدهما وتشابكهما، ولم يسلما من بعض الاوهام ومن بعض الورطات. وكما نقرأ بعض افراط وتفريط علماء الكلام عند مطالعة كتب علم الكلام، كذلك نقرأ عن بعض ورطات اهل التصوف في كتاب بديع الزمان «التلويحات التسعة».

الطريق الثالث :

وهو طريق فلاسفة المسلمين امثال ابن سينا والفارابي والكندي ممن اطلق عليهم اسم «المشائيون» او «الارسطيون» (اتباع ارسطو) الذين استندوا الى العقل، وهناك طائفة اخرى يطلق عليهم اسم «الاشراقيون» امثال السهروردي وابن طفيل الذين استندوا الى الالهام القلبي.

(ونظراً لاستناد الفلسفة الى مثل هذه الاسس السقيمة ولنتائجها

الوخيمة فان فلاسفة الاسلام الدهاة، الذين غرّهم مظهر الفلسفة البراق، فانساقوا الى طريقها كابن سينا والفارابي، لم ينالوا إلاّ ادنى درجة الايمان، درجة المؤمن العادي، بل لم يمنحهم حجة الاسلام الامام الغزالي حتى تلك الدرجة)(٣).

الطريق الرابع:

« وهو طريق القرآن الذي يشكل اساس سبيل رسائل النور »(٤)، ولا نود ان يُفهم من هذه العبارة ان الطرق الاخرى المذكورة سابقاً هي طرق خارج القرآن. واذا اردتم ماذا نقصد تماماً فلنستمع الى بديع الزمان:

(ان رسائل النور لاتقوم باعطاء دروسها باستعمال طريق العقل وبصره كما تفعل الكتب الاخرى للعلماء. ولاتقوم باستعمال الكشف القلبي وذواقه مثل سائر الاولياء. بل تقوم بمزج وتوحيد العقل والقلب وبتعاون الروح وسائر اللطائف الانسانية فترتفع الى الذروة العليا وتسمو الى اوج لاتصل اليها قدم الفلسفة لابل لايصل اليها حتى نظر الفلسفة. فتظهر الحقائق الايمانية وتجلوها حتى للعيون العمياء)(٥).

وفي فترة « سعيد الجديد » التي الف فيها رسائل النور يقول انه بعد قراءته تنبيه وايقاظ الامام الرباني « وحدّ قبلتك ، اي اتبع مرشداً واحداً » ولد في قلبه المعنى التالي:

(ان المرشد الحقيقي هو القرآن، وتوحيد القبلة يكون مع هذا المرشد

وبارشـاد هذا المرشد المقـدس بدأ القلب والروح بطراز غريب جـداً من السلوك. واجبرته نفـسه الامـارة بالسوء بـشبـهاتهـا وبشكوكهـا للقيـام بجهـاد معنوي وعملي. ولـم يسلك الطريق وعـيونه مغمـضة، بل سلكه وعيون قلبه وروحه وعـقله مفتحة مثلما فعل الامـام الغزالي ومولانا جلا الدين الرومي والامام الرباني. وحمداً لله سبحـانه وتعالى حمداً لاحصر له فـقد اسـتطاع - بدرس من القـرآن وارشاد منه - الاهتـداء الى طريق يؤدي الى الحق فـسلكه. وقـد اظـهـر برسـائـل النور انه اصبـح مـظهـراً للحقيقة القائلة «وفي كل شئ له آية تدل على انه واحد»)(٦).

وبقـيـام رسـائـل النور بشـرح ادلة الاخـتـراع والعنـاية (التي ورد في القـرآن في اثبات وجـود الله) بمزجهـا بالعلوم التي توسـعت في عصـرنا فانهـا اصبحت بمثـابة مدرسة ايمانيـة جديدة، ولكي نعـرف ما تتميز به رسائل النور عن كتب العلماء الآخرين نستمع الى بديع الزمان:

(ان رسائل النور لاتعمر تخـريبات جزئية، ولاترم بيتاً صغيـراً مهدماً وحده، بل تعمّر ايضاً تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة محيطة عظيمة - صخورها كالجبال - تحتضن الاسلام وتحيط به. وهي لاتسعى لاصلاح قلب خـاص ووجـدان مـعين وحده، بـل تسعـى ايضاً وبيـدها اعـجـاز القـرآن لمداواة القلب العـام، وضمـاد الافكار العـامة المكلـومة بالوسـائل المفـسـدة التي هُيـئت لهـا وركـمت منذ ألف سنة، وتنـشط لمداواة الوجدان العـام الذي توجّه نحو الفساد نتيجة تحطم الاسس الاسلامـية وتيـاراته رشـعـائره التـي هي المسـتند العظيم لـلجمـيع وبخـاصـة عـوام

المؤمنين. نعم انـها تـسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية اعجاز القرآن والايمان) (٧).

ويشرح فرقها عن المؤلفات الاخرى فيقول:

(ان معظم دواوين الشخصيات المبجلة السابقة وبعض مؤلفات العلماء تبحث عن نتائج وعن ثمرات الايمان والمعرفة. ذلك لانه لم يكن هناك في زمانهم هجوم على اسس الايمان وعلى جذوره، ولم تكن اركان الايمان متزلزلة. اما الان فهناك هجوم شديد وعام على اركان الايمان وعلى جذوره. ان معظم الدواوين والمؤلفات السابقة تخاطب خواص المؤمنين وتخاطب الافراد فلا تستطيع دفع الهجوم العنيف الحالي. اما رسائل النور فانها (وهي تستمد المعجزة المعنوية من القرآن) تقوم بانقاذ اسس الايمان، وهي لاتسلك سبيل الاستفادة من الايمان القوي المستحكم، بل تستعين ببراهين ساطعة وبادلة قوية عديدة من اجل البرهنة على الايمان وتثبيته والمحافظة عليه وانقاذه من الشبهات)

(ان مؤلفات العلماء الاخرين تقول: كن ولياً... شاهد... ثم اصعد الى المقامات العليا... انظر وخذ الانوار والفيوضات. اما رسائل النور فهي تقول: لايهم من تكون... انظر... شاهد... فقط افتح عيونك وشاهد الحقيقة وانقذ ايمانك الذي هو مفتاح السعادة الابدية) (٨)

والخلاصة ان رسائل النور من الناحية المعنوية تترنم بهذه الابيات:

مادام في يدي مثل هذا القرآن المعجز البيان
فما حاجتي الى أدلة اخرى؟
ومادام هناك برهان حقيقة مثل القرآن
أيصعب عليّ ان أُفحم المنكرين؟(٩).

اهل التصوف وعلماء الكلام
يخبرون بسمو هذا الطريق وشموله

ان منتسبي الطريقين الآخرين المهمين الذين يستلهمون القرآن وهما اهل التصوف وعلماء علم الكلام قد ادركوا منذ زمانهم مدى سمو هذا الطريق وشموله واخبروا منتسبيهم ذلك. وننقل شاهدين فقط بهذا الخصوص.

يقول الامام الرباني – وهو من ائمة التصوف – في كتابه «المكتوبات» المجلد الاول ص/٣٠١ – ٣٠٢ وفي الرسالة رقم ١٢٢ في الجزء الثاني ما ملخصه:

(ان اكبر مبلّغ للالوهية هو النبي ﷺ. وهناك طريقان يوصلان الانسان الى كمالات النبوة التي نشرها النبي ﷺ في العالم احدهما طريق الولاية ويدعى الولاية الصغرى، وهو طريق صعب الوصول اليه وتكثر فيه الاستار ويتطلب قطع مراتب عديدة فيه. والطريق الثاني هو طريق الولاية الكبرى وهو طريق الوراثة النبوية. ويوصل الى الحقيقة

مباشرة دون الدخول الى برزخ التصوف، وهو طريق خاص بالانبياء والصحابة والتابعين وبعض كبار تابعي التابعين، وطريق جماعة تأتي في آخر الزمان. وهذا الطريق قصير وسهل ودون اية مخاطر)(١٠).

وبديع الزمان يؤيد كلام الامام الرباني فيقول:

(اذن فالصراط المستقيم، بل صراط طريق الولاية الكبرى ان هو الا طريق الصحابة والاصفياء والتابعين وائمة اهل البيت والائمة المجتهدين وهو الطربق الذي سلكه التلاميذ الاول للقرآن الكريم)(١١).

(وهكذا فرسائل النور تفسر هذا الطريق الكلي الجامع ذا المعرفة السامية وتقوم باسم القرآن وباسم الايمان بالدفاع والنضال ضد التيارات المخربة التي هي ضد الانسانية وضد الاسلام وضد القرآن منذ ألف عام)(١٢).

ان القلوب التي قرأت رسائل النور ورأت الانوار التي فتحتها في القلوب والنفوس يدرك ان الطريق الذي اشار اليه الامام الرباني هو طريق رسائل النور.

اما المثال من علماء الكلام فنقدمه من الامام فخرالدين الرازي العالم المعروف في علوم الكلام والتفسير والفقه والعلوم الشرعية العقلية، وهو مشهور بحيث لانعتقد ان هناك من لم يسمع به، فهو صاحب التفسير المشهور «مفاتيح الغيب» وكذلك تفسيره المفصل «التفسير الكبير» في ثلاثين جزءً، وكتبه «المحصل»(أ) و«الاربعين» وله ما يقارب خمسين كتاباً في علم الكلام مما أهّله لحمل لقب «الامام».

لنستمع الى بعض الحقائق من وصية الرازي:

(اخواني في الـدين! ويا اصدقائي الـراغبين في الوصول الـى اليقين في الايمان! يقول الناس: ان الانسان عندمـا يتوفى يقطع صلته بالخلق، يستثني من هذه القـاعدة امران: الاول لوكـان عنده عمل صـالح باق، فانه يـكون وسيلة للدعـاء. وللدعاء عند الله منزلة واثار لاتزول. الـثاني تربية الاولاد وحقوق المظلومين، وكلها امور تستوجب دوام العلاقة.

(بالنسبة للامر الاول اقول:

ليكن معلومـاً لديكم باني شخص احب العلم، وقد كـتبت في كل المواضيع. وانا لا اعلم مدى الحق والباطل والمفيد وغير المفيد فيما كتبت دون ان اعيـر بالاً الى كميـة وكيـفية مـا كتبت. ولكني عـندما انظر الى كتبي المشهورة فقد رأيت:

ان هذا العـالم الذي نراه بعيوننا تحت تدبير مـدبر. وهذا المدبر منزه عن المثيل وعن النظيـر وذو قدرة كاملة ومـتصف بالعلم وبالرحمـة. لقد جربت كل طرق المعرفة في علم الكلام فلم اجـد في اي منها ما وجدته في القـرآن من فيض ومـن لذة. ذلك لان القرآن يسنـد العظمة والجـلال كله الى الله بـالادلة ويمنع مناقـشـة مـســائل الايمان بالادلة الكلامـيـة المعـقدة، والـسبب الوحـيـد في ذلك علمـه بان صاحب الـقرآن وعـقل البشر سيتبلبل من هذه المناقشات العميقة)(١٣).

لهذه الاسباب فان بديع الزمان يقدم ملاحظاته التالية:

(فمادامت الحقيقة هكذا: فانني اخال ان لو كان الشيخ عبد القادر الكيـلاني والشاه النقـشبند والامـام الرباني وامثـالهم من اقطاب الايمان

رضوان الله عليهم اجمعين في عصرنا هذا، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الايمانية والعقائد الاسلامية، ذلك لانهما منشأ السعادة الابدية، وان اي تقصير فيهما يعني الشقاء الابدي.

نعم، لايمكن دخول الجنة من دون ايمان، بينما يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف. فالانسان لايمكن ان يعيش دون خبز، بينما يمكنه العيش دون فاكهة. فالتصوف فاكهة والحقائق الاسلامية خبز.

وفيما مضى كان الصعود الى بعض من حقائق الايمان يستغرق اربعين يوماً، بالسير والسلوك، وقد يطول الى اربعين سنة، ولو هيأت الرحمة الالهية في الوقت الحاضر طريقاً للصعود الى تلك الحقائق لايستغرق اربعين دقيقة! فليس من العقل ان لايبالي بهذا الطريق؟!) (١٤).

وهذا الطريق هو طريق رسائل النور. ذلك لان رسائل النور تفسير حقيقي للقرآن.

رسائل النور تفسير حقيقي للقرآن

ان الخواص المذكورة لرسائل النور تنبع من كونها تفسيراً حقيقياً ومعنوياً للقرآن وبشكل مناسب لعقلية العصر وادراكه. فكما هو معلوم فان (التفسير نوعان:

الاول: التفاسير المعروفة التي تبين وتوضح وتثبت معاني عبارات القرآن الكريم وجمله وكلماته.

القسم الثاني من التفسير: هو ايضاح وبيان واثبات الحقائق الايمانية

للقرآن الكريم، اثباتاً مدعماً بالحجج الرصينة والبراهين الواضحة. ولهذا القسم اهمية كبيرة جداً.

اما التفاسير المعروفة والمتداولة فانها تتناول هذا النوع الاخير من التفسير تناولاً مجملاً احياناً. الاّ ان رسائل النور إتخذت هذا القسم اساساً لها مباشرة. فهي تفسير معنوي للقرآن الكريم بحيث تلزم اعتى الفلاسفة وتسكتهم.) (١٥).

ان كانت رسائل النور تفسيراً حقيقياً للقرآن فماذا تفسر من القرآن؟ وماهو الهدف الحقيقي للقرآن وما هي الحقائق التي يريد بيانها؟

ان الاجوبة على هذه الاسئلة ستوضح ايضاً لماذا كانت رسائل النور تفسيراً حقيقياً ومعنوياً للقرآن.

اولاً: ان القرآن ترجمة ازلية لكتاب الكائنات المنبثق عن الصفة التكوينية لله. اي ان الله تعالى الذي كتب كتاب الكون بيد القدرة ترجم هذا الكتاب بالقرآن (الناشئ عن صفة الكلام) الذي هو الكلام الازلي له. ان سمو الاسلام وعلوه يعود الى ان قواعد كتاب الكون تتطابق مع قواعد القرآن. ولهذا السبب كان الاسلام دين الفطرة. ورسائل النور هي ايضاح لهذه الترجمة الازلية وتفسير لها.

ثانياً: ان الهدف الرئيس للقرآن هو الاجابة على الاسئلة المعنوية الموجهة الى الكائنات:

(ايها الكون! من اين وبأمر من جئت؟ من سلطانك وآمرك؟ من دليلك وخطيبك؟ ماوظيفتك؟ ومامصيرك؟)

ثالثاً: لقد اجاب القرآن على هذه الاسئلة بالجواب التالي:

(هناك اربعة مقاصد لي، وهو ايراد برهان الله تعالى خالق الكائنات حول التوحيد والنبوة والحشر الجسدي والعبادة والعدالة). وهذه الاهداف الاربعة منتشرة في كل اجزاء القرآن.

اذن فالهدف الاصلي للقرآن هو بيان هذه الحقائق الاربعة. وان تناول القرآن للكون هو من اجل بيان هذه المقاصد الاربعة الرئيسة. ان سور كتاب الكون وآياته وحروفه هي هذه الكائنات المخلوقة، وهي دلائل وبراهين لكل صاحب عقل على المقاصد الاربعة المذكورة.

ومن هنا تظهر الحقيقة التالية: كما ان موضوع القرآن هو الكون فان الكون ايضاً موضوع للعلم. فالقرآن والعلوم كلا منهما يقومان بايضاح ابواب وفصول وسور وآيات كتاب الكون هذا، لذا فلايمكن مطلقاً ان تكون هناك حكمة اوعلم مخالف ومضاد للقرآن. ذلك لان القرآن هو ترجمة لكتاب الكون من قبل مؤلفه، اما العلوم فهي الايضاحات المقدمة للكتاب نفسه من قبل بعض المبتدئين من الذين لم يفهموا هذا الكتاب الفهم الكافي، وعلوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات هي العلوم التي توضح احكام كتاب الكون.

وهكذا فان رسائل النور تستلهم القرآن (الذي هو ترجمة كتاب الكون) مستندة الى آيات كتاب الكون والى الامثال لشرح المقاصد الرئيسة للقرآن، وهي حقائق التوحيد والنبوة والحشر والعدل. وبما انها تقوم بشرح حقائق القرآن وتفسيرها وايضاحها بايراد امثلة من كتاب الكون، فان عملها هذا يعد تفسيراً لكتاب الكون ايضاً، ولهذا السبب

فان موضوع البحث عند رسائل النور فيما يتعلق بعلاقة العلوم مع فصل او باب كتاب الكون وما تظهر هذه العلاقة من النظام الكلي للكون تبرهن على المقاصد الرئيسة للقرآن بشكل تراه حتى العيون العمياء. وفي المسائل الكونية التي تناولها القرآن تستعمل رسائل النور قواعد العلوم (التي تبحث نفس هذه المسائل) في ايضاح اسس التوحيد والنبوة والحشر والعدل.

لنعط على هذا بعض الامثلة:

استناداً الى الاسس العلمية التي تم وضعها، فان جميع العلوم الوضعية تشرح النظام الكلي الموجود في الكون، فمثلاً تبين العلوم المتعلقة بعين الانسان مدى النظام الموجود في العين. في هذا الموضوع يتفق العلم والقرآن. اي ان كلا منهما يتفقان على ان كتاب الكون قد كُتب بانتظام ونظام. وهكذا فان القرآن ورسائل النور – التي هي التفسير الحقيقي للقرآن – يتفقان على ان هذا النظام والانتظام الثابت ايضاً عن طريق العلوم، يدل على سلطنة سلطان هذا الكون، وعلى بديع صنعه دلالة واضحة تراها حتى العيون العمياء. ويدلل القرآن بقواعد العلم – هذا العلم الذي ساق بعضَ العلماء الى الانكار – على مقاصده الرئيسية الاربعة ويوضحها بكل جلاء.

اليكم مثالاً في موضوع التوحيد عندما يسأل السائح الكون عن خالقه (ب):

(ثم يرجع بنظره الى «الغيث» فيرى انه مثقل بمنافع بعدد شآبيبه

ويحمل تجليات رحمانية بعدد زخاته، ويظهر حكماً بقدر رشحاته، ويرى ان تلك القطرات العذبة اللطيفة المباركة تُخلَق في غاية الانتظام وفي منتهى الجمال والبهاء وبخاصة البَرَد الذي يرسل – وينزل حتى صيفاً – بانتظام وميزان، بحيث ان العواصف والرياح العاتية – التي تضطرب من هولها الكتل الضخمة الكثيفة – لاتخل في موازنة ذلك البَرَد ولا انتظامه، ولاتجعله كتلاً مضرة جمعاً بين حبّاته!. فهذا الماء الذي هو جماد بسيط لايملك شعوراً، يُستخدم في امثال هذه الاعمال الحكيمة، وبخاصة استخدامه في الاحياء والتروية، وهو المركب من مادتين بسيطتين جامدتين خاليتين من الشعور؛ هما مولد الماء ومولد الحموضة – الهيدروجين والاوكسجين – الا انه يستخدم في مئات الآلاف من الخدمات والصنائع المختلفة المشحونة بالحكمة والشعور.

فهذا الغيث اذاً ما هو الاّ رحمة متجسمة بعينها، ولايتم صنعه الاّ في خزينة الغيب لرحمة «الرحمن الرحيم»)[١٦].

(فتأمل في ذلكم البارئ المصور سبحانه وتعالى الذي يكتب امام انظارنا باحسن صورة واتمها بقلم القدرة والقدر اكثر من ثلاثمائة الف نوع من الانواع على صحيفة الارض، مبدلاً صحيفة الشتاء البيضاء الى الاوراق المتفتحة للربيع والصيف، يكتبها متداخلة دون اختلاط، يكتبها معاً دون مزاحمة ولا التباس، رغم تباين بعضها مع البعض الآخر في التركيب والشكل. فلا يكتب خطأ مطلقاً. أفيمكن ان يُسأل الحفيظ الحكيم الذي ادرج خطة روح الشجرة الضخمة

ومنهاجها في بذرة متناهية في الصغر محافظاً عليها، كيف سيحافظ على ارواح الاموات؟. ام هل يمكن ان يُسأل القدير ذو الجلال الذي يُجري الارض في دورتها بسرعة فائقة، كيف سيزيلها من على طريق الآخرة، وكيف سيُدمرها؟.)[١٧].

(انه هو كذلك – بالبداهة – اكمل مَن بيّن المقاصد الالهية بالقرآن الكريم وأحسن مَن وضح السبيل الى مرضاة رب العالمين، فلبّى ارادته سبحانه في تعريف مايريده من ذوي الشعور وما يريد ه من ذوي الشعور وما يرضاه لهم بوساطة مبعوث، بعدما عرّف نفسه لهم بجميع مصنوعاته البديعة وحببها اليهم بما اسبغ عليهم من نعمه الغالية)[١٨].

والخلاصة ان رسائل النور تقوم باظهار وايضاح هذه المقاصد الاربعة للقرآن باسم العلوم فاصبحت مرآة للقرآن في هذا الخصوص الى درجة اننا لو قمنا بمقارنة النسب الواردة في آيات القرآن الكريم لمواضيع التوحيد والنبوة والحشر والعدالة مع النسب الواردة لها في كليات رسائل النور البالغة ٦٠٠٠ صفحة لرأينا ان هذه النسب متقاربة فيما بينها بشكل كبير.

النتيجة:

ان رسائل النور حركة تجديدية ليس في علم الكلام فحسب، بل في ايضاح اهداف القرآن وفي شرح حقائق الايمان وفي موضوع معرفة الخالق الصانع، وهي مدرسة ايمانية تمتد جذورها الى عصر النبوة.

وكمدرسة ايمانية جديدة فان رسائل النور لم تكتف بشرح حقائق القرآن حسب فهم العصر وادراكه، بل انها بقيامها بشرح القرآن على ضوء العلوم مع اعطاء امثلة على ذلك وبايضاح ان كتاب الكون – الذي يعد القرآن الترجمة الازلية له – يتعلق بكل علم من العلوم الموجودة فقد أبانت ان الاسلام هو زبدة العلوم الحقيقية وخلاصتها ولبها.

ومن جانب آخر فانها بشرحها حقائق القرآن بوساطة كتاب الكون، وايراد الامثلة على ذلك اثبتت ان حقائق كتاب القرآن – الظاهر للوجود بصفة الكلام – تتطابق مع حقائق كتاب الكون – الظاهر للوجود بصفة القدرة – وتتوافق معها. واظهرت بذلك لجميع العقول مدى امتياز وتميز الاسلام عن الاديان الاخرى وعن الافكار الاخرى التي تدور حسب الاهواء والامزجة، والتي تشع احياناً بالنور وتغرق احياناً في الظلام.

وباشارتها الى ان كل حرف من حروف كتاب الكون وكل آية منه تشكل منبعاً لحقيقة من حقائق القرآن، فانها تجلب الانظار الى كتاب الكون وتحث على قراءته والاطلاع عليه(١٩).

فمثلاً نراها تقول: (وانظر الآن الى الطيور.. تجد ان هديلها وتغريدها وزقزقتها، ليس الاّ من انطاق خالق حكيم.. فمناجاة بعضها بعضاً، وما تسبكه في لحونها من اشجان لِمَّا يأخذ بالالباب)(٢٠).

والخلاصة فان رسائل النور:

(ليست تصوراً بل تصديقاً وليست اسلاماً وانما ايماناً، ولامعرفة بل شهادة وشهود، ولاتقليداً بل تحقيقاً، ولا التزاماً بل اذعاناً، ولا تصوفاً بل حقيقة، ولا ادعاء بل برهاناً في ثنايا الدعوى.)(٢١)

و (ان اسس رسائل النور هي العلاج الوحيد لانقاذ هذا البلد في هذا العصر وانقاذ هذه الامة من الفوضى ومن التردي ومن التدني الرهيب)(٢٢).

* * *

هوامش المترجم:

(أ) الاسم الكامل لهذا الكتاب هو «محصل افكار المتقدمين والمتاخرين» وهو كتاب في الفلسفة وله كذلك كتاب «المحصول» و «اصول الشافعية» و «مناقب الامام الشافعي» و «لباب الاشارات» و «المباحث الشرقية» و «شرح ديوان سقط الزند» لابي العلاء المعري.

(ب) ألف الاستاذ بديع الزمان كتاباً اسماه «الآية الكبرى» وهو حول سائح يسبح في ارجاء الارض ويسأل الكون عن خالقه، والكتاب مؤلف حول غاية واحدة ولايضاح حقيقة واحدة وهي ان المتأمل في ملكوت السماوات والارض لابد وان يصل الى معرفة خالقه وخالق هذا الكون.

الهوامش

1. Bediüzzaman, Mektûbât, 5. Mektûb, sh. 22
2. İmam Rabbânî, Mektûbât, c. 2, sh. 363 vd.; Bediüzzaman, Mektûbât, 5. Mektûb, sh.22
3. Bediüzzaman, Sözler, 30. Söz, sh. 543
4. Bediüzzaman, Mesnevî-i Nuriye, 252-253; Muhâkemât, Âsâr-ı Bedîiyye, 252
5. Bediüzzaman, Sikke-i Tasdîk-i Gaybî, 189
6. Bediüzzaman, Mesnevî Nuriye, sh. 7-8
7. Bediüzzaman, Şualar, 179
8. Bediüzzaman, Sikke-i Tasdîk, Gaybî, sh. 188
9. Bediüzzaman, Sözler, 365
10. İmam-ı Rabbânî, Mektûbât, C.1, sh. 361-366 (31 ve 302. Mektublar); III, 184-186 (122. Mektûb); Bediüzzaman, Mektûbât, 5. Mektûb, sh. 22-23
11. Bediüzzaman Said Nursî, Mektûbât, s. 85
12. Bediüzzaman Said Nursî, Sikke-i Tasdîk-i Gaybî, s. 218.
13. Fahreddin Razi. et-Tefsirü'l-Kebir, c.1, Mukaddime
14. Nursî, Mektûbât, s. 23
15. Bediüzzaman Said Nursî, Şu'alar, s.425.
16. A.g.e. s. 108-109.
17. Bediüzzaman Said Nursî, Sözler, s. 81-82.
18. Nursî, Mektubat, s. 213.
19. Bediüzzaman Said Nursî, Âsâr-ı Bediiiyye, s. 163-165.
20. Nursî, Sözler, s. 671.
21. Nursî, Sikke-i Tasdik-i Gaybî, s. 239.
22. A. g. e. s. 185.

الدكتور

كولن تورنر

(جامعة دورهام – انكلترة)

ولد عام ١٩٥٥ في مدينة برمنغهام في انكلترة. تشرف بالانتساب الى الاسلام عام ١٩٧٥ . اكمل تعليمه العالي في جامعة دورهام واختص باللغة العربية واللغة الفارسية.

قدم فيما بعد رسالة دكتوراه في موضوع (الحركات السياسية والدينية في العهد الصفوي في ايران).

يدرس حالياً في جامعة «مانشستر» وعاكف على تأليف كتاب (الفلسفة الاسلامية في القرن السابع عشر).

عكف على دراسة رسائل النور منذ عشر سنوات وهو متزوج واب لثلاثة اطفال.

التجديد وبديع الزمان

انني اعتقد بان رسائل النور هو المؤلَّف الاسلامي الوحيد الذي يقدم الكون كما هو، ويفسر القرآن كما اراده رسول الله، ويقدم العلاج الشافي للانسان الحديث الذي سيطرت عليه الامراض الخطيرة. لذا فانني ارى ان بديع الزمان يستحق لقب المجدد.

جاء في سنن ابي داود في فصل «كتاب الملاحم» الحديث التالي:
(سيبعث الله على رأس كل مئة عام من يجدد لهذه الامة دينها..)

ان تأويل الاحاديث كان دائماً اكثر صعوبة ومشاكل من تفسير القرآن. واوضح سبب لذلك هو عما اذا كان الحديث صحيحاً او غير

صحيح (طبعاً هناك اسباب اخرى كذلك الا انها لاتعنينا هنا) . فمن المعلوم ان الاحاديث لاتعد كلها صحيحة، فالحقيقة ان العلماء لم يتفقوا الا على احاديث قليلة من الاحاديث المنسوبة الى رسول الله ﷺ. فان استثنينا الاحاديث الواردة في «الموطأ» وفي «المسلم والبخاري» فاننا نجد ان الاحاديث الموضوعة والضعيفة موجودة جنباً الى جنب مع الاحاديث الصحيحة في كتب الاحاديث الاخرى. بل ان الاحاديث التي عدت صحيحة لم تسلم من بحث ومن نقد علماء الحديث.

وحديث التجديد لايخرج خارج هذه القاعدة. فابي داود نفسه يشك في نسبة هذا الحديث الى رسول الله ﷺ. اما علماء الحديث الآخرون فقد اشاروا الى سند الحديث وقالوا بان الحلقتين الاخيرتين منه ضعيفة وتستدعيان الشك فيهما. وهناك محدثون اوردوا الروايات المختلفة لهذا الحديث دون ذكر اي مصدر، ونقلوه كأنه اقوالهم، او نسبوا هذا الحديث الى رسول الله دون ذكر السند.

ولكوني غير مختص بعلم الحديث فلا يحق لي ابداء الرأي في مدى صحة هذا الحديث. ولو كان لي ان اعبر عن رأيي الشخصي لقلت بان هناك مسائل تشغل تفكيري حول موضوع «التجديد»، وليست مسألة صحة هذا الحديث، اي صحة نسبته الى الرسول او عدم صحته من ضمن هذه المسائل. ذلك لانه سواءً أكان الحديث صحيحاً او غير صحيح فانه يعبر عن حقيقة عاشتها المجتمعات قديماً

وتعيشها في زماننا حتى ونحن مجتمعون هنا حالياً.

ان الموضوع الذي يقلقني في الواقع هو قيام المسلمين في اكثر الاحيان بتفسير هذا الحديث بما يوافق مقاصدهم. والواقع ان هذا ليس وضعاً خاصاً بالحديث فكثير من ايات القرآن – الذي لايشك احد في صحته – فسرت تفسيراً خاطئاً وحسب الملاحظات الشخصية ومتمشياً مع مقاصد معينة.

تنظيم قائمة المجددين

لقد انصب اهتمام علماء المسلمين وتمركز بالنسبة لهذا الحديث في الاغلب على اشخاص هؤلاء المجددين. اما التجديد وماهيته وضرورته فلم تناقش – ان نوقشت اصلاً – الا نادراً. وكلما انتشر هذا الحديث بين المسلمين وانتقل من جيل الى جيل، نظمت قوائم مختلفة للمجددين. ولن استغرب ابداً ان تظهر قوائم مختلفة للمجددين بعدد الذين قاموا بتنظيمها. ان عدد القوائمْ التي اطلعت عليها حتى الآن يزيد على العشرين. ومع ان بعض الاسماء وردت في اكثر من قائمة، الا ان كل قائمة لاتتطابق مع اية قائمة اخرى. ان من يقوم بتدقيق هذه القوائم المتعلقة بمن عدوا مجددين سيلاحظ دون شك ان كل قائمة تأخذ صيغة المدرسة التي ينتمي اليها واضعها. فان كانت القائمة منظمة وموضوعة من قبل شخص حنبلي فان هناك احتمالاً كبيراً ان تكون القائمة مؤلفة من اهل التصوف. والخلاصة ان اي عالم ينتسب الى تيار

معين او الى ساحة معينة او جماعة ايدولوجية معينة، فسيميل لتطبيق هذا الحديث على اساتذته. وهناك قائمة لايشك احد بانها نظمت من قبل عالم منتسب لقصر ملكي، فكل اسم في هذه القائمة يعود إما الى ملك او الى سلطان.

كيف نعرف المجدد وكيف ينتخب شخص لشغل مرتبة المجدد؟

لايوجد في هذا الخصوص اجماع رأي، ذلك لان التجديد ليس مقاماً ولا عنوان وظيفة، بل هو عنوان شرف، لذا فمن الطبيعي ان تتعدد هذه القوائم. ولكن هناك ايضاح آخر لهذا الاختلاف قد يكون اقل لفتاً للنظر ولكنه ايضاح اكثر واقعية، وهو اننا نتهافت كثيراً على الاشخاص، واذا ارتفع احد منا الى مرتبة عليا فان هذا يولد في نفوسنا نوعاً من الفخر والاشباع النفسي.

هناك مواضيع اخرى مطروحة للنقاش في هذه المسألة، فمثلاً يتفق كثير من العلماء على ان اول مجددين هما عمر بن عبدالعزيز والامام الشافعي، وقد توفي الاول عام ١٠١ للهجرة وتوفي الثاني عام ٢٠٤ للهجرة. ولايستطيع احد انكار الخدمات التي قدمتها هاتان الشخصيتان الفاضلتان لدعوة الاسلام. ولكن لايملك احد نفسه من ملاحظة ان التواريخ المتخذة اساساً لهذين المجددين هي تواريخ الوفاة. صحيح ان هذا ينسجم مع التقاليد المرعية في السير الاسلامية التي تتخذ تواريخ الوفاة اساساً، الا انه لاينسجم مع لفظ الحديث كثيراً. ذلك لان هاتين الشخصيتين توفيتا بعد بداية العصر بقليل، لذا

فيستحيل عليهما تجديد الدين او تعميره، ولهذا فان العلماء الذين اتوا بعدهم اشترطوا ان يكون المجدد حياً بعد بداية العصر وفعالاً. وفي هذه الحالة فان وضع العلماء الذين لايستطيع احد انكار خدماتهم الجليلة للاسلام، ولكن تواريخ وفاتهم لاتتطابق مع تعريف الحديث جعلتهم خارج عنوان «المجدد»، اصبح مشكلة اخرى.

اما قيام العديد من العلماء بصرف جهود كبيرة ووقت ثمين في نقاش القوائم التي اعدها العلماء الاخرون وردها فهو موضوع آخر.

والخلاصة ان هناك احاديث قليلة يمكن ان تؤدي الى مثل هذا التحزب. ومع ذلك فان هذه المناقشات لاتتعلق بحديث المجدد، لذا فلا تشكل سبباً لرد الحديث كما فعل بعض العلماء. وانا اظن بان المناقشات التي جرت حول هذا الموضوع قبولاً او رداً بعيدة عن اساس الموضوع مع انها قد تكون مفيدة في ساحتها. فكما ان هناك اقوال نسبت الى رسول الله ﷺ الا انها يجب ردها لكونها تخالف القرآن وتخالف المنطق، كذلك فهناك حقائق يؤيدها القرآن والمنطق الا انها لم تعبر عنها بحديث. ولكي نختبر صحة حديث ما فان الطريق الامين نسبياً والذي يرد للعقل هو ما اشير اليه من قبل رسول الله نفسه فيما معناه: (ان سمعتم قولاً يُنسب اليّ فاعرضوه على كتاب الله، فان كان موافقاً له فهو لي وان لم اقل به).

واستناداً الى هذا المقياس فمع انني لااری داعياً لرد حديث المجدد، الا انني لا ارى ايضاً سبباً يدعوني الى قبوله.

غير انني استطيع قول مايلي تحت بعض القيود: انه لقبول هذا

الحديث – في الاقل من ناحية المعنى – يجب الاخذ بنظر الاعتبار وجود بعض الابهام، او بتعبير آخر بعض المطاطية في تعبيره. فكلمة «من» الواردة في الحديث قد تعني الشخص الواحد او عدة اشخاص في اللغة العربية، لذا فنحن مضطرون الى الاخذ بنظر الاعتبار احتمال وجود عدة مجددين في العصر الواحد. اما تعبير مئة عام فهو تعبير شعبي رائج وهو – مثله في ذلك مثل رقم سبعة ورقم اربعون – لا يعني بالضبط تكرر دورة التجديد على اساس مئة عام بالضبط. وانا اعتقد بان معنى الحديث هو ان انساناً او اناساً يقومون بالهام من الله تعالى وحسب الحاجات التي يقتضيها الزمن بتقديم الاسلام بشكل يوافق روح الوحي وحاجات العصر الى الناس وذلك بكتبهم وبطراز حياتهم. وهكذا يكون المجدد قد حقق في الوقت نفسه شيئين مهمين جداً:

الاول: تقديم القرآن الى الناس في عصره كما انزل وكما اريد تبليغه للناس عند نزول الوحي.

الثاني: ان يقوم بهذا حسب افهام اناس عصره وبشكل يناسب مستوياتهم. وهكذا يكشف عن المعاني التي بقيت خافية عن اهالي مكة والمدينة في القرن السابع. وانا اعتقد بان هذا هو المعنى الحقيقي للتجديد. وان العبارة المكتوبة على غلاف مجلة «النور» (أ) تذكرني دائماً بهذه الحقيقة والعبارة هي (كلما شاخ الزمن تجدد شباب القرآن وتوضحت رموزه).

وقد اشار رسولنا الحبيب الى ان هناك معاني في القرآن سوف تفهم

من قبل الاجيال القادمة (ب)، وبذلك فقد اومأ الى مفهوم التجديد.

ضرورة المجدد واهميته

هناك ادلة عقلية ونقلية عديدة حول ضرورة المجدد واهميته. اذ لما كان القرآن – كما تقول الآية الكريمة – خطاباً الهياً لكل البشر وفي كل الازمنة وانه – تحقيقاً لوعد الخالق – يدل كل من يطلب الهداية الى الصراط المستقيم فان هذا يعني وجود شخص او اشخاص في كل عصر تكون وظيفته القيام بتفسير القرآن من جديد وبيان معاني حقائقه، هذه المعاني التي لاتظهر الا عندما يحين وقتها. وهؤلاء الاشخاص هم العلماء، واقصد بالعلماء هنا ما ورد في القرآن: ﴿**انما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ (فاطر: ٢٨) وليس المختصين في الشريعة او في القانون، فهم مع كونهم اصحاب معلومات الا انهم ليسوا علماء بالمعنى الذي قصده القرآن.

ومن ضمن هؤلاء العلماء سيتميز بعضهم ويكون فهمهم للكون ولمعاني القرآن اشمل، وهؤلاء هم المجددون.

والمجددون العلماء هم – كما ورد في حديث آخر – (ورثة الانبياء) لذا يُعد التجديد امتداداً للنبوة. ويعد المجددون ورثة للانبياء في عصورهم. فالوحي لايتجلى لهم كالانبياء، والمجدد قد يخطأ وقد يكون فيه قصور، وكلمات القرآن المنزلة بالوحي على رسول الله كلمات معينة لايمكن تغييرها، بينما يمكن تبديل كلمات المجدد وتصحيحها، بل يجب هذا اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان التجديد حركة

مستمرة وغير متوقعة، وبينما هناك خاتم للانبياء وختم لهم، فليس هناك خاتم للمجددين، فطوال عمر الدنيا هناك مجددون يحتلون مراكز سابقتهم ويقومون بشرح اسرار اخرى للقرآن لم تكن معروفه في السابق.

بديع الزمان وحركة التجديد في عصرنا

فاذا اتينا لعصرنا فانه يكفي القاء نظرة على وضع الامة الاسلامية لكي نعرف ان حاجتنا الى التجديد لم تكن في اي يوم من الايام شديدة كحاجتنا اليه الآن. وليست هناك حاجة الى مزيد من الشرح لهذه الناحية.

ولاتكمن المشكلة في اننا لسنا مسلمين، على العكس من هذا فعددنا يقارب المليار. ولكن المشكلة تكمن في ان اكثريتنا ليست مؤمنة، وحتى هؤلاء المؤمنين يؤمنون بشكل غير كاف، فبدلاً من الايمان بالله وحده يؤمنون ايضاً بشركاء له وان آية ﴿ **ولايؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون** ﴾ (يوسف: ١٠٦) تتعلق بعصرنا وبايامنا هذه من قريب. فالذي يتعرض الآن للهجوم ليس القلاع الخارجية للاسلام، بل اسس الايمان نفسه، لذا فقد اصبح من اوجب واجبات المجدد في عالمنا المعاصر انقاذ الايمان، والارتفاع الى مستوى قدرة التصدي الحاسم لكل الهجمات الموجهة الى الدين والى العقائد. وهذا يتطلب زاوية نظر تخاطب العقل الانساني وكذلك قلبه وسائر ملكاته النفسية، وهذا

يستوجب فهم كتاب الكون بشكل يشبع الروح والعقل. وعصرنا يذكرنا بعصر الجاهلية الذي سبق نزول القرآن. فعصرنا هو عصر الانانية وعصر النفس الامارة بالسوء المنطلقة على اهوائها. اما حركة التجديد فتتطلب في الاقل انشاء الانسان وتكوينه من جديد، وهذا يعني إلباس روح الانسان ايماناً يتبدى فيه الله واسلاماً واحساناً. وهذا هو وظيفة المجدد في هذه الايام.

لقد كثر الحديث في العشرين سنة الاخيرة عن «الصحوة الاسلامية» وعن الدول الاسلامية وعن ضرورة تقديم القوانين الاسلامية. بل لقد شاهدنا ثورة «اسلامية». وكلمات «الاسلام» و«المسلم» و«الاسلامي» تتكرر حوالينا، ولكننا نادراً مانسمع عن «الله» و«الايمان». ولهذا السبب فان رسائل النور تنتصب وحدها في الميدان.

ولكن قبل ان نعود الى رسائل النور والى مؤلفها، لندقق العبارات التالية التي تحتوي على تعريف المجدد: (ان خدام الدين من ذوي المراتب الرفيعة الذين وردت في الاحاديث بشائر مجيئهم على رأس كل قرن سيكونون متّبعين وغير مبتدعين، اي لن يحدثوا من انفسهم شيئاً جديداً ولن يأتوا باحكام جديدة، بل يتبعون الاسس والاحكام الدينية والسنن المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والتسليم اتباعاً حرفياً، وبهذا الاتباع يقومون بتقويم الدين وتقويته واظهار حقيقته الاصلية الناصعة ورفع وازهاق كل الاباطيل التي الصقت به ، واقامة

الاوامر الربانية والاحكام الالهية واعلان واظهار علوها وسموها، غير انهم يؤدون خدماتهم بطرق جديدة للايضاح لاتخل روح الشريعة ولاتتصادم مع اسسها بل تكون متوافقة مع روح وفهم العصر ومجهزة باساليب جديدة للاقناع)

ومن يقوم بتدقيق رسائل النور على ضوء هذا التعريف للتجديد سوف لن يجد صعوبة في رؤية علامات التجديد، وختم المجدد على كل صفحة من صفحات رسائل النور البالغة خمسة آلاف صفحة.

ذلك لان رسائل النور تفسير يطل من خزائن القرآن الى عصرنا الحاضر. فاذا فهمنا القرآن ككتاب ارشاد للكون فان رسائل النور تعد كتاباً مرشداً الى القرآن. ان مؤلف رسائل النور الذي نجح في تشخيص افظع امراض العصر، وهو عدم الايمان تشخيصاً صحيحاً، فسر المبادئ الرئيسية للاسلام بالقرآن نفسه، دون ان يضيف اليها شيئاً من عنده. والفرق بين رسائل النور وبين التفاسير الاخرى هو ان رسائل النور اعطت الاولوية للايمان التحقيقي (اي الايمان المطمئن القائم على الادلة) وخاطب انسان القرن العشرين بشكل يحمل معنى حقيقياً.

وحسب ما اعلم فان رسائل النور تتفرد بانها تتناول مشاكل الناس المتعلقة بالايمان بشكل يتسم بالانسجام مستنداً في ذلك الى القرآن، وضمن اطار كلي وشامل من الارشاد، فاذا اراد الانسان ان يتخلص من تهديد الفناء الابدي وينقذ نفسه منه فعليه ان يفهم الايمان ويتشرب به ويعمقه في نفسه. وانا أؤمن بان رسائل النور تكسبنا مثل

هذا المفهوم. فهي تُظهر للملحدين عدم جدوى الحادهم، اما للمؤمنين فهي تطلب منهم اعادة تقييم ايمانهم واسناده وتقويته، وهي تشرح الطرق المؤدية الى ذلك. وهذه الناحية مهمة جداً، ذلك لان سبب التأخر العام في العالم الاسلامي لايعود الى قصور التعاليم او المذاهب التي تظهر نتيجة التقدم العلمي (كما حدث في المسيحية) بل يعود الى الضعف الذي ابداه المسلمون في المحافظة على ايمانهم. عندما نحى الغرب المسيحية جانباً حقق تقدماً مادياً، وهذه حقيقة لاشك فيها. اما في العالم الاسلامي فان اهمال الدين ادى الى التأخر، وهو تأخر لايزال يلازمنا حتى الآن والظاهر انه ينوي الا يتركنا.

ان من اهم نقاط ضعفنا هي اننا - كما رأينا سابقاً - وجهنا اهتماماً اكثر من اللازم الى الامور الفرعية والثانوية والى المسائل من الدرجة الثانية من الاهمية بدلاً من الامور الاساسية. ورسائل النور ازالت عدم التوازن هذا فاعطت الاهمية الاولى لحقائق الايمان، هذه الحقائق التي ان توضحت ظهرت بان المسائل الفرعية الاخرى باجمعها لاجدوى منها ولاخطر لها.

وكنتيجة نستطيع قول مايلي:

انني اعتقد ان رسائل النور هي المؤلَّف الاسلامي الوحيد الشامل والمستكفي بذاته، والذي يقدم الكون كما هو ويقدم حقائق الايمان كما هي، ويفسر القران كما اراده رسول الله ويشخص الامراض الخطيرة التي ابتلي بها الانسان المعاصر، ثم يقدم لها العلاجات الشافية

الدائمية.

لهذا كله فانني اعتقد بان مؤلف رسائل النور يستحق دون اي شك لقب المجدد. صحيح انني لا اعلم عما اذا كان هو المجدد الوحيد لزماننا ام لا، ولا عما ان كانت رسائل النور هي المؤلَّف التجديدي الوحيد ام لا، ولكني اريد ان اكرر ماقلته سابقاً وهو انني لم اجد بعد ابحاثي التي استغرقت نصف عمري من يستحق لقب المجدد اكثر من مؤلف رسائل النور.

ومع ذلك فانني لم آتِ الى هنا لكي ارص كلمات المديح والثناء في حق بديع الزمان سعيد النورسي. ذلك لان بديع الزمان نفسه قال مرات عديدة بان المهم ليس هو الشخص بل الرسالة التي يحملها ذلك الشخص. وفي هذا الموضوع اريد ان اقول لطلاب رسائل النور:

لاتقعوا في الاخطاء التي وقع ويقع فيها اخواننا منذ مئات الاعوام، هذه الاخطاء التي لايزالون يكررونها. ذلك لان كون رسول الله عربياً ونزول القرآن عربياً جعله بعض اخواننا العرب مسألة فخر خاطئة، بل اصبح الاسلام ورسول الله إمتداداً لنفوسهم او لانانيتهم، واصبح الاسلام في اعينهم وكأنه ملِك تحت تصرفهم وذيلاً لثقافتهم، ومتاعاً ومالاً يمتلوكونه. يجب ان يحذر طلاب النور من الوقوع في هذا الفخ. اذ يجب الا يكون ظهور مجدد من بينكم ومن منطقتكم وسيلة غرور او وسيلة فخر وعجب. واذا كان هذا الظهور يوجب عليكم شيئاً فليكن هذا زيادة في الشعور بالمسؤولية عندكم. ذلك لان من اوجب

واجباتكم (باعتباركم قريبين من رسائل النور) قيامكم بنشر رسالتها وبمهمة السفراء والممثلين لها. ان رسائل النور ليست ملكاً لا لامة ولالمجموعة من الافراد، انها رسالة للانسانية من رجل مخلص كان مظهراً لالهام ربه، لذا فهي ملك لنا جميعاً.

وهناك ما اريد ان اقوله ايضاً للمسلمين من غير طلاب النور: ان كنتم تبحثون عن طريق آمن وسالم يوصلكم الى الله، طريق مجرب ومفحوص... ان كنتم تريدون هذا فاقتربوا من رسائل النور بقلب مفتوح وذهن مفتوح. ان فعلتم هذا فلن تخسروا شيئاً بل ستكسبون اشياء كثيرة.

لايمكن اهمال او ابداء عدم الاهتمام او اللامبالاة مع مؤلّف مثل رسائل النور التي تعكس نور القرآن وتضيئ وتُكسب الوجود الانساني معنى سامياً. ذلك لان ما يحول بين الانسان المعاصر وبين الهلاك هو الاسلام (الذي يعنى الاستسلام للخالق) وحده. وانا اعتقد بان مستقبل الاسلام متعلق برسائل النور وبالذين يتبعونها ويستلهمونها ويسترشدون بها.

والسلام عليكم ورحمة الله.

* * *

هوامش المترجم:

(أ) مجلة النور مجلة يصدرها طلاب النور في اسطنبول وامريكا باللغة العربية والتركية والانجليزية والالمانية.

(ب) اعتقد ان الحديث المشار اليه هو حديث (ان هذا القرآن مأدبة فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، وان هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه لايعرج فيقوّم، ولايزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولايخلق من كثرة الرد، فاتلوه فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، اما إني لا اقول آلم حرف ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر).

ماري ويلد

(شكران واحدة)

(باحثة وكاتبة)

ولدت عام ١٩٤٨ في مدينة لانكشاير في انكلترة. تخرجت سنة ١٩٨٠ من قسم الادب التركي والفارسي في كلية الاستشراق/ جامعة دورهام. اشتغلت تحت اشراف المستشرق الالماني البروفسور الدكتور پاول لونت في رسالة دكتوراه عن مؤلفات «حسين واعظ الكاشفي الهيراتي» وهو من ادباء القرن الخامس عشر.

اسلمت سنة ١٩٨١ بعد ان قرأت الترجمة الانكليزية لرسائل النور واتخذت اسم «شكران واحدة»

وتقيم حالياً في تركيا حيث تُعدّ بحوثاً حول رسائل النور، قامت بترجمة العديد من رسائل النور الى الانكليزية وفي مقدمتها «الكلمات».

مؤلفاتها المنشورة:

١ــ الاسلام والغرب ونحن.

٢ــ مؤلف رسائل النور بديع الزمان

مؤلفات بديع الزمان
كانموذج لتقديم الاسلام الى الغرب

لقد قدم بديع الزمان برسائل النور افضل انموذج للاسلام الى الغرب فقدم بذلك افضل خدمة للقرآن وللاسلام. وبتفسيره رسالة القران لانسان هذا العصر اثبت ان الدين الاسلامي هو دين العقل ومنبع الرقي والمدنية الحقيقية للانسانية.

عندما نقوم بتدقيق رسائل النور التي الفها بديع الزمان كانموذج لتقديم الاسلام الى الغرب ، فان اول ما يجب ان يقال في هذا الصدد هو الاشارة الى ان بديع الزمان قد اخبر ومنذ بداية هذا القرن بان الانسانية ستتقبل الاسلام وستتحول اليه، وان الاسلام سيحكم المستقبل بالقرآن. وبتعبير بديع الزمان (فان الانسانية التي افاقت من

صدمة المصائب والحروب الرهيبة التي نتجت عن التقدم العلمي بدأت تفهم ماهية الانسان وفطرته الشاملة وتدرك انه ما من شئ يمكن ان يشبعها غير السعادة الابدية فبدأت تبحث عن الدين الحق)[١] . ان الانسانية ستتقبل الدين الاسلامي لكونه دين البرهان والعقل، وبذلك سيحكم الاسلام المستقبل. يقول بديع الزمان:

(لاشك ان القرآن الذي تستند جميع احكامه الى العقل والى البراهين العقلية هو الذي سيحكم المستقبل الذي سيسوده العقل والعلم والتقنية)[٢].

عندما قام بديع الزمان بهذه التخمينات كان العالم الاسلامي في وضع سئ جداً، فاضافة الى كونه تابعاً للغرب من الناحية السياسية والاقتصادية كان واقعاً ايضاً تحت تهديد المدنية الغربية، وكان الاسلام نفسه معرضاً للهجومات، وكانت هذه الهجومات توجه في اكثر الاحيان باسم العلم والتقدم الذي كان الغرب بطله. لذلك فان بديع الزمان عندما قال للشيخ « بخيت » بان الدولة العثمانية حاملة بدولة اوروبية وستلدها في احد الايام، وان اوروبا حاملة بالاسلام فان الاحتمال الاول كان يبدو – مع الاسف – ممكناً، الا ان الاحتمال الثاني كان يبدو بعيداً عن اي احتمال.

وكجميع تخمينات بديع الزمان في المواضيع الاخرى، فقد بدأت تخميناته هذه بالتحقق بشكل لم يكن في عهده من يرى اي احتمال له، ولنوضح مثالاً على هذا:

نشرت جريدة « الزمان » في نسختها ليوم ١٢/ نيسان /١٩٢٢ خبراً عن نشر تقرير في فرنسا بـ(٤٢) صفحة صادر عن مجلس الفاتيكان ويحتوي على ملاحظات المجلس وقلق الكنيسة الجدي من زيادة انتشار الاسلام في اوروپا، ولكي تقوم الكنيسة بعكس هذا التيار فقد قامت بابحاث واسعة، ويحتوي هذا التقرير على نتائج هذه الابحاث. وقد دلت هذه الابحاث التي جرت في « ٦ » بلدان اوروپية على دخول ٥٨١٣٥ فرداً الى الاسلام وتخمين ان ١٣٠٠٠٠ شخص يدخلون الى الاسلام في اوروپا كل عام، وبجانب التحليلات الدقيقة المنشورة في التقرير حول الارقام فقد ورد في التقرير ماضي هؤلاء المسلمين وكيف ولماذا اسلموا. وما يهمنا في هذا التقرير هو الارقام، ثم الحقيقة التالية:

لقد تبين ان ٧٤٪ من هؤلاء اسلموا (وعددهم ٥٨١٣٥ فرداً) لان الاسلام انقذهم من المادية ووهب لهم الطمأنينة والسعادة وكان ٣٢٪ منهم قد ذكر بان رسائل النور كانت السبب في اسلامهم.

وهذا التقرير يصادق على تخمين بديع الزمان بشكل كبير ويدل في الوقت نفسه على ان المسيحية بشكلها الحالي عاجزة عن اشباع حاجات الانسان الغربي. وكلما تم التغلب على المفاهيم الخاطئة والشائعة في الغرب حول الاسلام، وعلى القناعات الخاطئة والاحكام المسبقة حوله، فان اناساً باعداد متزايدة على الدوام سيقتنعون بان القرآن وحده هو القادر على الاستجابة لهذه الحاجات. وكما اشار

التقرير فان رسائل النور تمثل انموذجاً مؤثراً للاسلام المقدم للغرب وعلينا ان نبحث عن اسباب هذا هنا.

لايمكن القول بان بديع الزمان يخاطب الغرب او غير المسلمين بشكل مباشر، الا ان رسائل النور - التي هي تفسير للقرآن - تقوم بابلاغ الرسالة العالمية للقرآن، لذا فهي تخاطب الانسانية باجمعها. وكما نفهم من بعض كلمات بديع الزمان، فانه كان يأمل في خلاص الناس مهما كان منشأهم. اي انه مع كونه ضد جوانب عديدة من المدنية الغربية، الا انه كان يخمن ويأمل في دخول الشعوب الغربية الى الاسلام واتباعهم للقرآن وخلاصهم عن هذا الطريق. ويكرر بديع الزمان في العديد من كتبه حول ظهور المسيحية الحقة في المستقبل واتباعها للقرآن، وتوحيد جهودها مع الاسلام في النضال ضد الالحاد(٣). وكما سنرى بعد قليل فان بديع الزمان يفرق بين الاتجاهات النابعة من الفلسفة في المدنية الغربية، والتي اصبحت مصادر للالحاد، عن الاتجاهات النابعة من المسيحية. وهذه نقطة هامة يجب تسجيلها، ذلك لان العلاقات بين الاسلام والغرب كانت طوال التاريخ علاقات منافسة وخصام، وفي بداية هذا العصر بلغت سيطرة الغرب على العالم الاسلامي الذروة، لذا فان مؤلفات بديع الزمان توجهت وبمقياس كبير لنقض اسس التفكير الغربي، واسس المدنية الغربية وللدفاع عن القرآن وعن الاسلام ضد هجومات الغرب. وهذا يعد في الوقت نفسه خطاباً للمسلمين المعاصرين الواقعين تحت تأثير الغرب والفلسفة الغربية، ويجعل لرسائل النور موقعاً ممتازاً، ويؤمن فهم حقائق

الاسلام من قبل الغربيين بكل سهولة في الوقت نفسه، وليست هناك اية صعوبة في فهمها.

وبصعود الغرب وتدهور العالم الاسلامي وتأخره، فقد عدّ الغرب سيادته وسيطرته دليلاً على تفوق المدنية الغربية على المدنية الاسلامية، ولكي يوسع سيطرته وحاكميته فقد هاجم القرآن منبع ومصدر المدنية الاسلامية، وفعل هذا باسم العلم والرقي الذي اعلن انه اثر من آثار التفكير والمدنية الغربية، وكان بديع الزمان قد نذر نفسه منذ شبابه للدفاع عن القرآن ضد هذه الهجومات عليه، فكان عليه ان يبرهن انه بخلاف هذه الهجومات فان المدنية الحقيقية والرقي الحقيقي والسعادة الحقيقية للانسانية لاتوجد الا في الاسلام.

ولاجل تحقيق هذه فقد قام بدراسة العلوم الحديثة والفلسفة، وهذا ما لم يفعله اي عالم ديني آنذاك. وبهذا كان يستطيع ان يناضل ضد اعدائه بنفس اسلحتهم. وعندما تأسست الجمهورية (التركية) واتخذت الفلسفة المادية الغربية اساساً للدولة واساساً لايدولوجية المجتمع، وتم اتخاذ تدابير ومحاولات على مستوى أبعد لقلع الاسلام من جذوره. لم يكن هناك من يستطيع النضال بفعالية ضد هذه المحاولات المشؤومة سوى بديع الزمان، ولمواجهة هذه المحاولات فقد تناول بديع الزمان المسألة من اساسها، وبدأ بتأليف رسائل النور لاثبات معقولية وحقيقة حقائق القرآن والايمان، وعدم منطقية الفلسفة المادية للغرب القائمة على اساس مفاهيم مثل «الصدف» و «الطبيعة»

وتضادها فيما بينها، وكذلك القيام بالاجابة على الهجومات الموجهة نحو القرآن، واثبات تفوق القرآن المطلق الذي لايقبل اي قياس. وعندما كانت رسائل النور تقترب من الحقائق التي يقدمها القرآن ويعلّمها، كانت تعقد في كثير من الاحيان مقارنات بينها وبين الفلسفة، وتشرح ماهية ومصدر ونتائج كل منهما، مما كان يسهل على كل من اصطبغت نظرته للحياة وللوجود بصبغة التفكير الغربي معرفة فكرته وسلوكه بسهولة من هذه المقارنة، ويعرف مكمن الخطأ الذي وقع فيه ويصل الى الحقيقة. وهذه الطريقة الواضحة والسهلة التي اتبعها بديع الزمان يسرت لكل امرؤ اساساً تحليلياً لفحص افكاره ووضعها في وضح الشمس لمعرفة الحقيقة والوصول اليها.

الدين والفلسفة في رأي بديع الزمان

قبل ان نلقي نظرة الى الجوانب الاخرى لرسائل النور ، فسنلقي نظرة على آراء بديع الزمان حول الدين والفلسفة، ذلك لان هذه الاراء تشكل الاساس لافكار بديع الزمان التي صورها واظهرها في رسائل النور.

يقسم بديع الزمان تاريخ الانسانية الى تيارين، احدهما تيار النبوة والآخر تيار الفلسفة والعلوم، ويربط كلا التيارين بذات الانسان ويصور نتائج كلا التيارين.

فالنبوة – التي تمثل الوحي الالهي – تخاطب قلب الانسان، اما

الفلسفة فتخاطب عقله، والهدف هو اتفاق الاثنين، اي قيام الفلسفة باتباع الدين واتباع النبوة وخدمتهما، وكلما تم هذا ذاقت الانسانية طعم السعادة وعاشت في انسجام وتناغم. وعندما يفترق احدهما عن الآخر ينسحب الخير والنور الى جانب النبوة، ويتراكم الشر والضلالة – كما حدث في الغرب – في جانب الفلسفة. والحقيقة ان بديع الزمان يتكلم عن «اوروپايين» . الاولى: هي اوروپا التي قدمت العدل والحقيقة (المستمدة من المسيحية الحقيقية) والامور المفيدة الى الانسانية. والثانية: هي اوروپا المتبعة لفلسفة الطبيعة والتي رجحت جانب الشر في المدنية على جانب الخير فيها. واوروپا الثانية هي المسيطرة حالياً على اوروپا الاولى.

فاذا نزلنا في هذا الى الانسان الفرد، اي الى «الأنا» فان هذا هو نفس موقف الشخص الفرد الذي ينكر الوحي ويثق بعبقريته. فلكونه يعد نفسه مالكاً لنفسه فهو يظن الشئ نفسه بالنسبة للآخرين، اذ يعد كلاً منهم مالكاً لنفسه. وهذا هو اساس الفلسفة المادية، فبدءً من المجرات الهائلة وانتهاءً باصغر الذرات، فان جميع الاسباب بدلاً من اضافتها بشكل مباشر الى خالقها، يتوهم بانها هي صاحبة القدرة، اذ يفترضرن بان للاسباب تأثيراً حقيقياً، ولها قدرة الخلق من العدم. ومثل هذا الشخص يضيف الى مفاهيم زائفة مثل الطبيعة او قوانين الطبيعة قدرة الخلق، ويفسر كل ما يراه في الدنيا تفسيراً قائماً على الصراع وعلى النزاع.

وتنعكس رؤيته هذه في نظرته الى المبادئ التي يطبقها في الحياة الاجتماعية. وان زعم وادعاء مثل هذه القدرة والتملك سيؤدي لظهور الاصنام والطغاة. وان كل الآلام تولد من هذه الضلالة، وجميع انواع السعادة الحقيقية تنشأ من الايمان المرتبط بسلسلة النبوة. وقد اظهرت رسائل النور هذه الحقيقة بايراد قياسات عديدة، وسنلقي فيما بعد نظرة على هذه القياسات.

اما الشخص الذي يقبل الاسس التي تقدمها سلسلة النبوة والدين، فانه يعرف انه شخص مخلوق وهو لايمثل نفسه بل يمثل معنى غيره اي انه يقبل بانه ليس الا عبداً لله. مثل هذا الشخص ستيعلم من الكتب السماوية الماهية الحقيقية لنفسه ولجميع الموجودات في الكون، ويتعلم واجباته الحقيقية.

وكما يضيف نفسه الى صانعه ومالكه الحقيقي فانه يفعل الشئ نفسه بالنسبة لجميع الموجودات وللكون باجمعه، فقد تحول وجهه عن الوجه الظاهري للاسباب الى المعنى الحقيقي الكامن وراءه، وسيرى الموجودات ضمن نظام التعاون ضمن ، وسيرى الموجودات ضمن نظام للتعاون المتقابل، ضمن تسليم كامل، وتقوم القوانين السماوية الموازية لهذه النظرة بتنظيم حياته الاجتماعية.

واضافة الى هذا الانموذج الديني والفلسفي، فان هناك سبباً آخر يعطي لرسائل النور لياقة وميزة عند تقديم الاسلام الى الغرب، وهو كونها تخاطب العقل. فليست هناك عبارة واحدة ولا ادعاءً واحداً

لا يستند الى دليل. فجميع المسائل التي تتناولها وجميع الحقائق الايمانية التي تبحث فيها، تقدم بشكل منطقي وفي صورة اراء مبرهن عليها. ولكن لكون معظم هذه المسائل - بسبب طبيعتها وماهيتها - مسائل عميقة ومن الصعب فهمها، فان بديع الزمان يستعين على ذلك - كما يفعل القرآن - بايراد القياسات وضرب الامثال، وبذلك فانه يقرب المعاني الى الاذهان كما يفعل التلسكوب، ويسهل فهمها. ويقوم بديع الزمان بايضاح جميع الحقائق الايمانية واثباتها بهذا الشكل، ويقدمها بصورة يسهل فهم معانيها والنفوذ الى اعماقها. ذلك لان العقل - كما اوضح بديع الزمان - كان هو المسيطر على الغرب الذي كان منبعاً للفلسفة، اما في الشرق الذي ظهر فيه الانبياء فان القلب هو المسيطر. اما الآن فان البشرية التي افاقت ونهضت بدأت تبحث عن الدين الحق، وهي تريد الاقتناع قبل كل شئ، واجوبة منطقية على الاسئلة التالية: «من اين جئت؟ وماسبب مجيئي الى هذه الدينا؟ والى اين انا ذاهب بعد من هنا؟». والحقيقة انها تريد الايضاحات المنطقية لحقائق الايمان.

العلم والدين

وهكذا نكون قد وصلنا الى النقطة الثالثة: اذ تقوم رسائل النور في بيان كيف ان القرآن لايرى اي تناقض وتضاد بين العلم وبين الدين بياناً واضحاً لا لبس فيه، وقد ابان بديع الزمان هذا الخصوص منذ شبابه

حيث قال بان العلم لايعادي الدين، ليس هذا فحسب، بل يجب ان يدرّسا معاً، ففي سنة ١٩١٠ عندما تناول بديع الزمان موضوع تطوير المدارس الدينية قال:

(العلوم الدينية هي ضياء الوجدان والعلوم المدنية هي نور العقل. ومن امتزاجهما تظهر الحقيقة. فبوساطة هذين الجناحين تزيد همة الطلاب. وان افترقا ظهر التعصب في اولهما والتردد والشك في ثانيهما)(٤).

لقد حاول اعداء القرآن من جانب اظهار ان القرآن لايمكن ان يكون مصدراً للرقي، كما حاولوا من جانب آخر نشر المقولة التالية «ان بعض آيات القرآن تتناقض مع العلم» وذلك لكي يهزوا ثقة وايمان الشعب به، وقام بديع الزمان سواء في شبابه او في رسائل النور بالاجابة على هذه الشبهات وهذه الانتقادات ووضع الدين والعلم معاً وجنباً الى جنب.

وهذا الموضوع مهم جداً بالنسبة للغربيين. ذلك لان العديد من الاوروبيين يعتقدون - استناداً الى تاريخ المسيحية وتطورها - بان العلم يناقض الدين ويعاديه. بينما يصف بديع الزمان الاسلام بانه «سيد العلوم ومرشد العلوم الحقيقية ورئيسها وأبها». بدلاً من رد الفعل ورفضه، او عزل الدين عن الحياة الدنيوية وجعل الافراد يعيشون في دائرة ضيقة من حياة معنوية ضيقة وخاصة بهم، فان القرآن يكسبنا معرفة الله ويأمرنا في الوقت نفسه باستعمال عقولنا في عباداتنا وفي جميع صفحات ومراحل الحياة، وبذلك يفتح الطريق امامنا لكي ينقلب

العلم نفسه الى عبادة. ان العلم الذي يكشف لنا الغاية الالهية من خلق الكون والهدف النهائي لهذا الخلق، هو نفسه مهمة الانسان ووظيفته وعبادته كذلك. والقرآن يوجه الانظار والعقول الى هذه الغايات ويحث الانسان للوصول الى هذه الحقائق عن طريق العلم وعن طريق التقدم. ولكي تتضح هذه النقاط فسنلقي نظرة على الطرق التي استعملتها رسائل النور - باعتبارها تفسيراً للقرآن - وعلى السبيل الجديد الذي اختطته.

النقطة الاولى التي يجب بيانها في هذا الخصوص هي ان رسائل النور توجه الانظار الى الموجودات التي حوالينا والى الكون وتقترب من حقائق الايمان بوساطة الكون والتأمل فيه. وهذه الناحية من رسائل النور هي تفسير لوجه القرآن المطل على عصرنا. فالعديد من آيات القرآن تحثنا على تأمل الكون وتأمل المخلوقات الموجودة فيه وطرق سيرها وعملها، كوسيلة لمعرفة الله ولمعرفة الحقائق الايمانية الاخرى كوجود الله ووحدانيته والحشر. واكثر الآيات التي تؤكد عليها رسائل النور هي هذه الآيات، لكي تبرهن على حقائق الايمان ولرد الهجومات الموجهة نحو القرآن.

لذلك فان طراز اقتراب رسائل النور من الحقيقة ليس غريباً من حيث الاساس عن طريقة الانسان للاقتراب من الحقيقة، بل يشبهها وينسجم معها. ذلك لان عصرنا هذا هو عصر العلم. وما العلم ان لم يكن استخراج اسرار الكون؟ والغربي المعاصر ليس غريباً عن الكون وعن

طريقة عمله، لانه متعود على مراقبة الكون وتأمله ، ونظره متركز على الكون.

ثم ان رسائل النور تنظر الى الكون بمنظار العلم، وهي تقوم في الاغلب بتدقيق الكون في ضوء العلوم كالجيولوجيا والبيولوجيا.

ومع ذلك فان رسائل النور - مستلهمة في ذلك القرآن الكريم - تدقق الكون بالشكل الذي اراده القرآن اي ككائن «لا يعبر عن نفسه بل عن معنى غيره» اي ان الكون - من زاوية هذه النظرة - «كتاب كبير» ووظيفته هي الإخبار عن كاتبه. وهذا الكتاب يقرأ لكي يتم فهم معانيه ولكي يتم فهم خالقه منه.

النوافذ المفتوحة على التوحيد

ان رسائل النور التي تتأمل الكون في ضوء الوحي القرآني بينما تبرهن من جانب عن طريق هذا التأمل على وجود الله وعلى وحدانيته وعلى الحقائق الايمانية الاخرى، تبرهن من جانب آخر على استحالة مفاهيم اسس الفلسفة المادية، كمفاهيم الصدف والطبيعة والاسباب، وعلى مدى سطحيتها وتفاهتها ، وتدحض بذلك التفسير المادي للعلم. ورسائل النور تقوم بشرح ماهية الكون والنظام والانتظام السائد في كل شئ فيه، والتوازن والمقاييس الحساسة فيه، والحكمة البادية في كل شئ، وفوائده وعلاقة وارتباط صيدلية الكون بعضها ببعض، وكونها تشكل باجزائها وحدة واحدة، وتبرهن ببراهين عديدة بان جميع

الادعـاءات المقـدمـة من قبـل الفلسـفة المـادية هي خـارج اي احتـمـال وخارج كل احتمال . لنشرح هذا ببعض الامثلة القصيرة:

اول مثال يتبادر الى الذهن في هذا الموضوع هو ما جاء في «الموقف الاول» من «الكلمـة الثانيـة والثلاثين». ففـي هذا المثال يقـال ان وكيل اهل الضلالة يدعي بانه – باسم الاسباب والطبيعة والفلسفة – صاحب هذا الوجـود بـدءً من الذرات وانتـهـاء بـالنجـوم. فـاذا بدأنـا بالذرة ثم بكرية حمـراء في احد شرايين الجسم الانساني، ثم انتـقلنا الى احدى الخلايا، ثم الى الجسم الانساني ثـم الـى المخلوقات الاخرى، فاننا سنرى انهـا ترد بلسـان الحكمـة جـمـيع الادعـاءات التي طرحـهـا وكـيل اهل الضلالة، وتبين ان النظام الموجـود فيهـا وفي الموجودات ككل نظام بالغ الكمـال الى درجـة انه لايسـمح في اي مـوضع بـاي شكلٍ من اشكال الشرك او التدخل. ودليل الوحدانية هذا يعطي مثالاً واضحاً كيف تقوم رسائل النور بقـراءة وتأمل الكون في ضوء العلوم المـادية من اجل اثبات الحقائق الايمانية ورد الفلسفة المادية.

اي ان من يكشف نـظام الكون في هذا المثـال ويعـرفـه لنـا هو العلم الحديث نفسه.

اما الهامش الطويل في «الموقف الاول» الذي يصور ويشرح لنا نظام التنفس ونظام الدورة الدموية في جـسم الانسان فهو مـثال آخر في هذا الموضوع.

هناك امـثلة عـديدة في رسائل النور فـي هذا الموضوع، ورد احـدها

تحت اسم «نكتة الهواء» والتي وصفها بانها «نكتة توحيدية ظريفة»(٦). ومثال آخر ورد في «الكلمة الخامسة والعشرون» الذي شرح فيه تفسير ومآل الآية الكريمة ﴿**الم نجعل الارض مهاداً والجبال اوتاداً**﴾ (النبأ: ٦) فعندما يقوم ببيان صفة الشمول الموجودة في الفاظ القرآن، ويشير الى ان الجميع، بطبقاتهم المختلفة – سواء أكانوا منتسبين الى الادب ام الى العلم – يأخذ كل واحد منهم حصته ونصيبه من هذه الآية ، نراه ملماً بعلوم الجغرافيا والجيولوجيا(٧).

واذا اتينا الى الطبيعة والى الاسباب، نرى ان رسائل النور تحتوي على ادلة عديدة حول كون هذه المفاهيم باجمعها مفاهيم متهافتة، ودون اي سند او اي اساس. ونرى هذا في الاخص في رسالته «الطبيعة» حيث يقوم بديع الزمان بهدمها تماماً بوساطة تسعة من المحالات والمستحيلات، ويبين «ان مايطلقون عليه اسم الطبيعة ليس الا شيئاً وهمياً لاحقيقة له، اذ ليست الطبيعة في الحقيقة سوى القوانين المعنوية لنظام الكون المخلوق من قبل سلطان الازل. فهذه القوانين لاتملك الا وجوداً علمياً ولاتملك اية قدرة على الخلق».

ويقول بديع الزمان انه لو تم افتراض النظام الموجود في الكون ناظماً، والصنعة صانعاً، والقوانين الجارية فيه مصدراً للقدرة كما يفترض الماديون. عند ذلك يجب اعتبار كل سبب بل حتى كل ذرة صاحبة علم وقدرة لخلق الموجودات كلها، اي يجب اضفاء كل صفات واجب الوجود على كل ذرة من هذه الذرات وكل سبب من

هذه الاسباب، وبعبارة اخرى يتحتم على من لايؤمن بآله واحد ان يؤمن بالهة لاتُعد ولاتحصى. وعلاوة على هذا فان هذه الالهة التي لها القدرة لخلق كل شئ ماعداها هي، يجب ان تتفق مع الالهة الاخرى المنافسة لها، وذلك لكي يسود ويستمر النظام في الكون. بينما لايوجد اي مكان مهما كان صغيراً، ولااية امكانية ولا اي احتمال لوجود اي شريك يتدخل في هذا الكون، بدءً من جناح الذبابة صعوداً الى نظام المجموعة الشمسية. ولو كان هناك اي تدخل من قبل اي شئ غير الخالق الواحد الاحد، لادى ذلك الى اضطراب الكون ولما بقي اي نظام فيه.

ويشرح بديع الزمان كيف ان الاسباب لاتملك قدرة الخلق، وان الخلق امر خاص بالله بالشكل التالي:

(مادامت طبيعة كل شئ مخلوقة كالشئ نفسه، لان تكونها محدثٌ – غير قديم – وعليها علامة الصنعة والاتقان، وان سبب وجود هذا الشئ الظاهري هو ايضاً مصنوع حادثٌ. ولما كان وجود اي شئ مفتقراً الى وسائل وآلات واجهزة كثيرة فلابد من قدير مطلق القدرة ليخلق تلك الطبيعة في الشئ، ويوجد ذلك السبب له، ولابد ان يكون – هذا القدير المطلق القدرة – مستغنياً غناءً مطلقاً، فلا يشرك الوسائط العاجزة في ايجاده للشئ وفي هيمنة ربوبيته عليه.

فحاش لله ان يكون سواه القدير المستغني المتعال، بل هو سبحانه وتعالى يخلق المسبّب والسبب معاً من علوه خلقاً مباشراً، ويوجد بينهما سببية ظاهرية وصورية، ويقرن بينهما من خلال ترتيب وتنظيم،

جاعلاً من الاسباب والطبيعة ستاراً ليد قدرته الجليلة، وحجاباً لعظمته وكبريائه، ولتبقى عزته منزهةً مقدسة في عليائها، ويجعل تلك الاسباب موضع الشكوى لما يتراءى من نقائص، ولما يتصور من ظلم ظاهري في الاشياء)(٨).

وفي كتاب «الآية الكبرى» الذي يحكي عن سياحة كونية خيالية يقوم فيها احد السياح بسؤال كل طائفة من المخلوقات عن خالقها، ويتعلم من كل منها بلسان فطرتها وبطور خلقها شهاداتها. وبينما يقوم بديع الزمان (ضمن هذا الترقي العام في مدارج معرفة الله) بتعريفنا بالطريق المؤدي الى معرفة الله بوساطة الحقائق المشاهدة في الكون وبوساطة اسماء الله الحسنى وصفاته، فانه يقوم في الوقت نفسه بالبرهنة على وجود الله وعلى وحدانيته وعلى جماله وكماله، فنراه يقول مثلاً:

(فيكون وجوده سبحانه للبصيرة اظهر من الشمس للبصر واسطع منها، فتدركه حتى كأنها تراه؛ ذلك لان الكتاب الجميل ذا المعنى اللطيف، والبناء المنتظم المتقن، يستدعيان بداهة فعلي الكتابة والبناء، وفعلي الكتابة الجميلة والبناء المنتظم يستدعيان ايضاً بداهة إسمي الكاتب والبنّاء، واسمي الكاتب والبنّاء يستدعيان ايضاً بداهة صنعة الكتابة والبناء وصفتيهما، وهذه الصنعة والصفات تستلزمان بداهة ذاتاً تكون موصوفة وصانعة، ومسمىً، وفاعلة، اذ كما لايمكن ان يكون هناك فعل دون فاعل، ولا اسم دون مسمى، كذلك لايمكن ان تكون صفة دون موصوف، ولاصنعة دون صانع.

وهكذا يتقرر بناء على هذه الحقيقة والقاعدة ان هذا الكون - بموجوداته كافة - قد كتب بقلم القدر، وبني بمطرقة القدرة. فكُتب فيه ما لايحد مما هو بحكم الكتب والرسائل ذات المعاني اللطيفة. وبني فيه ما لاينتهي مما هو بمثابة بنايات وقصور. فيشير كل واحدة منها اشارات لاحدّ لها بآلاف الاوجه، وتشهد معاً بوجوه غير محدودة شهادات لانهاية لها على وجوب وجود ووحدانية ذات جليلة ازلية ابدية، هي موصوف تلك الصفات السبعة المحيطة القدسية ومعدنها؛ بالافعال الربانية والرحمانية غير المتناهية، وبجلوات غير محدودة لألف اسم واسم من الاسماء الحسنى التي هي منشأ تلك الافعال، وبالتجليات غير المتناهية للصفات السبعة السبحانية التي هي منبع تلك الاسماء الحسنى.. وكذا فان ما في تلك الموجودات كلها من جميع اوجه الحسن والجمال وانماط النفاسة والكمال، ومن جمال قدسي يليق بتلك الافعال الربانية والاسماء الالهية والصفات الصمدانية والشؤون السبحانية ويوافقها، كل منه - بحد ذاته - يشهد وبمجموعه يشهد بداهة على الجمال المقدس والكمال المقدس لذاته سبحانه وتعالى)(٩).

وصور بديع الزمان نظرة رسائل النور الى الكون بالحكمة التالية:

«وفي كل شئ له آية تدل على انه واحد». وهكذا فان رسائل النور تقوم - كما يفعل القرآن - بفتح نافذة من كل شئ نحو معرفة الله، وما يميز رسائل النور عن سائر الكتب الاخرى، مثلاً عن كتب علماء

الكلام، هو انه كما استطاع بديع الزمان استحصال علم يحتاج الى عشر سنوات في سنة واحدة فقط، فانه استطاع ان يقدم اعقد الحقائق بشكل يسهل فهمه ودون ضرر. ويشبه بديع الزمان رسائل النور بعصا موسى، فاين ما ضربها تفجر من ذلك الموضع الايمان بالله ومعرفة الله، فحتى من الذرة الصغيرة يستطيع البرهنة على وجود الله وعلى وحدانيته وعلى علمه وارادته وقدرته وسائر صفاته الاخرى بشكل يسهل على الجميع فهمه. ولاشك ان فوائد طريق رسائل النور، التي تعلم حقائق الاسلام للانسان الغربي وللانسان المعاصر الذي اخذته دوامة الحياة المتسارعة، ولم تتيسر له فرصة الحصول على العلوم الدينية ولا اكتساب الثقافة الدينية فوائد عديدة.

وفعلاً فان من اهم مميزات رسائل النور قدرتها على ايصال اعمق المسائل الايمانية حتى الى الشخص العامي بشكل سهل ودون صعوبة ودون ضرر. فقبل بديع الزمان لم يكن هناك من استطاع اظهار مثل هذه الادلة الحاسمة حول الحشر وحول الآخرة. وفي بضع صفحات استطاع بديع الزمان وباسلوب واضح وبراق ان يوضح موضوع القدر والارادة الجزئية وان يبرهن على وجود الملائكة وبقاء الروح.. هذه امثلة فقط في هذا الموضوع.

وعلاوة على هذا يتناول بديع الزمان العديد من المواضيع العويصة للدين ولعالم الوجود، ويأتي بشروحات منطقية حولها، منها ذات الانسان او «الانا»، ومسائل الحياة والموت، وتحولات الذرات،

والفعاليات الموجودة في الكون والمستمرة دون كلل، والموجودات منْ اين جاءت والى اين تذهب؟..

وكلما تفحصنا رسائل النور يصبح الكون - لمن يستطيع مطالعته - كتاباً يفشي جميع اسرار عالم الوجود.

من الشرور الى الخير، ومن الشقاء الى السعادة

ما يمكن ذكره في هذا الخصوص هو ان الشرور والكوارث الموجودة في الدنيا تعد مشكلة في نظر الغربيين.

.وتعد هذه الشرور عادة امراً لايمكن تفسيره، او امراً ظالماً لاعدالة فيه، الى درجة انه يؤدي الى الشك في وجود الله - حاشاه - وافضل الاجوبة التي اعطيت حول هذه المسائل، واكثرها اقناعاً هي الاجوبة التي اعطتها رسائل النور.

فمثلاً يبين لنا بديع الزمان ان الخير والجمال والكمال غاية اصيلة ومطلقة في الكون وفي تنظيم الكون. وكل علم من العلوم يشرح النظام والكمال الموجودين في ساحته وفي مجال اختصاصه، ويبرهن على هذه الحقيقة. اما الشر والقبح والقصور والعبثية فقليلة، وتأتي بالدرجة الثانية وهي في مرتبة التابع للآخر، وهي لم تدخل الكون بذاتها بل دخلت كوحدة قياس لكي توضح الجمال الواحد في مراتب مختلفة وبشكل منفصل ومستقل.

ثم قد يقبَل شر صغير من اجل الحصول على خير كبير. فلو تُرك وسحب شر هو وسيلة لخير عميم، فمعنى هذا انه تم اقتراف شر كبير.

وهذا هو سبب خلق الشرور والكوارث والشياطين وماشابه. ذلك لان نتائج مهمة جداً تظهر في الكون بخلق هذه الامور.

ويوضح بديع الزمان فيقول بان الشرور – حتى خلق الشيطان وتسليطه على الانسان – تكون سبباً لرقي دائم وغير محدود للانسان، فالانسان ينال هذا الرقي والتطور الى الافضل عن طريق النضال والسباق، فهذه الدنيا ميدان امتحان، فبالنضال والسباق تتميز الارواح الشبيهة بالفحم عن الارواح الشبيهة بالماس، والا بقي الاثنان معاً وصعب التمييز فيما بينهما. لذا ومن هذا المنطلق فان وجود الشر وخلق الشيطان لايكون شراً، لان وجودهما وخلقهما يؤديان الى نتائج مهمة.

(وعلى غرار هذا فان الصانع الجليل قد ألبسك جسماً بديعاً مزيناً بالعين والاذن والانف وغيرها من الاعضاء والحواس. ولاجل اظهار آثار اسمائه الحسنى المتنوعة يبتليك بانواع من البلايا فيمرضك حيناً ويمتعك بالصحة احياناً اخرى، ويجيعك مرة ويشبعك تارة ويظمئك اخرى. وهكذا يقلبك في امثال هذه الاطوار والاحوال لتتقوى ماهية الحياة وتظهر جلوات اسمائه الحسنى.) (١١)

وفي الواقع فان السعادة الحقيقية التي يسعى اليها الانسان هي في الايمان بوحدانية الله، وما يتبع هذا الايمان من توكل . ويرى بديع الزمان ان احد الاسباب في نجاح رسائل النور وفي انتشارها في جميع الارجاء يكمن في قيامها باثبات هذه الحقيقة. وبينما ترينا رسائل النور

– بعد ايراد قياسات عديدة ومختلفة – الالام الناتجة عن الذنوب وعن العصيان، تقول بان الالحاد والضلالة تحول هذه الحياة الدينا الى مايشبه الجحيم، كما تصور اللذائذ الموجودة في الاخلاق الحميدة وفي افعال الخير، لتبرهن على ان الايمان تحول هذه الحياة الدنيوية الى ما يشبه الجنة. ومثل هذه التحاليل هي اكثر التحاليل فائدة، ذلك لانه يكون بمقدور كل شخص تشخيص ومعرفة وضعه. ثم ان هذه المقايسات ترينا ماهية الضلالة والنتائج المتولدة عن التطلع الى الدنيا بمنظار الفلسفة ، فمن ينظر بهذا المنظار سيحس – نتيجة حال الدنيا – بالالم لحال الناس ويحس بالالم لحاله، وكل ذلك ناتج من عدم معرفة رب الكون او معرفته بشكل ناقص وقاصر، ولو تم النظر الى الدنيا في ضوء القرآن لزالت كل هذه الالام وشفيت كل هذه الجروح ، ورسائل النور لاتبارى في اثبات هذه الحقيقة.

الاسلوب الهين والمقنع

لانستطيع هنا ان نمر على هذا الموضوع دون ذكر ميزة اخرى لرسائل النور، وهي الاسلوب الناعم والسهل والمقنع لها عند ايرادها لهذه الامثلة. والحقيقة ان هذه الميزة تعد ميزة رئيسية عند تقديم وتعليم حقائق الاسلام للغرب. ونقدم هنا فقرة من تفسير الآية الرابعة من سورة البقرة كمثال على مانقول، فهذه الفقرة تبين الطريقة التي اتبعها بديع الزمان، ودافع عنها في دعوة المسيحيين الى الاسلام.

فالقرآن الكريم يحث ان فيه اشارةً الى تشويق اهل الكتاب على الايمان وتأنيسهم، والتسهيل عليهم. كأنه يقول:

«لايشقنّ عليكم الدخول في هذا السلك، اذ لاتخرجون عن قشركم بالمرة بل انما تكملون معتقداتكم، وتبنون على ماهو مؤسس لديكم» اذ القرآن معدّل ومكمّل في الاصول والعقائد، وجامع لجميع محاسن الكتب السابقة واصول الشرائع السالفة. إلا انه مؤسِّس في التفرعات التي تتحول بتأثير تغير الزمان والمكان؛ فكما تتحول الادوية والالبسة في الفصول الاربعة، وطرز التربية والتعليم في طبقات عمر الشخص؛ كذلك تقتضي الحكمة والمصلحة تبدل الاحكام الفرعية في مراتب عمر نوع البشر. فكم من حكم فرعي كان مصلحة في زمان، ودواء في وقت طفولية النوعِ، لايبقى مصلحة في آخر، ودواء عند شبابية النوع. ولهذا السر نسخَ القرآن بعض الفروع. اي بيّن انقضاء اوقات تلك الفروع ودخول وقت آخر)(١٢).

وفي النتيجة نستطيع ان نقول ما يلي: ان بديع الزمان برسائل النور اعطى افضل انموذج لتقديم الاسلام الى الغرب وشرحه لهم، وقدم بذلك للاسلام وللقرآن خدمة لانظير لها. ذلك لانه بتفسيره رسالة القرآن لانسان هذا العصر، اثبت ان الاسلام هو دين العقل وهو منبع المدنية الحقيقية ورقي الانسانية وتقدمها. وفي زمن يقدم فيه الاسلام على انه دين المتعصبين والرجعيين، او كايدولوجية سياسية او انه يمثل بوساطة بعض الطغاة والمجرمين، قام بديع الزمان باثبات ان جميع الكمالات الانسانية ورقيها وسعادتها كامنة وموجودة في الايمان بالله،

وفي التصديق بوحدانيته، وكامنة في الاسلام الذي يمثل العبودية المطلقة والدين الاسمى.

ويرى بديع الزمان ان السيف الماسي القاطع لبراهين الاسلام يكفي لنشر رسالة الاسلام ودفع الدعوة الاسلامية الى اعلى . فكما كتب بديع الزمان في بداية العصر يقول: (الاقناع هو الوسيلة الوحيدة للتغلب على المدنيين وليس بالاكراه والقوة وكانهم وحوش)[١٣].

وكما خمن بديع الزمان بان القرآن سيحكم في المستقبل وان الغرب سيدخل الى الاسلام على شكل دول، فان البلاغة ستكون امضى سلاح في المستقبل (او في آخر الزمان)، اي قابلية اقناع الآخرين بالافكار، وهذا المستقبل آتٍ لاريب فيه. وبما اننا وُهبنا طريقاً قيماً جداً في نشر رسالة القرآن، فنحن نأمل ان يتحقق الشق الاول من توقع بديع الزمان (وهو ان القرآن سيحكم في المستقبل) ان شاء الله تعالى.

* * *

الهوامش

1. Bediüzzaman Said Nursî, Hutbe-i Şâmiye, 20-22.
2. A.g.e., 23.
3. Bediüzzaman Said Nursî. Emirdağ Lâhikası 1: 58, 65.
4. Bediüzzaman Said Nursî. Münâzarat, s. 22
5. Bediüzzaman Said Nursî. Muhâkemat, s. 8.
6. Bediüzzaman Said Nursî. Sözler, s. 146-8
7. Kur'ân 78: 7.
8. Sözler, s. 363-4.
9. Bediüzzaman Said Nursî. Lem'alar, s. 178-9.
10. Bediüzzaman Said Nursî. Şuâlar, s. 122.
11. Bediüzzaman Said Nursî. Miftâhu'l-Îmân, s. 87-90.
12. Bediüzzaman Said Nursî. Mektubat, s. 40-2; Hutbe-i Şâmiye, s. 33-4.
13. Bediüzzaman Said Nursî, İşârâtü'l-İ'câz, s. 53-4.
14. Bediüzzaman Said Nursî. Divân-ı Harb-i Örfî, s. 49

اوميد شمشك

(باحث - كاتب)

ولد عام ١٩٥٠ في اسطنبول. دخل ميدان الصحافة والنشر منذ شبابه الباكر. واعتباراً من عام ١٩٦٧ بدأ بالعمل في مجلات وجرائد مختلفة وعمل في جريدتي «يني آسيا» و«يني نسل» منذ انشائهما، لعب دوراً فعالاً في تأسيس مركز بحوث «يني آسيا» الذي فتح عهداً جديداً في تأسيس التمازج بين العلم والايمان اذ قام بإصدار سلسلة العلم والتقنية واصبح مدير التنسيق في هذا المركز.

يعمل الآن ككاتب مستقل، وهو ينشر مقالاته بشكل دوري في مجلة «ظفر» الشهرية، ومقالات غير دورية في صحف ومجلات اخرى.

مؤلفاته المنشورة

١- الذرة.

٢- الانفجار الكبير او مولد الكون.

٣- مذكرات نحلة.

٤- تقنية البحث.

٥- الفضاء.

٦- الكواكب السيارة.

٧- المادة والطاقة.

٨- الدنيا.

٩- لنتعلم قرآننا.

١٠- القرآن الكريم وشرح مقالة (الجنة).

١١- مناظرة مع الشيطان.

١٢- تفسير دعاء «الجوشن الكبير» (هي احد الادعية المأثورة عن الرسول ﷺ) في ضوء رسائل النور.

لمعات الاسماء الحسنى في رسائل النور

عندما نبدأ بمطالعة التجليات الرائعة للاسماء الحسنى في المخلوقات، فان هذا يعني اننا بدأنا بمعرفة سر ارسالنا الى هذه الارض كضيوف كرام على هذا الكوكب الجميل، نقرأ صفحات هذا الكون لكي نعرف ربنا ونسبح في بحار معرفة الله ومحبة الله.

١- لماذا «الاسماء»؟

تقول آية كريمة ان جميع الاسماء الحسنى تعود الى الله تعالى(١). وتقول آية اخرى ﴿**هل تعلم له سمياً**﴾(مريم: ٦٥) فتؤيد هذا المعنى، وتقول آية اخرى ﴿**وجعلوا لله شركاء قل سموهم**﴾ (الانعام: ١٠٠) اي ان الآية تتحداهم في ان يطلقوا اسماء حسنى على معبوداتهم وتقول لهم: أتستطيعون ذلك؟

هناك حديث شريف يقول بان لله ٩٩ اسماً وبشر الذين يعدون هذه الاسماء بالجنة(٢). غير ان العلماء قالوا ان اسماء الله تعالى غير محصورة بـ(٩٩) اسماً، والدليل على ذلك ان دعاء «الجوشن الكبير» الموحي الى سيدنا الرسول ﷺ يحتوي على مايقارب ألف اسم لله تعالى، ويقول المفسر الكبير فخر الدين الرازي في «التفسير الكبير» بان اسماء الله تعالى لانهائية.

وعندما يحثنا القرآن والحديث على تعلم اسماء الله فان الهدف ليس هو حفظ قائمة اسماء لاغير، بل ان هذا الحث والترغيب يجب ان يقيم في ضوء الآية الكريمة التي تكشف لنا عن سر الخلق ﴿ **وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون** ﴾(الذاريات: ٥٦) ويلخص بديع الزمان معنى هذه الاية في مقدمة كتابه «الآية الكبرى» فيقول:

(ان حكمة مجئ الانسان الى هذه الدنيا والغاية منه، هي: معرفة خالق الكون سبحانه، والايمان به، والقيام بعبادته. كما ان وظيفة فطرته، وفريضة ذمته، هي: معرفة الله والايمان به، والتصديق بوجوده وبوحدانيته اذعاناً ويقيناً)(٣).

وهذه الايضاحات تقودنا الى موضوع مهم وهو ان معرفة الله تأتي مع الايمان بالله وان هذا هو سبب خلقنا ووجودنا في هذه الدنيا. والحقيقة ان جميع الانبياء الذين ارسلوا منذ ان وطئ اول انسان اديم هذه الارض، وجميع الكتب المنزلة كانت تدعو الى الايمان بالله. ولكن اول سؤال كان يتبادر إلى ذهن الانسان مقابل هذه الدعوة هو:

ـ حسناً! ولكن من هو الله؟ اي ذات هو؟ وكيف نستطيع معرفته؟

وهكذا فان الاسماء الحسنى الواردة في القرآن وفي الحديث هو جواب لهذا السؤال. لنفرض ان الانسان ومعه كل احبائه بينما، واقف امام منصة الاعدام ينتظر دوره، يعلم ان شخصاً مجهولاً قام بلطف منه بانقاذه وانقاذ جميع احبائه من الاعدام، فان اول احساس يحس به في قلبه هو الفرح الغامر الذي لايمكن وصفه والشوق الى معرفة من اسبغ كل هذا الفضل اليه والى احبائه.

وهكذا فان هذا الانسان الذي لايعلم عما يبحث في هذه الدنيا المضطربة التي لااستقرار لها، والذي يرى ان جميع احبائه يفنون واحداً اثر واحد امام عينيه، والذي يحس انه ايضاً واقف على حافة هاوية الفناء، فعندما يستلم مثل هذا الانسان بشرى حياة ابدية وسعادة ابدية فانه يرغب دون شك في معرفة صاحب هذه البشرى.

والقرآن يعلم الانسان ربه من اول بسملة فيه حتى آخر سورة فيه بالاسماء الحسنى لله. والوظيفة الملقاة على عاتق الانسان هي قراءة هذه الاسماء وتعلمها وكشف معانيها، والتجول في المراتب التي تصفها وتشرحها هذه الاسماء، ويجد بذلك الموضع الذي يستطيع ان يتوجه اليه بمشاعر الشكر، وكلما زادت معلوماته عن ربه ومعرفته به ازداد حبه له، وسعى لان يجعل نفسه محبوباً لديه.

٢- المفتاح لقراءة الاسماء

في اول نظرة نلقيها على طائر، ندرك انه مخلوق لكي يطير، كما ندرك من النظرة الاولى ان السمك للسباحة، والغنم لاعطاء الحليب، والجمال لكي يعيش في الصحارى اليابسة، ودون ان تغطس اقدامه يستطيع ان يمشي ولعدة ايام، ولكي يستطيع العيش هكذا فقد جهز باعضاء واجهزة ملائمة.

اما مشاعر الانسان وقابلياته فهي من النوع الذي يستطيع تفسير الآية الكريمة السابقة، فلو كان من المفروض ارسال مخلوق يسأل ويعلم ربه، لما كان هذا المخلوق سوى هذا الانسان، ذلك لانه جهّز بكل القابليات الواسعة التي لانهاية لحدودها، والتي تحتاج اليها هذه الوظيفة، ثم ارسل الى الدنيا بعد ذلك.

اول ما يتبادر الى الذهن من هذه القابليات هو العقل والحواس الخمسة وقابلية الكلام والفهم. ولكن هناك عنصراً مهماً مختفياً تحت ستار الألفة يشرحه بديع الزمان بشكل عميق في «الكلمة الثلاثون» بل يعده وجهاً من اوجه تفسير كلمة «الامانة» التي وردت في الآية الكريمة ﴿ **انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان** ﴾ (الاحزاب: ٧٢). وهو «انا»، اي شعور الانانية وليس غيره. يقول بديع الزمان:

(ان الله جل جلاله وضع بيد الانسان امانةً هي: «انا» الذي ينطوي على إشارات ونماذج يستدل بها على حقائق اوصاف ربوبيته

الجليلة وشؤونها المقدسة. اي يكون «انا» وحدة قياسية تُعرف بها اوصاف الربوبية وشؤون الالوهية.

ومن المعلوم انه لايلزم ان يكون للوحدة القياسية وجود حقيقي، بل يمكن ان تركّب وحدة قياسية بالفرض والخيال، كالخطوط الافتراضية في علم الهندسة. اي لايلزم لـ«انا» ان يكون له وجود حقيقي بالعلم والتحقيق.

سؤال: لِمَ ارتبطت معرفة صفات الله جل جلاله واسمائه الحسنى «بانانية» الانسان؟.

الجواب: ان الشئ المطلق والمحيط، لايكون له حدود ولانهاية؛ فلا يُعطى له شكل ولا يُحكم عليه بحكم، وذلك لعدم وجود وجه تعيّن وصورة له؛ لذا لاتُفهم حقيقة ماهيته.

فمثلاً: الضياء الدائم الذي لايتخلله ظلام، لايشعر به ولايُعرف وجوده الاّ اذا حُدد بظلمة حقيقية او موهومة.

وهكذا، فان صفات الله سبحانه وتعالى - كالعلم والقدرة - واسماءه الحسنى - كالحكيم والرحيم - لانها مطلقة لاحدود لها ومحيطة بكل شئ، لاشريك لها ولاندّ، لايمكن الاحاطة بها او تقييدها بشئ، فلا تُعرف ماهيتها، ولا يُشعر بها؛ لذا لابد من وضع حدّ فرضي وخيالي لتلك الصفات والاسماء المطلقة، ليكون وسيلة لفهمها - حيث لاحدود ولانهاية حقيقية لها - وهذا ما تفعله «الانانية» اي ما يقوم به «انا»؛ اذ يتصور في نفسه ربوبية موهومة، ومالكية مفترضة وقدرة

وعلماً، فيحدّ حدوداً معينة، ويضع بها حداً موهوماً لصفات محيطة واسماء مطلقة فيقول مثلاً: من هنا الى هناك لي، ومن بعده يعود الى تلك الصفات. اي: يضع نوعاً من تقسيم الامور، ويستعد بهذا الى فهم ماهية تلك الصفات غير المحدودة شيئاً فشيئاً، وذلك بما لديه من موازين صغيرة ومقاييس بسيطة.

فمثلاً: يفهم بربوبيته الموهومة التي يتصورها في دائرة مُلكه، ربوبية خالقه المطلقة سبحانه وتعالى في دائرة الممكنات.

ويدرك بمالكيته الظاهرية، مالكية خالقه الحقيقية، فيقول: كما انني مالك لهذا البيت فالخالق سبحانه كذلك مالك لهذا الكون.

ويعلم بعلمه الجزئي، علم الله المطلق.

ويعرف بمهارته المكتسبة الجزئية، بدائع الصانع الجليل ، فيقول مثلاً: كما انني شيدت هذه الدار ونظمتها، كذلك لابد من منشئ لدار الدنيا ومنظم لها.

وهكذا... فقد اندرجت في «انا» آلاف الاحوال والصفات والمشاعر المنطوية على آلاف الاسرار المغلقة التي تستطيع ان تدل وتبيّن – الى حد ما – الصفات الالهية وشؤونها الحكيمة كلها.

اي ان «انا» لايحمل في ذاته معنىً، بل يدل على معنى في غيره؛ كالمرآة العاكسة، والوحدة القياسية، وآلة الانكشاف، والمعنى الحرفي فهو شعرةٌ حساسة من حبل وجود الانسان الجسيم.. وهو خيط رفيع من نسيج ثوب ماهية البشر.. وهو حرف «ألف» في كتاب شخصية بني آدم)(٤).

والانسان الذي بدأ بمفتاح «انا» الموجود لديه لفتح ابواب الكون، اصبح قادراً على تفسير المعلومات التي تقدمها له حواسه وجاهزاً لمعرفة ربه، غير ان هذا كان يعد نقطة النهاية في التفكير التجريدي. فقابلية التفكير في الانسان خلقت بشكل تستطيع الوصول الى هذه المرحلة بوساطة العلم والتمرن. ان مخيلة الانسان النامية بشكل كاف يستطيع بحسابات علمية ان تعرف ان عدد الذرات في الكون هو رقم امامه ٧٩ صفراً دون ان تضطر الى عد هذه الذرات واحدة فواحدة، ولكي يعرف الانسان سعة الكون لا يضطر الى زيارة كل مجرة، بل يستطيع ذلك باستعمال السنة الضوء كوحدة قياس.

ولكي يستطيع الانسان معرفة صفات الله واسمائه الحسنى فانه يحتاج الى ذهن واصل الى مرحلة تجريد أبعد، ذلك لان عدد ذرات الكون وسعة هذا الكون كلاهما محدودان. اما الاسماء الالهية والصفات الالهية فهي وراء كل حدود الزمان والمكان ووراء كل حدود يمكن ان تخطر على ذهن الانسان. وفي هذه الاسماء والصفات لايوجد لله اي شريك او نظير وهذا يجعل فهم جميع هذه الاسماء شيئاً مستحيلاً. اذن فكما اشار بديع الزمان فلكي نتعرف على اسماء الله تعالى وصفاته فاننا نحتاج الى شعور «الانا» اولاً، اي الحاجة الى المقارنات التي نعقدها بقابلياتنا وفعالياتنا المحدودة. وستخبرنا احاسيسنا نفسها بعد مدة ان الحدود الوهمية والخيالية التي رسمناها في اثناء هذه المقارنات لاحقيقة لها على الاطلاق . فنحن عندما نقول في بادئ الامر «ان الشمس تدفئ ارضنا مثلما يدفئ موقدي البيت». ثم نعقد

مقارنات بين القنابل الهيدروجينية في الارض وبين الفعاليات النووية الجارية في الشمس (*). ثم نقوم بحساب الحرارة في مركز الشمس فنجد انها تبلغ ١٥ مليون درجة مئوية. والحقيقة اننا لانعرف ما معنى درجة حرارة تبلغ ١٥ مليون درجة مئوية اذ لانستطيع معرفتها بتجاربنا. ولكن عجزنا في هذا الموضوع لايخل ابداً بمعلوماتنا وبحساباتنا الاكيدة حول وجوب وجود مثل درجة الحرارة هذه في قلب الشمس، ذلك لاننا نملك وحدة قياسية في هذا الموضوع، وهي وحدة حساب لهذه الحرارة حسب قياس كلفن.

ان الانسان الذي يبحث ويسأل ربّ الكون وفي يده وحدة قياس «الانا» سيجد جواب سؤاله سواءً في الكون ككل او في الموجودات — صغيرة كانت ام كبيرة — ولاسيما في الكائنات الحية. وبتعبير بديع الزمان:

(ستتعين لديها ذات الهية واحدية ربانية، وسيماء ربانية معنوية حسب صفاته السبعة وتمركز للاسماء وتجلي للذات المخاطبة بـ« اياك نعبد واياك نستعين»).

اي انه سيتعرف على ربه الواجب الوجود المنزه عن الشكل والصورة تنزهاً مطلقاً باسمائه المتجلية على مخلوقاته وبصفاته القدسية السبعة التي تكوّن «سيماء» معنوية:

(*) هناك نوعان من الفعاليات النووية في هذا المجال. اولهما هو الانشطار النووي Nuclear Fission وهو اساس القنبلة الذرية، والثاني هو الاندماج النووي Nuclear Fusion وهو اساس القنبلة الهيدروجينية، والفعاليات النووية الجارية في الشمس هي من النوع الثاني. المترجم.

(وكذا يُفهم بوضوح تام بسر التوحيد في تلك الاحياء الجزئية؛ ان صانعها يراها ويعلم بحالها ويسمع نداءها ويصورها كيف يشاء. فيظهر لبصيرة الايمان وراء مصنوعية الكائن الحي، تشخصٌ معنوي وتعينٌ معنوي لمقتدر مختار سميع عليم بصير. وبخاصة وراء مخلوقية الانسان – من بين ذوي الحياة – يُشاهد بالايمان وبسر التوحيد وبوضوح تام ذلك التشخص المعنوي والتعين السامي. لان في الانسان نماذج اسس ذلك الشخص، تشخص الاحدية، وهي العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر وامثالها من المعاني، فتشير تلك النماذج الى تلك الاسس، اذ الذي شق البصر – فهو يرى البصر ويرى كذلك مايراه البصر – وهو معنى دقيق – ثم يمنح البصر. نعم ان صاحب النظارات الذي يصنع لعينك نظارة يرى ملاءمة النظارة لعينك ثم يصنعها لك. وكذا الذي شق السمع لاشك انه يسمع ما تسمعه الاذن ثم يخلقها ويمنحها الانسان. وهكذا قس بقية الصفات على هذه.

وكذا في الانسان نقوش الاسماء وتجلياتها، فهو بهذه النقوش والجلوات يشهد على تلك المعاني المقدسة.

وكذا الانسان بضعفه وعجزه وفقره وجهله يؤدي وظيفة المرآة – بشكل آخر – اذ يشهد بها على صفات مَن يرحم ضعفه وفقره، ومَن يمد عجزه. اي يشهد على قدرته جل وعلا وعلى علمه وعلى ارادته، وهكذا على سائر صفاته الجليلة.

فبسر التوحيد اذن تتمركز الف اسم واسم من الاسماء الحسنى في

منتهى دائرة الكثرة وفي اكثر جزئياتها تشتتاً، تتمركز في الرسائل الصغيرة المسماة بذوي الحياة، وتقرأ بسر التوحيد بوضوح وجلاء، لذا فان ذلك الصانع الحكيم يُكثر من نسخ ذوي الحياة بكثرة كاثرة، ولاسيما طوائف صغارها فانه يكثرها باشكال شتى وينشرها الى الارجاء كافة)(٥).

٣- التصوف وعلم الكلام ورسائل النور

خلافاً للقول الشائع عن اهل الحقيقة: «لكي تصل الى الحقيقة والى معرفة الله فعليك ان تنسى الطرق الكثيرة»(٦). فان بديع الزمان يفتش عن معرفة الله في الطرق العديدة المؤدية الى مثل هذه المعرفة ويجدها. ويبين بديع الزمان بان هذا الامر مقتبس من الوراثة النبوية، وانه الطريق المقتبس عن القرآن، فيشير بذلك الى ان رسائل النور حركة تجديدية:

(ان الذي دعا محي الدين بن عربي الى ان يقول هذا الكلام لفخر الدين الرازي وهو امام من ائمة الكلام هو: ان ما بينه ائمة اصول الدين وعلماء الكلام فيما يخص العقائد ووجود الله سبحانه وتوحيده غير كاف في نظر ابن عربي.

حقاً! ان معرفة الله المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين ان تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، تصبح معرفة تامة وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب. نسأل الله العلي القدير ان يجعل كل جزء

من اجزاء رسائل النور بمثابة مصباح يضئ السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم.

ثم ان معرفة الله التي استقاها الرازي من علم الكلام كم تبدو ناقصة وقاصرة في نظر ابن عربي، فان المعرفة الناتجة عن طريق التصوف ايضاً ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها امام المعرفة التي استقاها ورثة الانبياء من القرآن الكريم مباشرة، ذلك لان ابن عربي يقول «لاموجود الاّ هو» لاجل الحصول على الحضور القلبي الدائم، امام الله سبحانه وتعالى، حتى وصل به الامر الى انكار وجود الكائنات.

اما الآخرون فلاجل الحصول على الحضور القلبي ايضاً قالوا: «لامشهود الاّ هو» وألقوا ستار النسيان المطلق على الكائنات واتخذوا طوراً عجيباً.

بينما المعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم، فضلاً عن انها لاتقضي على الكائنات بالعدم ولاتسجنها في سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الاهمال والعبثية وتستخدمها في سبيل الله سبحانه، جاعلة من كل شئ مرآة تعكس المعرفة الالهية وتفتح في كل شئ نافذة الى المعرفة الالهية، كما عبر عنها سعدي الشيرازي شعراً)(٧).

وعبارات بديع الزمان هذه تشير الى انه مع كون طرق علم الكلام قاصرة، الا انها تملك قوة وطاقة اكثر مما في طرق التصوف. ويشرح هذا في كتابه «المكتوبات» بشكل واضح اذ يقول:

(لقد انقاد في معظم الاماكن طلاب المدارس الدينية منذ القديم لمنتسبي والتكايا واهلها وخضعوا لهم رجاء الحصول على ثمرات الولاية، اذ املوا ان يجدوا في زوايا هؤلاء الاذواق الايمانية وانوار الحقيقة، الى درجة ان عالماً كبيراً من علماء هذه المدارس الدينية كان يقبل يد اصغر ولي في التكية وينقاد اليه ويتبعه، اذ بحثوا عن سر ينبوع الحياة الابدية في تلك التكايا.

هذا مع العلم ان رسائل النور بفضل المعجزة المعنوية للقرآن ذو البيان المعجز اوضحت وبينت واشارت الى وجود طريق اقصر في هذه المدارس الدينية يوصل الى انوار الحقيقة، وان في العلوم الايمانية نبعاً للحياة الابدية اكثر صفاء ونقاءً، وان في العلم وفي الحقائق الايمانية وفي علم الكلام لاهل السنة طريقاً للولاية اسمى وحلى واقوى من طرق هذه التكايا)(٨).

٤- كيف تُطالع الاسماء الحسنى؟

ان ما يُعرّف بالفنان هو آثاره، فنحن نعرف «المعمار سنان»(*) من جامع السليمانية. ونعرف «يونس أمره» من اشعاره، ومولانا جلا الدين الرومي من كتابه «المثنوي» ونعرف «العطري» من تكبيرات العيد. فكلما كانت هذه الآثار جميلة وعظيمة، كلما اعطت فكرة جيدة عن عظمة ذلك الفنان.

(*) مهندس تركي ولد بالاناضول، ترك اعمالاً واثاراً عديدة، واعماله المعمارية الرائعة تدل على عبقريته وعلى حسه الجمالي الفائق، فهو مؤسس مدرسة معمارية خاصة به. اهم اثاره جامع السليمانية في اسطنبول وجامع السليمية في ادرنة. دفن في الضريح الذي عمله بنفسه في جامع السليمانية. المترجم.

ان معرفة الأثر تقودنا الى معرفة الفعل وراءه، فمثلاً فان تكبير «العطري» في ايام العيد انتقل من جيل الى جيل منذ مئات السنين، وهو اثر موسيقى فخم ورائع يملأنا بمشاعر علوية كلما سمعناه. فعندما نسمع هذا الاثر الموسيقي نعرف ان فناناً كبيراً قام بتلحينه. ذلك لان اي اثر موسيقي لايظهر هكذا تلقائياً ومن نفسه، بل يظهر نتيجة فعالية اسمها «التلحين». اذن هناك فعل وفعالية وراء كل أثر. وجمال الأثر يعطينا مقياساً لجمال الفعل الكامن وراءه.

ولابد من وجود فاعل وراء اي فعل، فالذي يقوم بالتلحين نطلق عليه اسم «الملحن»، وككل فعل تلحين فان وراء تلحين تكبيرات العيد فعل صدر عن ملحن. واسم «الملحن» هذا هو عنوان للفنان الذي لحن تكبيرات العيد. وبتعبير آخر فكما ان وراء الأثر الذي ندعوه «لحناً» فعل تلحين، فان وراء هذا الفعل اسم الملحن. ومن هذا التسلسل المنطقي نصل من تكبيرات العيد الى الفنان الذي قام بتلحينه، ونطلق عليه اسم «الملحن»، ولاحاجة للقول بان درجة جمال وكمال تكبيرات العيد يبين لنا بوضوح العظمة الموجودة في عنوان «الملحن» للعطري ومدى كمال فنه.

اعتباراً من هذه النقطة ومن هذا المنطلق نكون قد اقتربنا اكثر من المعلومات المتعلقة بالفنان. ذلك لان الاسماء والعناوين تعطينا معلومات اولية عن صاحب ذلك الاسم، وعن صاحب ذلك العنوان. فمثلاً ان ذكر احد الاشخاص بانه ملحن فاننا نعلم وجود بعض الخواص فيه.

ذلك لانه ليس كل شخص ملحناً ومن المستحيل ان يكون ، اذن فلابد ان هناك خواصاً وصفاتاً في ذلك الملحن الذي قام بتلحين رائع لتكبيرات العيد تميزه عن بقية الناس. فقبل كل شئ فان وجوده شرط، ذلك لان من لم يكن موجوداً، لايمكن ان يكون له اثر موجود. ثم ان الملحن يجب ان يملك حياةً لان الجمادات وعديمي الحياة لايستطيعون التلحين. والملحن يجب ان يكون سميعاً، لان من ولد من امه اصماً لايستطيع استعمال الاصوات التي لم يسمعها ولم يعرفها بشكل متناسق ويخرج لنا قطعة موسيقية. والملحن يجب ان يكون صاحب علم لكي يستطيع النفوذ الى اعماق علم الموسيقى. ثم يجب ان يكون عند هذا الملحن اشياء يريد ان يقولها ويوصل ما يريد قوله بالالحان الى من يستطيع فهمه. وهكذا فيجب توفر مثل هذه الصفات والخصائص عند من يوصف بانه «ملحن»، اذن فكما ان الاثر يشير الى الفعل، والفعل يشير الى الاسم، فكذلك فان الاسم يشير الى وجود بعض الصفات ويكون دليلاً عليها.

اما الصفات فهي تشير الى وجود بعض القابليات الملائمة لها في ذلك الشخص ، فمثلاً وجود علم الموسيقى صفة عند الملحن، ومع ذلك فهناك اناس لايميزون درجات السلم الموسيقي، ولا الفرق بين المقامات مع انهم اخذوا دروساً في الموسيقى لعدة سنوات. وهذا يعني ان اكتساب علم الموسيقى وهضمه يحتاج الى قابليات معينة. ونظير هذا فكل صفة من الصفات التي يجب توفرها لدى الملحن تحتاج الى قابلية مناسبة لها. فلكي يكون حياً يجب ان يملك جسداً قابلاً للحياة،

ولكي يستطيع استعمال معرفته بشكل مناسب فيجب ان يكون صاحب ذوق سليم وروح حساس... اذن فصفات صاحب اي اثر فني تشير الى وجود بعض القابليات لدى ذلك الفنان.

واخيراً فان هذه الصفات والقابليات تعطينا فكرة عن شخص ذلك الفنان. وهكذا فاننا انطلاقاً من الصفات التي نراها في الاثر فان التسلسل المنطقي يضع امامنا صورة معنوية للفنان. فكما تتجسم امامنا صورة صديقنا عندما نسمع صوته في الهاتف، كذلك تتشكل في خيالنا وفي عقولنا سيماء معنوية للفنان من مجمل فعله واسمه وصفاته وقابلياته. والجمال والكمال الموجود في الاثر، والذي اخذ موقعه في بداية هذا التسلسل المنطقي سيقودنا شيئاً فشيئاً لاعطائنا فكرة عن مدى جمال وكمال صاحب ذلك الاثر. حتى ان مهندساً معمارياً عندما يرى صورة فوتوغرافية لجامع «السليمية» يستطيع ان يكون فكرة عن «معمار سنان» ويعرفه افضل من شخص اعمى قضى عمره جاراً لـ«معمار سنان».

* * *

ان الامثلة التي اوردناها كانت حول اسم واحد لفنان. والآن لنوسع دائرة نظرنا، ونأخذ شخصاً مثالياً له اسماء وعناوين عديدة، ولنفرض ان هذا الشخص اسمه «احمد»، وانه مهندس بلغ الذروة في مهنته. وهو الى جانب هذا صاحب مهارات وفنون عديدة، مثلا هو احد اعضاء هيئة التدريس، ومؤلف روايات وخطاط، ويعزف على الناي،

وهو بستـاني ممتاز يزرع زهوراً نادرة في حـديقة منزله. ولنـفرض انه في جميع فعـالياته هذه صاحب مهارة وفن بقدر مهـارته في مهنته الاصلية وهي الهندسة.

فـان سـألت عنه مـن احـد زبائنـه وقلت له: «كـيـف ترى السـيـد احمـد؟» فسيقول لك: «انـه مهندس ممتاز». اي يـعرّفه بصـفة كـمال اسمه في الهندسة.

ولو سـألنا السـؤال نفسـه مـن تلاميـذه لقـالوا انه اسـتـاذ ممتـاز، اي لوصفوه لك من جانب اسم وصفة استاذيته.

اما قـراؤه فهم يعرفـونه من جانب اسم وصـفة ادبه الممتـاز، ويقولون عنه انه اديب ممتاز. والذين يفهمون في الخط يعـرفون السيد احمد من جانب اسم وصفة الخطاط، لانهم يعرفونه من هذا الجانب الفني.

امـا اصـدقاؤه في مـجـالسـه الموسـيقـيـة فـهم يرونه نافخ ناي ممتـاز، ويعرفونه من جانب هذا الاسم وهذه الصفة.

امـا البسـتاني في بيت جـاره فـهو يعـرف السيـد احمـد تحت صفـة واسم آخر، وهو اسم وصفة انه بستاني ممتاز.

اما الـذين يشتـغلون معـه في مكتبـه، فهم يصـفونه بانه شـخص ذو اخلاق عالية ومناقب حميدة وصـاحب مبادئ في حياة العمل، ورئيس عمل ممتاز.

كمـا رأينا فان كل من يعرف السيد احـمد يجمع عـلى انه شخص ممتاز، ولكن كلا منهم يعرفه تحت صفة وتحت اسم آخر، واذا نظرنا الى

السيد احمد في ضوء هذه الاسماء والصفات نجد انه مهندس ممتاز واديب وخطاط وموسيقار وبستاني ورئيس. فهو صاحب جميع هذه الاسماء وجميع الصفات والقابليات التي تستوجبها هذه الاسماء. بعضهم يعرفونه تحت اسم واحد. وبعضهم يعرفونه بعدة من اسمائه. وبعضهم يعرفون جميع فعالياته وآثاره، لذا يعرفون السيد احمد بجميع اسمائه وصفاته. والخلاصة ان آثار السيد احمد وافعاله هي التي تعرفه للناس، ومعرفة اسمائه متعلقة بمعرفة اثاره وافعاله. وبعد ان نأخذ كل اسم من هذه الاسماء بنظر الاعتبار وما يستدعيه كل اسم من الصفات والقابليات نكون قد كونا فكرة عن السيد احمد.

* * *

ولكن هناك نقصاً في المثال الذي ضربناه للسيد احمد، اذ افترضنا ان كل اسم من اسمائه يظهر في اثر محدد من آثاره وفعالياته، كظهور اسم المهندس في تصاميمه الرائعة، واسم الاديب في رواياته ، واسم الخطاط في خطه، غير انه تظهر حالات تظهر فيها في اثر واحد من اثاره عدة اسماء له، فمثلاً عندما ينظم حديقته قد يستفيد من معلوماته في علم النبات الى جانب معلوماته في الهندسة. بل قد يكون هناك امر ابعد من هذا، اذ قد يستعمل كل اسمائه وصفاته في اثر واحد او في عمل من اعماله، فمثلاً قد تجد في رواية له انعكاسات من جميع اسمائه وصفاته، وعند ذاك فان من يريد معرفة السيد احمد لايضطر ان

يدقق كل حياته، اذ لايستطيع معرفة جميع اسماء السيد احمد من قراءة كتاب واحد له قراءة متفحصة، ويعرف صفاته وقابلياته التي هي منبع هذه الاسماء فيستطيع آنذاك رسم صورة معنوية له.

يشير بديع الزمان في «الكلمة الثانية والعشرين». وفي بعض مؤلفاته الاخرى الى هذه السلسلة المنطقية التي توصلنا الى معرفة رب العالمين من آثاره فيقول:

(ان كتاب الكون الكبير هذا اذ تعلّمنا آياته التكوينية الدالة على وجوده سبحانه وعلى وحدانيته، يشهد كذلك على جميع صفات الكمال والجمال والجلال للذات الجليلة. ويثبت ايضاً كمال ذاته الجليلة المبرأة من كل نقص، والمنزّهة عن كل قصور. ذلك لان ظهور الكمال في اثر ما، يدل على كمال الفعل الذي هو مصدره، كما هو بديهي، وكمال الفعل هذا يدل على كمال الاسم، وكمال الاسم يدل على كمال الصفات، وكمال الصفات يدل على كمال الشأن الذاتي، وكمال الشأن الذاتي يدل على كمال الذات ذات الشؤون حَدساً وضرورة وبداهة.

فمثلاً: ان النقوش المتقنة والتزيينات البديعة لقصر كامل رائع، تدل على ما وراءها من كمال الافعال التامة لبنّاء ماهر خبير.. وان كمال تلك الافعال واتقانها ينطق بتكامل الاسماء لرتب وعناوين ذلك البنّاء الفاعل.. وتكامل الاسماء والعناوين يُفصح عن تكامل صفات لاتُحصى لذلك الصانع من جهة صنعته وتكامل تلك الصفات وابداع

الصنعة يشهدان على تكامل قابليات ذلك الصانع واستعداداته الذاتية المسماة بالشؤون. وتكامل تلك الشؤون والقابليات الذاتية تدل على تكامل ماهية ذات الصانع.

وهكذا الامر في الصنعة المبدعة المبرأة من النقص والفطور في الآثار المشهودة في العالم، وفي هذه الموجودات المنتظمة في الكون، التي لفتت اليها الانظار الآية الكريمة: ﴿ **هل ترى من فطور** ﴾(الملك: ٣)، فهي تدل بالمشاهدة على كمال الافعال لمؤثر ذي قدرة مطلقة، وكمال الافعال ذاك يدل بالبداهة على كمال اسماء الفاعل ذي الجلال، وذلك الكمال يدل ويشهد بالضرورة على كمال صفات مسمى ذي جمال لتلك الاسماء، وكمال الشؤون ذاك يدل بحق اليقين على كمال ذات مقدسة ذات شؤون، دلالة واضحة بحيث ان ما في الكون من انواع الكمالات المشاهدة ليس الاّ ظلاً ضعيفاً منطفئاً – ولله المثل الاعلى – بالنسبة لآيات كماله ورموز جلاله واشارات جماله سبحانه وتعالى)(٩).

الاثار والافعال هي الموجودات والحوادث التي نشاهدها. اما الانتقال الى الاسماء والى الصفات، فيحتاج الى علم والى تأمل، وكمثال على ذلك التوصل الى معرفة اسم «الكريم» من مشاهدة افعال الكرم والعناية والزينة في المخلوقات (١٠). وبتعبير آخر فاننا عندما ننتقل من الاثر والفعل الى الاسم والصنعة، فاننا نكون قد استخرجنا مما نشاهده حقائق علمية قاطعة.

غير انه لاتظهر امامنا الافعال والاسماء بشكل منفرد في كل حين، ذلك لان نقوش الاسماء الحسنى الظاهرة في كل مخلوق تكون متداخلة بعضها مع البعض الآخر بشكل معقد بحيث لايسهل ابداً عدها وتحليلها وفرز بعضها عن البعض الآخر:

(وما دامت واحدة تلك الاسماء الحسنى والشؤون الالهية والافعال الربانية التي تصرف امور الكون والتي تظهر تجلياتها ونقوشها واثارها في كل انحاء العالم.. فالاسماء الحسنى «الحكيم، المصور، المدبر، المحيي، المربي» وامثالها هي نفسها في كل مكان.. وشؤون «الحكمة والرحمة والعناية» وامثالها هي نفسها في كل مكان.. وافعال «التصوير والادارة والتربية» وامثالها هي نفسها في كل مكان.. وكل منها متداخل بعضه في البعض الآخر، وكل منها في اسمى مرتبة واوسع إحاطة وهيمنة، كما ان كلا منها يكمل نقش الآخر حتى لكأن تلك الاسماء والافعال تتحد مع بعضها اتحاداً، فتصبح القدرة عين الحكمة والرحمة، وتصبح الحكمة عين العناية والحياة. فعندما يظهر - مثلاً - تصرف اسم المحيي في شئ ما، يظهر تصرف اسم الخالق والمصور والرزاق واسماء اخرى كثيرة كذلك في الوقت نفسه، في كل مكان وبالنظام نفسه، فلابد ولامحالة ان ذلك يشهد بداهة على ان مسمّى تلك الاسماء المحيطة، وفاعل تلك الافعال الشاملة والظاهرة في كل مكان بالطراز نفسه، انما هو فاعل واحد أحد فرد.. آمنا وصدّقنا!)(١١).

وفي الكلمة الثلاثين نرى تحليلاً مفصلاً لتجليات الافعال والاسماء الالهية المتداخلة بعضها مع البعض الآخر عند تفسير قوله تعالى ﴿ **وان من شئ الا يسبح بحمده** ﴾ (الاسراء: ٤٤). وذلك تحت عنوان «زهرة جميلة وحسناء فاتنة من جنس الانسان» اذ يقول: (نعم، ان كانت زهرة جميلة واحدة، وإنسية حسناء جميلة، يُظهران الى هذا الحد من الاسماء الحسنى في صورتهما الظاهرية المادية فقط، فالى اي حد من السمو والكلية تستقرئ جميع الازهار، وجميع ذوي الحياة الموجودات العظيمة الكلية، الاسماء الحسنى الالهية. يمكنك ان تقيس ذلك بنفسك.

ويمكنك في ضوء ذلك ان تقيس ايضاً مدى مايقرأه الانسان ومايستقرؤه من الاسماء الحسنى امثال: الحي، القيوم، المحيي، في كل من صحائف الحياة واللطائف الانسانية كالروح والقلب والعقل.

وهكذا.. فالجنة زهرة. والحور زهرة. وسطح الارض زهرة، والربيع زهرة، والسماء زهرة ونقوشها البديعة النجوم. والشمس زهرة والوان ضيائها السبعة اصباغ نقوش تلك الزهرة) (١٢).

وفي نظام التفكير الذي يعلمنا اياه بديع الزمان يجب ان نأخذ بنظر الاعتبار الزهرة الواحدة مع جميع الزهور، والكائن الواحد مع جميع الكائنات، والفرد الواحد مع النوع كله. ذلك لان هذا هو حقيقة العالم الذي نعيش فيه. ففرخ الطير الموجود على غصن الشجرة لايتغذى وحده، ففي اللحظة نفسها يصل الرزق بشكل خارق وبتجليات الرحمة والشفقة الى جميع افراخ الطيور في جميع انحاء العالم، بل الى

جميع اطفال البشر والحيوانات. والذرة الواحدة لاتدور وحدها. بل تدور جميع الذرات وجميع الاشكال الكروية بنفس العلم وبنفس القدرة وبنفس الحكمة. والانسان لايعيش وحده في عالمه الخاص، بل يعيش جميع الناس الذين يتقاسمون هذه الدنيا في اللحظة نفسها معاً متمتعين بنعم عوالمهم الخاصة.

وهكذا فان بدأنا بمطالعة الافعال والاسماء العديدة المتجلية في كائن واحد مع الاسماء والافعال المتجلية في جميع الكائنات، فاننا نكون قد بدأنا بمعرفة بعض السر في ارسالنا الى هذه الدنيا كضيوف اعزاء يطالعون صفحات كتاب الكون، ونبدأ بمعرفة رب العالمين، وبالسباحة في شواطئ محبة الله ومعرفة الله. يقول بديع الزمان:

(فمثلاً: ان ارسال اللبن الخالص السائغ الى رضيع صغير لايملك حولاً ولاقوة، ومن حيث لايحتسب، من بين فرث ودم، فعل جزئي. هذا الفعل الجزئي ما ان ينظر اليه بنظر التوحيد، يظهر الجمال السرمدي لرحمة الرحمن بأبهى كماله وبأجلى سطوعه في إعاشة جميع الصغار في العالم إعاشة خارقة، وفي احاطتهم بمنتهى الشفقة والحنان، بتسخير والداتهم لهم. ولكن هذا الفعل، فعل ارسال اللبن ان لم ينظر اليه بنظر التوحيد، لاختفى ذلك الجمال الباهر كلياً ولما ظهر قطعاً، إذ تحال تلك الاعاشة الجزئية كذلك الى الاسباب والمصادفة والطبيعة، فتفقد قيمتها كلياً بل تفقد ماهيتها.

ومثلاً: ما ان يُنظر الى الشفاء من مرض عضال، بنظر التوحيد يتجلى جمال شفقة الرحيم تجلياً باهراً كاملاً على وجه إحسان الشفاء

الى جميع المرضى الراقدين في المستشفى الكبير المسمى بالارض واسعافهم بأدوية ناجعة وإغاثتهم بعلاجات شافية تؤخذ من الصيدلية العظمى المسماة بالعالم. ولكن هذا الفعل الجزئي – منحة الشفاء – المتسم بالعلم والبصيرة والشعور إن لم يُنظر اليه بنظر التوحيد، فان الشفاء يسند الى خاصيات الادوية الجامدة والى القوة العمياء والطبيعة الصماء. فتفقد تلك المنحة الرحمانية ماهيتها وحكمتها وقيمتها كلياً)(١٣).

وفي مرحلة متقدمة من هذا التأمل والتفكير يقدم بديع الزمان هذه الدنيا باكملها مع جميع الموجودات التي فيها امام الانظار ويقدم جميع الافعال والاسماء والصفات والشؤون امام انظارنا:

(وانظر الى صور الحيوانات ولاسيما الانسان، تلك الصور البديعة الحكيمة، التي تتفتح من نطف جميع الحيوانات بتجليات إسمي «الفتاح والمصور» وتأمل في الوجوه الملاح لازاهير الربيع وهي في غاية الجاذبة المتفتحة من بذيرات متناهية في الصغر.. فشاهد الجمال المعجز، جمال الفتاحية والمصورية الإلهية.

وهكذا على غرار هذه الامثلة المذكورة، فان لكل اسم من الاسماء الحسنى جمالاً خاصاً به، جمالاً مقدساً منزهاً، بحيث ان جلوة من جلواته تجمّل عالماً ضخماً بكامله، وتلقي الحسن والبهاء على نوع لايحد. فكما تشاهد تجلي جمال اسم من الاسماء في زهرة واحدة، فالربيع كذلك زهرة والجنة كذلك زهرة لايراها النظر.

فان كنت تستطيع ان تنظر الى الربيع، كل الربيع، وترى الجنة بعين الايمان، فانظر وشاهد لتدرك مدى عظمة الجمال السرمدي)(١٤).

٥- الاسماء باجمعها في موجود واحد

بعد ان يوضح سلسلة التفكير التي تعرفنا بواجب الوجود، والتي تبدأ من الاثر وتمر من الفعل والاسم والصفة والشؤون، يعرض بديع الزمان امام انظارنا زاوية واسعة لمطالعة الكون كله من خلال مخلوق واحد، ويوجه انظارنا الى وحدة الافعال والاسماء المتجلية في كل مخلوق من المخلوقات التي تملأ هذا الكون، وان وراء ذرة واحدة شواهد ملء الكون:

(ان كل شئ في العالم، يسند جميع الاشياء الى خالقه.. وان كل اثر في الدنيا يدل على ان جميع الآثار هي من مؤثره هو.. وان كل فعل ايجادي في الكون يثبت ان جميع الافعال الايجادية انما هو من افعال فاعله هو.. وان كل اسم من الاسماء الحسنى الذي يتجلى على الموجودات يشير الى ان جميع الاسماء انما هي لمسماه هو.. اي ان كل شئ هو برهان وحدانية واضح، ونافذة مطلة على المعرفة الالهية.

نعم، انه مامن اثر، ولاسيما الكائن الحي، الا هو مثال مصغر للكائنات، وبمثابة نواة للعالم، وثمرة للكرة الارضية. لذا فخالق ذلك المثال المصغر والنواة والثمرة لابد ان يكون هو ايضاً خالق الكائنات برمتها، ذلك لانه لايمكن ان يكون موجد الثمرة غير موجد شجرتها.

لذا فـان كل اثر مثلمـا يُسند جـميع الآثار الى مـؤثره، فان كل فـعل ايضـاً يُسند جـميع الافـعـال الى فاعله. لاننا نـرى ان اي فعل ايجـادي كان، وهو يبـرز طرفاً من قـانون خلاقيـة يسع الكون كله ويمتـد حكمه وطوله من الذرات الى المجرات. اي ان مـن كـان صـاحب ذلك الفـعل الايجادي الجزئي وفـاعله لابد ان يكون هو ايضاً فاعل جمـيع الافاعيل التي تـرتبط بالـقــانون الـكلي المحــيط بالكـون الواسع من الـذرات الى الشموس.

فالذي يحـيي بعوضة لابد ان يكون هو المحيي لجميع الحـشرات بل جميع الحيوانات بل محيي الارض كلها.

ثم ان الذي يجـعل الذرات بجـذبة حب كـالمريد المولوي لابد ان يكون هو ايضاً ذلك الذي يحرك الموجـودات جميعاً تحريكاً مـتسلسلاً حـتى الشـمس بسـيـاراتهـا. لان الـقـانون السـاري في الموجـودات هو سلسلة – تشد جميعها بعضها ببعض – والافعال مرتبطة به.

بمعنى ان كل اثر يسند جميع الاثار الى مـؤثره هو، كما ان كل فعل ايجادي يسنـد جميع الافـعال الى فـاعله هـو. كما ان كل اسم يـتجلى على الكائنات يسند جـميع الاسـماء الى مـسمـاه ويثبـت انها جـميعاً عناوينه. ذلك لان الاسـمـاء المتجلية في الكون مـتـداخل بعـضهـا في بعض كالـدوائر المتداخلة والوان الضـوء السبعـة. كل منها يسـند الآخر ويمده، كل منها يكمل اثر الآخر ويزينه.

فمثلاً: ان اسم «المحيي» عندما يتجلى لشئ وحالما يمنح شيئا الحياة

يتجلى اسم « الحكيم » ايضاً فينظم جسد ذلك الكائن الحي الذي هو مأوى روحه، وفي الوقت نفسه يتجلى اسم « الكريم » فيزين ذلك العش والمأوى، وآنئذ يتجلى اسم « الرحيم » ايضاً فيهيئ حاجات ذلك الجسد، وفي الوقت نفسه يتجلى اسم « الرزاق » فيمنح ما يلزم ذلك الحي من ارزاق مادية ومعنوية ومن حيث لايحتسب، وهكذا...

اي: لمن يعود اسم « المحيي » فان له ايضاً اسم « الحكيم » الذي ينير الكون ويحيط به، وان له ايضاً اسم « الرحيم » الذي يربي الكائنات بالرحمة والشفقة. وان له ايضاً اسم « الرزاق » الذي يغدق على الكائنات.. وهكذا...

بمعنى ان كل اسم، وكل فعل، وكل اثر، برهان وحدانية، وختم توحيد، وخاتم احدية بحيث يدل على ان الكلمات التي هي الموجودات المسطورة في صحائف الكون وفي سطور العصور انما هي كتابة قلم نقاشه ومصوره جل وعلا)(١٥).

وحتى هذه الحقيقة التي ترينا جميع الموجودات وجميع الافعال والاسماء الالهية بعضها داخل بعض، مثلها في ذلك مثل الحقائق الكونية الاخرى، ليست الا تجلياً لاسم جميل من اسماء الله تعالى، وفي كتاب آخر يقول بديع الزمان عن هذه الحقيقة بانه (التجلي الاعظم لاسم الله « الفرد »)(١٦).

وتجلي « الاحدية » هو الذي يكمل تجلي اسم « الفرد »، ويعرّف واجب الوجود في كل موجود من الموجودات، ويعرّف بديع الزمان

« الاحدية » بانها تجلي اكثر الاسماء الحسنى في الشيء الواحد. اذ يقول:

(ان عظمة الربوبية الظاهرة في مجموع الكون، تثبت الوحدانية الالهية وتدل عليها، كما ان النعمة الربانية التي تعطي الأرزاق المقننة حتى لجزئيات ذوي الحياة، تثبت الاحدية الالهية وتدل عليها.

اما الواحدية فتعني: ان جميع تلك الموجودات ملكٌ لصانع واحد، وتتوجه الى صانع واحد، وكلها ايجاد موجد واحد.

اما الاحدية فهي: ان اكثر اسماء خالق كل شئ يتجلى في كل شئ.

فمثلاً: ان ضوء الشمس – بصفة احاطته بسطح الارض كافة – يبين مثال الواحدية، وان وجود ضوء الشمس وألوانه السبعة وحرارتها، وظلاً من ظلالها في كل جزء شفاف وفي كل قطرة ماء يبين مثال الاحدية. وكذا فان تجلي اكثر اسماء ذلك الصانع في كل شئ، ولاسيما في كل كائن حي، وبخاصة في كل انسان يبين مثال الاحدية)(١٧).

النتيجة:

وهذا البرهان يقودنا الى حكم ان « ان الكائنات الحية التي هي ثمرة شجرة الخلق ستتعين لديها ذات الهية واحدية ربانية وسيماء ربانية معنوية حسب صفاته السبعة، وتمركز للاسماء وتجلٍ للذات المخاطبة

بـ« اياك نعبـد واياك نستعين » . واذا قمنا بتلـخيص المراحل التي اوصلتنا الى هذا الحكم نستطيع ان نذكر:

١- ان قـمنـا باعـتبـار كل مـخلـوق من المخلوقـات التـي نراها اثراً، فسنرى وراءه فعلاً. فان شخصنا الفعل فسنطالع الاسم الذي وراء ذلك الفـعل، ثم نـفـهـم الصـفـات الموجـودة وراء ذلك الاسـم. ثم نصل الى « الشـؤون » التي هـي وراء تلك الصــفــات ، ثم نصـل الى تصــديق صـاحب تلك الاسـمـاء والصـفـات والشـؤون، والى تصـديق وجـوده ووحدانيته وجماله وكماله.

وقد تناولـنا في هذه المحاضرة لمعات بعض الاسمـاء، ولم ندخل في مـوضوع الصـفات والشـؤون، لان هذه المواضيع - ولاسـيمـا موضـوع « الشؤون » - دقـقت في رسائل النور وفصلت بشكل يسـتطيع القارئ لها ان يصل فيهـا الى مرتبة حق اليقين في الايمان، وهي مواضيع عـميقة وحساسة جداً، وتستوجب بحثها في محاضرات وفي كتب اخرى.

٢- ان الاسماء والصـفات لكونها تتجلى في كل مـخلوق كالدوائر المتداخلة بعضها في بعض فان من الافضل عدم محاولة فرز احداها عن الاخرى، بل النظر اليها ككل، ولكـن بشرط معرفة الفروق الدقيقـة فيما بينها وتذوق الغنى الموجود في التجليات وتدقيقها.

٣- لكي نسـتطيع مـشـاهدة جـمـال الاسـمـاء الحسنى وتجليـاتهـا اللامحدودة فعلينا تناول الافعال الجـزئية ضمن التجليات الكلية. اي ان نوسع زاوية نظـرنا، فنشـاهد في التـجلي الجـزئـي في مـخلوق واحـد، التجليات العامة في الكون لجميع امثال ذلك المخلوق.

٤- وعلى نفس الغرار فعلينا عندما نشاهد فعلاً في اثر ما، ملاحظة سلسلة الاسماء والصفات والشؤون في الاثر نفسه وفي الاثار الاخرى كذلك.

٥- والخطوة الاخرى التالية هي مشاهدة جميع الافعال الموجودة في الكون عندما نشاهد فعلاً في مخلوق واحد، ومشاهدة تجليات جميع الاسماء الحسنى التي تحيط بالكون من مشاهدة تجلٍ واحد في مخلوق واحد.

ان الانسان الذي يستطيع ان يصل الى هذا النوع من التفكير الذي لخصناه بخطوطه العريضة، يستطيع في ضوء القرآن مطالعة الكون ككتاب يجد اسماء وصفات ربه في كل شئ، ويكتشف مفتاح الطمأنينة الدائمية، ويستعمل الامانة التي حملها في مكانها الصحيح، فيصل الى سر مرتبة «احسن تقويم»، ويعلو على الملائكة، ويدرك الفضل الكبير الذي ناله عندما أُرسل الى هذه الارض المزينة بشتى انواع الفن والجمال كضيف عزيز.

لاشك ان الوصول الى رتبة التفكير هذا، والحصول عليها ليس سهلاً، فهو يستدعي تحصيلاً دائماً للعلم، ويحتاج الى مران مستمرٍ والى حساسية عازف الكمان الفنان الذي قال «ان لم اتمرن يوماً واحداً عرفت انا الفرق، وان لم اتمرن يومين عرف قائد الاوكسترا، وان لم اتمرن ثلاثة ايام عرف الجمهور الفرق»، هذه الحساسية يجب ان يبديها العبد المشتاق لربه في ساحة معرفة الله، ولكن الى جانب هذه الصعوبة فهناك اللذائذ المعنوية للجنة.

لذة معرفته والكون الى جانبه وفهم مايريد ان نفهمه... لذة كونه

مـخاطبـاً من قـبله، لذة ان يجـده في كل مكان وفي كل زمـان... لذة مناجاة رب العالمين.. هذا هو ماتدعو اليه رسائل النور.

الهوامش

١- سورة الانعام: ١٨٠، سورة الكهف: ١١٠، سورة طه: ٨، سورة الحشر: ٢٤.
٢- الترمذي، الدعوات ٨٣.

3. Bediüzzaman Said Nursî. Şualar, s. 84.
4. Bediüzzaman Said Nursî. Sözler, s. 503
5. Şuâlar, s. 9.
6. Bediüzzaman Said Nursî. Emirdağ Lâhikası, 1: 57.
7. Bediüzzaman Said Nursî. Mektubat, s. 306. Bkz. Bediüzzaman Said Nursî. Emirdağ Lâhikası, 2: 68-9.
8. Bediüzzaman Said Nursî. Kastamonu Lâhikası, 172.
9. Sözler, s. 283-4.
10. A.g.e., s. 58, 75, 588, 620.
11. Şuâlar, s. 137.
12. Sözler, 589-90.
13. Şuâlar, s. 7-9.
14. A.g.e., s. 62-3.
15. Mektubat, s. 309-10.
16. Bediüzzaman Said Nursî. Lem'alar, s. 304, 309.
17. Mektubat, s. 216. Bkz. Mektubat, s. 228; Şuâlar, s. 557; Sözler, s. 56, 275, 278, 529, 536, 553, 557; Hülâsatü'l-Hülâsa, 31. Mertebe.

صفاء مرسل

(باحث – كاتب)

ولد عام ١٩٤٩ في قضاء «طاواس» التابعة لمحافظة «دنيزلي»، اكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة هناك. وبعد ما اكمل دراسته الثانوية في مدينة «دنيزلي» التحق بكلية الحقوق في جامعة اسطنبول. تخرج منها عام ١٩٧٣. وبعد التخرج درس في الدراسات العليا لفترة من الوقت وفي عام ١٩٧٥ اصبح محامياً.

وهو يعمل حالياً محامياً حراً وكتب مقالات عديدة في الصحف والمجلات.

من مؤلفاته:

١– فلسفة الدولة عند بديع الزمان سعيد النورسي.

٢– بديع الزمان سعيد النورسي في ضوء الفكر والتاريخ السياسي.

٣– اين نحن من العلمانية؟

٤– الجمهورية التركية والقانون رقم ١٦٣ (*).

وله مؤلفات مشتركة مع غيره في مواضيع التربية والثقافة والسياسة.

(*) من المعلوم ان القانون رقم ١٦٣ يتعلق بمنع «استغلال الدين في اغراض سياسية» ومنع اي عمل او دعاية او نشاط لاقامة الدولة على اسس دينية. المترجم.

سلوك بديع الزمان سعيد النورسي
في العلاقات بين النظم والكتل السياسية

ربط بديع الزمان العلاقات الدوليةبالقيم الانسانية المشتركة. ويأتي الدين في رأس قائمة هذه القيم، فقد رأى ضرورة وجود تساند وتكامل بين الامم المنتسبة لنفس الدين، واشار الى امكانية الاستفادة حتى من اختلاف الاديان.

كان من الممكن جعل عنوان هذه المحاضرة «اراء بديع الزمان في السياسة وفي الدبلوماسية الخارجية»، ولكن تناول ارائه في العلاقات الدولية في اطار حوادث السياسة الخارجية اليومية، وفي اطار العلاقات الدبلوماسية لايكون اقتراباً جيداً لفهم هذا الموضوع. ذلك لان طراز

تناوله للمسائل يتجاوز حدود الاشارة الى كيفية التطبيق في الواقع العملي، لانه يتناول كل حادثة ضمن منظومة العقيدة ويضعها على اساس فكري.

ان نقطة انطلاقه في كل موضوع يتناوله هو مدى انسجامه او عدم انسجامه مع احكام الايات والاحاديث. والتفاسير التي يقدمها هنا تكون واسعة وغنية ومرشدة لكيفية التطبيق العملي. لذا فقد فضلنا اختيار مفاهيم اكثر عمومية وشمولية لعنوان المحاضرة . ونرى اننا بذلك استطعنا شرح كيفية تناول بديع الزمان – كعالم اسلامي معاصر – العلاقات بين النظم Systems والعلاقات بين الكتل السياسية من الناحية النظرية قدر تناوله لها من الناحية العملية والتطبيقية.

اي اننا لو اردنا لقلنا بايجاز بانه يجب تناول بديع الزمان ليس من جانب قيامه بتقييم الحوادث اليومية، بل ايضاً من جانب وضعه لقيم دائمية تكون اساساً ومقياساً للعلاقات الدولية. وهذه المحاضرة ستأخذ هذا المفهوم اساساً لها.

ان نظرته التي ابداها للعلاقات الدولية صادفت عهداً كانت الدنيا تعيش فيه تغيرات كثيفة وجذرية، اذ انه عاصر وشاهد بنفسه الحرب العالمية الاولى وانحلال الدولة العثمانية وتدهورها، وعاصر الثورة الشيوعية، وشاهد قيام الجمهورية التركية التي ابدى لها عن رأيه في الاسس والمفاهيم التي يجب عليها الاستناد اليها. وعاصر قيام الحرب العالمية الثانية والاعوام التي اعقبتها، والتي شهد فيها دخول تركيا الى

نظام تعدد الاحزاب. ولكنه لم يشاهد افلاس الشيوعية وانهيارها. لانه توفي قبل ثلاثين سنة من التاريخ الرسمي لانهيار الشيوعية وهو عام ١٩٩٠. ولكنه قال بوضوح وبعبارات لاتحتمل اللبس والغموض بان روسيا لن تستطيع العيش طويلاً مع النظام الشيوعي، وان الشيوعية محكوم عليها بالانهيار، وذلك قبل انهيار النظام باربعين او خمسين سنة. فقد رأى بكل وضوح ان هذا ليس عقيدة او مبدأ اقتصادياً فحسب بل هو نظام مؤسس على الالحاد، وقال ان روسيا لن تستطيع العيش دون دين (١)، وانها ستضطر الى الرجوع للدين. اما مجتمعات قفقاس الاسلامية - التركية التي وقعت تحت الضغط الشيوعي، فقد قال قبل خمسين عاماً انها ستنال حتماً استقلالها في يوم من الايام وكأنه يشاهد هذه الايام (٢).

اوضح بديع الزمان بان طبيعة العلاقات بين الامم اصبحت باتجاه (ان الحروب بين الامم تركت مكانها للحروب الطبقية)(٣). وهذه العبارة تثبيت لحقيقة تاريخية. ذلك لان العلاقات التي كانت موجودة حتى القرن التاسع عشر بين دولة ودولة وبين الدول تحولت اعتباراً من القرن العشرين الى الفروق بين الطبقات اولاً، ثم الى التنافس والنضال بين النظم المختلفة. اذ دخلت العلاقات بين الامم الى قيام الامم التي تملك نظرات ومذاهب مختلفة في الحياة بتشكيل تكتلات سياسية ودامت هذه العلاقات حتى القرن العشرين.

ان التطور التاريخي للعلاقات بين الامم يطرح امامنا سؤالاً حول الاسس التي ستستند اليها هذه العلاقات. وماهي العلاقات التي

تؤسس مع كل نظام وماهي درجة هذه العلاقة؟ والموضوع الرئيس لمحاضرتنا هذه سيكون ايراد اراء بديع الزمان في الاجابة على هذا السؤال.

تصنيف العلاقات بين الامم

يحاول بديع الزمان اقامة العلاقات بين الامم على القيم الانسانية المشتركة. ويأتي عنصر الدين في رأس هذه القيم المشتركة. فقد رأى ان على الامم المنتسبة الى دين واحد ان تتعاون فيما بينها وان تتكامل فيما بينها. وحتى ان كانت اديانها مختلفة، فان المفاهيم المشتركة بينها تؤمن نوعاً من التكامل، ويرى انه يجب الاستفادة من مفهوم التساند. فالامم المنتسبة الى الدين المسيحي، والامم المنتسبة الى الدين الاسلامي يجب ان يتعاونا ضد الالحاد وما ينتج عنه من التردي الاخلاقي والسياسي، ويعد هذا حجر الزاوية في اراء بديع الزمان في هذا الخصوص. فاذا تم النظر من هذه الزاوية، فبديع الزمان يقسم العلاقات بين النظم المختلفة والتكتلات السياسية المختلفة الى قسمين: احدهما العلاقات الموجودة بين امم الجامعة الاسلامية نفسها، والآخر هو العلاقات الموجودة بين العالم الاسلامي وبين الامم المنتسبة الى عقائد اخرى وافكار اخرى.

ويقسم بديع الزمان العلاقات مع الاوساط غير الاسلامية الى قسمين، ويأخذ ايضاً الدين كقسطاس في هذا القسم. فقد ميز بين

الامم المنتسبة الى احد الاديان، والتي تحترم العقائد من اهل الكتاب، وبين الامم التي لاتؤمن باي دين وتعادي الفكرة الدينية.

تحليل النظام الغربي

عندما يتحدث بديع الزمان عن العلاقة مع النظم غير الاسلامية، فانه يقصد بالاخص عالم الدين المسيحي الذي هو دين سماوي. وهو يعد الغرب ممثلاً للعالم المسيحي. ورأيه هذا لايعني انه يرى ان الغرب باجمعه متدين، ذلك لان تيارات فلسفية لها صفة الوضعية Positivism [أ] والعقلانية Rationalis [ب] وما ارتبط بهما من مفاهيم مادية بحتة انما نبعت من الغرب، لذا فهو يضطر الى تقسيم الغرب «يجب الا يكون هناك سوء فهم فان اوروبا على صورتين». «احداهما هي اوروبا صاحبة العلوم والفنون والعدالة والحق النافع للحياة الاجتماعية البشرية والتي اخذت فيضها من الدين المسيحي الحق».

اما «اوروبا الثانية» حسب تعبير بديع الزمان، فهي اوروبا البعيدة عن الدين وعن المفاهيم المعنوية، والمستندة الى ثقافة الفلسفة. ورغم وسائلها المادية المتطورة فان اوروبا الثانية لم تستطع إسعاد الانسان. وقلب الانسان الذي انشأه هذا النظام وعقله في عذاب معنوي وفي قلق رغم (تملّكه ثروة طائلة، وترفله في زينة ظاهرة خادعة)[٤]. ويعود الى بديع الزمان هذ الرأي القائل باستحالة سعادة الانسان

الغربي. فهو يرى ان اوروبا المنتسبة الى ثقافة الفلسفة بحالها هذه تُبعد الانسان والمجتمعات الانسانية من خواصها ومزاياها الحقيقية. ولاشك انه من الحقائق المشاهدة اليوم النتائج السلبية التي تصيب كل بلد يقع تحت تأثير الفكر الغربي.

ولم يعد مفهوم التنشئة على المنفعة الذاتية وعلى الجري وراء الرغبات الجامحة تحت الايحاءات الفلسفية والعقلية الصرفة، بعيداً عن الرقابة المعنوية للغرب، ضعفاً مقصوراً على الاشخاص، بل وصل الى ابعاد تهدد سلام العالم، ويرى بديع الزمان ان الحرب العالمية الاولى كانت نتيجة مثل هذا المفهوم، هذه الحرب التي انتجت وحشية تعادل جميع آثام وشرور القرون الماضية، وحسب تعبير بديع الزمان: «لقد تقيأت هذه الحرب وحشية القرون الاولى دفعة واحدة»(٥).

وكما ادت العقلية الغربية المستندة الى الفلسفة العقلانية الى الحروب، فان بديع الزمان يوجه انتباهنا الى النتائج الاخرى، ويحلل المدنية الغربية ضمن إطار اوسع، فمثلاً نراه يشرح رأيه عندما يُسأل لماذا يتناول المدنية الغربية بالنقد فيقول:

(ان المدنية الغربية الحالية لكونها تتصرف ضد اسس القوانين السماوية ترجح سيآتها على حسناتها واخطاؤها واضرارها على منافعها. ففسد الهدف الحقيقي للمدنية الذي هو سعادة الحياة الدنيوية وراحة البال العامة. ففي الحياة الاقتصادية تم اتباع طريق الاسراف والتبذير بدلاً من طريق القناعة والاكتفاء وطريق الكسل والخمول بدلاً

من طريق السعي وخدمة الاخرين وهذا جعل البشرية فقيرة جداً وكسولة جداً)(٦)

ويقول بديع الزمان ان «المدنية الحالية» التي تجعل الفرد يهاجم الفرد، والدولة تهاجم الدولة، قائمة على خمسة مبادئ سلبية، وهذه المبادئ هي: ان نقطة استنادها هي القوة، وهدفها الوحيد هو المنفعة. وهي تتخذ مفهوم الصراع اساساً للحياة، وتعد العنصرية هي العلاقة المشتركة بين الكتل الانسانية، وتسعى الى اشباع كل شهوات الانسان واهوائه (٧).

ان هذه المبادئ التي تبعد الانسان والمجتمعات الانسانية عن المفاهيم الايجابية، كالمشروعية والعدالة والاخلاق، وتجعل الانسان انانياً وشرساً، وجرت الانسانية الحالية لمشاكل مادية ومعنوية لاتستطيع حلها والخلاص منها.

ان استناد التام الغربي الحالي الى الاسس المذكورة اعلاه، اي الى طراز التفكير العقلاني Rasyonal قد أبعده عن طراز الحياة الذي دعت اليه الاديان السماوية والمتسمة بسمة التعاون والتساند والاقتصاد. وكانت النتيجة العملية لهذا الابتعاد ان الناس بدأوا يطمحون للحصول على ثروة ورفاه يزيد عن الجهود والخدمات التي يقدمونها.

وهذا هو الذي ادى الى انتشار سياسة استغلال الانسان (اي انتشار السياسة الاستعمارية): واستغلت الموارد والثروات المستحصلة

عن هذا الطريق في سياسة استهلاكية مفرطة تتسم بالاسراف، ولم تود هذا الى ازالة المحبة والاحترام بين الامم والشعوب فحسب، بل ادت الى الاخلال بتوازن توزيع الدخل والثروة. وبتعبير بديع الزمان فان مثل هذه العقلية قد افسدت السعادة الدنيوية والراحة العامة، اللتان كان من المنتظر ان تحققهما المدنية الحقيقية للانسان.

وقد آمن بديع الزمان بانه لايمكن علاج وانقاذ اختلال هذه التوازنات المادية والمعنوية الا بالعقيدة الاسلامية، وبطراز المعيشة في الفكر الاسلامي. ويدلل على هذا بالآيات الكريمة التي تقرر اهمية العمل والجهد الانساني وبضرورة عدم الاسراف في الاستهلاك، ويقول بانه لو تمت مراعاة هذه المبادئ فان الفروق الموجودة في المجتمعات واختلال التوازن بين الناس سيزولان (٨).

لاشك ان الانسان وانموذج المجتمع الانساني الناشئ في ظل المدنية الغربية بعيداً عن رقابة القيم المعنوية للدين، قد جلب معه مشاكله ايضاً. ان اختلال التوازن الاجتماعي الناشئ من مفهوم الاسراف في الاستهلاك ادى الى مشاكل عديدة والى اختلال التركيب البيئي والى مشاكل صحية للانسان. وهذه النتيجة أثر من آثار الانسان الغربي الذي تربى على الثقافة الفلسفية، فلم يعد يعرف حدوداً لرغباته ولشهواته، ونتيجة حتمية للمفهوم الذي يقول بان صاحب القوة هو الذي يجب ان يحكم ويسود.

ولان بديع الزمان لاحظ هذه النتيجة فقد وضع بعض الموازين والحدود الواقعية لتقييم الغرب. ومن هنا تولدت الحاجة عنده الى

تقسيم الغرب الى قسمين، فهو يقول بان من المستحيل قبول الغرب بجوانبه السلبية او تصويبه في ذلك. لانه يرى:

(لقد طرحت المدنية الحالية بثمانين بالمئة من البشرية الى اتون المشقة والشقاء، بينما السعادة عبارة عن سعادة الكل او سعادة الاكثرية. ان القرآن الذي هو رحمة للعالمين لايقبل الا بمدنية السعادة للجميع، او في الاقل لاكثرية الناس)(٩).

وبالنسبة لبديع الزمان - الذي يحلل النظام الغربي من هذه الزاوية - فان الرفاه يؤمن للاقلية فقط في النظام الرأسمالي، بينما تترك الاكثرية دون اشباع حاجاتها مع ان رغباتها قد اثيرت وتم تهييجها. ويقول حول مفهوم العيش في الطراز الغربي:

(لما كان السعي والعمل لايكفيان لمواجهة المصاريف فقد تم التوجه الى الحيلة والى الحرام، ومن هنا فسدت الاخلاق. وفي مقابل الثروة والفخفخة التي يعطيها هذا النظام للجماعة وللنوع الانساني، فقد جعلت الفرد فقيراً وذا اخلاق فاسدة)(١٠).

ان هذه النظرة الغربية للدنيا التي وضعت الانسان في مواجهة حاجات لايستطيع الحصول عليها بسعيه وبعمله، جعلته شخصاً منسحقاً تحت اعباء الحياة، يلهث لاشباع هذه الحاجات دون الاهتمام بموازين الحلال والحرام او عما اذا كان عمله شرعياً ام غير شرعي. والحقيقة ان هناك حاجة ماسة لمفهوم حياة يستطيع فيها الانسان ان يشبع حاجاته بسعيه وعمله وبالطرق المشروعة. ولان المدنية الغربية

المستندة الى الفلسفة لم تستطع اقامة هذا التوازن، بل قامت باثارة وتهييج مشاعر الانسان في هذا الموضوع، فقد ساقت الحياة الاجتماعية نحو الخلل ونحو حرب الطبقات والى انشاء العداء بين الرأسمال وبين العمل، واخيراً الى الهزات والحروب بين الامم.

ومن اجل هذه الصفة وهذه الخصيصة فان المسلمين ينظرون ببرود الى النظام الغربي، ويرون صعوبة في قبوله كما يقول بديع الزمان. اذ لايمكن قبول مدنية ترجح فيها اثامها وسلبياتها على جمالها وعلى خيرها. وقد ادت هذه النظرة للمدنية الغربية الى شقاء الانسانية وبؤسها بالحربين العالميتين اللتين اثارتهما. ويرى ان الاسلام هو وحده الذي يستطيع تأمين بيئة نقية ترجح فيها اوجه الجمال للمدنية، ويصل فيها الانسان الى سلام عام والى رفاه عام (١١).

موضوع التكامل

اشار بديع الزمان الى استحالة قبول المسلمين لمفهوم مدنية تدفع بمبادئها الانسانية الى الحرب والى الفقر والى الازمة الاخلاقية، ونظراً لوجود هذه الفروق الاساسية بين النظامين، فلايمكن ابداً امتزاجهما، وهو يرى انه لم تتوحد حتى الآن فلسفة روما مع الفكر اليوناني توحداً كاملاً، وبالرغم من انتسابهما الى المدنية نفسها، ورغم جهود الديانة المسيحية، فقد بقيت الفلسفة الرومانية منعزلة عن الفكر اليوناني، ولاتمتزج معه، كمثال الماء والنفط، لذا رأى بديع الزمان استحالة تكامل وتوحد الدين الاسلامي مع النظام الغربي (١٢).

اما بعض المثقفين الذين تركوا وجهة النظر الاسلامية الى وجوب اخذ اماكننا ضمن المدنية الغربية، فان بديع الزمان يقدم الاسباب المذكورة اعلاه لشرح استحالة هذا الامر.

ولكن يجب الاشارة الى ان بديع الزمان عندما شرح استحالة توحد وتكامل مدنية الاسلام مع المدنية الغربية، رأى امكانية اقامة الحوار بينهما، ولاسيما في القرن العشرين الذي اتخذت فيه الشيوعية انكار الالوهية كتيار ايدولوجي، والتي تسعى عن طرق سياسية وثقافية لنشر هذا الالحاد في العالم وتهديد البشرية باجمعها، لذا فمن الضروري على منتسبي الاديان السماوية إقامة الحوار فيما بينهم. ومن اجل تحقيق هذه الغاية راى ضرورة اجراء حوار ذي طابع سياسي يؤمن الثقة بين الطرفين ويؤدي الى توحيد جهودهما.

ويرى بديع الزمان ان الحاجة للتعاون وللتساند مع العالم الغربي ضد الالحاد وانكار الالوهية لاتنبع فقط من العالم الاسلامي، فالتعاون مع العالم الاسلامي ضروري للعالم الغربي بنفس الدرجة، ويجب الا ينظر الى هذا التعاون من زاوية المنافع الاقتصادية والسياسية فقط. فالتسيب الموجود في ساحة الاخلاق والايمان والقيم المعنوية يجبر منتسبي كلتا هاتين المدنيتين المختلفتين الى اجراء حوار ايجابي مع بعضهما، ولعل هذا اكثر اهمية من التعاون الاقتصادي او السياسي. وعند شرحه لماذا يجب على الغرب تأييد الاتحاد الاسلامي يشرح خصائص كلا النظامين:

(هناك حل واحد فقط ضد الالحاد والزندقة والفوضى والمادية التي تعد اكبر خطر في هذه الايام. وهو الاعتصام بالقرآن وبحقائقه. والا فان هذه المصيبة البشرية (اي الشيوعية) التي حولت الصين الى الشيوعية في زمن قصير لايمكن اسكاتها بالقوة السياسية والمادية. الحقائق القرآنية وحدها هي التي تستطيع اسكاتها. كانت الدول المسيحية في السابق لاتؤيد هذا الاتحاد الاسلامي. اما الآن وبعد ظهور الشيوعية والفوضى، فان على الولايات المتحدة الامريكية وعلى الدول الاوروبية ان تكون مناصرة ومؤيدة للقرآن وللاتحاد الاسلامي) (١٣).

ان النظرة التي تحصر العلاقات مع الدول الاسلامية بتأمين البترول فقط لم تعد نظرة صحيحة او كافية. ذلك لان الغرب قد يكون في حاجة الى الفكر الانساني والاخلاقي والمعنوي اكثر من حاجته الى البترول. اما البيئة المعنوية التي يمكن اشباع هذه الحاجة منها فلا توجد الا في الاسلام.

ان المجتمعات الغربية التي بدأ فيها نظامها الاجتماعي وبنيتها العائلية وشخصية الفرد فيها تتجه نحو الانحلال والتفسخ، في حاجة الى مصدر لقوة معنوية وفكرية حاجة ملحة جداً.

ومن السهل مشاهدة التحلل الاجتماعي المتسارع في الولايات المتحدة الامريكية التي تعد في المقدمة من ناحية النظام الاجتماعي والاقتصادي، وذلك بسبب من فقر الناحية المعنوية وعدم كفايتها. ويؤكد بديع الزمان باصرار على قيام الغرب بالاستفادة من الاسلام.

وهذا سيكون محور حوار بين كلا النظامين. ان مثل هذا الحوار الذي سيتحقق على اساس من فكرة التوحيد، لا يأتي بمعنى التكامل مع النظام الغربي دون قيد او شرط.

فاذا كان موضوع التكامل بين الاديان مطروحاً فان على الدين المسيحي اولاً الشعور بمثل هذه الحاجة. والعبارات التالية تعطي وضوحاً كافياً لهذه الناحية: (ان الدين المسيحي اما ان ينطفئ او يقدم استقالته اي عليه في الحالتين ترك سلاحه ضد الاسلام. لقد تمزقت المسيحية عدة مرات وانتهى بها المطاف الى البروتستانتية. وتمزقت البروتستانتية واقتربت من التوحيد. وهي على ابواب تمزق آخر. فاما ان تخمد وتنطفئ او تجد امامها حقائق الاسلام التي تتضمن كل اسس المسيحية الحقة فتستسلم لها. والى هذا السر العظيم اشار الرسول ﷺ: «سينزل المسيح وسيكون من امتي وسيعمل بشريعتي»)(١٤).

وبعبارات اخرى يشير الى ان العالم الغربي هو الذي يحتاج للتساند مع الاسلام والتكامل معه فيقول:

(ان الدين الاسلامي وحده سيكون في المستقبل الحاكم الحقيقي والمعنوي على القارات، وسيقود البشرية نحو السعادة الدنيوية والاخروية. اما الدين الحقيقي للمسيحيين الذين يتخلصون من الخرافات فهو الاسلام، اذ سيكونون تابعين للقرآن ومتفقين معه).

والخلاصة انه لايمكن حدوث التكامل ضمن الغرب بترك الهوية الاسلامية، ولكن يمكن ان يكون منتسبو النظامين ضمن حوار معين

باحتفاظ كل منهما بهويته الخاصة. والاسباب الموجبة لهذا الحوار هو الحاجة الى توحيد الجهود ضد تيارات الالحاد. ودافع بديع الزمان عن عدم التهرب من العلاقات التي سيقتضيها هذا الحوار. ويقول استناداً الى معاني بعض الاحاديث الشريفة بان العالم المسيحي سيتبنى عقيدة الاسلام في سبيل نشر عقيدة التوحيد، لذا فيجب الاحتفاظ بباب الحوار مفتوحاً (١٥).

النظام الماركسي وتحليل الشرق

مثلما يقوم بديع الزمان بتوضيح العلاقات مع العالم الغربي ضمن اطار العقيدة فانه يتناول الشيوعية التي تحكم الكتلة الشرقية من الزاوية نفسها. ذلك لان هذه النظرة الشيوعية ليست الا امتداداً ونتاجاً للنظرة الفلسفية المادية والعقلانية لما يسميه بديع الزمان باوروپا الثانية.

لقد قام بديع الزمان بتحليل الشيوعية (التي هي التطبيق الواقعي للماركسية) من الناحية العقائدية ومن ناحية تأثيرها على البنى الاخلاقية والاقتصادية والاجتماعية. ان هذه النظرة العالمية تقبع في قاعدتها فكرة مناقضة لعقيدة التوحيد، لذا فان هناك حاجة لتساند دولي، ولتوحيد القوى للوقوف امام انتشار هذه النظرة التي تستخدم الدعاية لانتشارها. بل رآى ان هناك حاجة حتى الى توحيد جهود المبشرين ورجال الدين المسيحيين مع المسلمين في هذا الموضوع. وهو يشرح اسباب كون هذا التعاون ضرورياً كما يلي:

(لاشك ان تيار الشمال (يعني الشيوعية) لكي يدافع عن نفسه ضد هجوم الدين الاسلامي والدين المسيحي، فانه سيحاول ضرب الاتفاق بين الاسلام والمبشرين. وسيحاول خداع وجذب بعض المسلمين الى جانبه بادعاء انهم بجانب الجماهير وانهم يدعون الى وجوب الزكاة والى تحريم الربا والى قيام البرجوازيين لمساعدة عوام الشعب والابتعاد عن ظلمها)(١٦).

يجب تقييم هذه الاراء في ضوء سنوات الخمسينيات التي كانت الشيوعية تبذل فيها جهوداً مكثفة للانتشار في العالم. فالحقيقة ان اهم نقطة استناد للشيوعية في اثناء محاولة الانتشار وتهديد العالم، هي تظاهرها بانها تدافع عن المصالح الاقتصادية للجماهير الفقيرة. ومع ان هذا النظام افقرت جماهيرها في النهاية، وجعلتهم جياعاً ينتظرون الساعات الطويلة في طوابير الخبز، الا انه استطاع في الواقع استثمار واستغلال الفقر والبؤس في تلك السنوات، ونجح في اثارة التناقض الطبقي بعض النجاح، وهذا شئ لايستطيع احد انكاره. وقد بدت هذه الدعاية الشيوعية جذابة للبعض في العالم الاسلامي، لذا رأينا بعض الحكومات التي تعاونت مع الكتلة الشرقية من الناحية السياسية والاقتصادية والثقافية.

وقد اكد بديع الزمان في حينه ان النظام الماركسي لايمكن اسعاد الانسان لامن الناحية المادية ولامن الناحية المعنوية، لذا يجب عدم الالتفات لا الى دعايته ولا الى محاولات استثماره واستغلاله البؤس

والفقر. وشرح في مؤلفاته بشكل مفصل ان الاسلام اهتم بالفقراء وبالمحافظة عليهم، لذا يجب عدم الانخداع بالشيوعية التي تبذل مساعيها لجمع الانصار لها. وقد اثمرت محاولات تنبيهه هذه فلم تأنس الجماهير المسلمة بالشيوعية ابداً، ولم تطمئن اليها باي شكل من الاشكال.

وقد رآى بديع الزمان في محاولات التوسع الشيوعي الصادرة عن الاتحاد السوفيتي اهمية اضافية بالنسبة لتركيا، لانه يرى ان روسيا تحمل خصومة لتركيا وللعالم الاسلامي منذ ألف عام، واصبحت الشيوعية عندها وسيلة جديدة لزيادة هذه الخصومة وقلبها الى حالة تحفز للهجوم وللاعتداء. وما كانت محاولات مطالبتها ببعض اراضي تركيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية الا بعثاً واحياءً لسياسة التوسع السابقة. اذ ظهرت الشيوعية بشعاراتها الايدولوجية الجديدة كسلاح لهذه السياسة التوسعية، وكوسيلة لتخريب معنويات الجماهير. ويمكن القول بان الشيوعية استطاعت بترتيب بعض الانقلابات وباحتلال بعض البلدان في اوروبا، وفي آسيا وفي الشرق الاوسط في تواريخ معينة من تسجيل بعض النجاح . واشار بديع الزمان الى هذه الحقيقة ولكنه قال بان الشيوعية رغم كل جهودها المحمومة لم تستطع الوصول الى النجاح النهائي في تركيا، وذلك بسبب المقاومة المعنوية التي اكسبتها العقيدة الاسلامية والفكر الاسلامي لجماهير الشعب. وهو يعبر عن رأيه هذا كما يلي:

(لقد كان من المنتظر ان تعتدي روسيا علينا قبل اعتدائها على امريكا وعلى الانكليز بمقتضى عداوتها لنا منذ ألف عام، ولاشك ان الحقائق القرآنية والايمانية تستطيع بناء سد قرآني قوي كقوة سد ذي القرنين تقف امام الالحاد وامام الاعتداء، لذا يجب ان يُعمل مثل هذا السد فهو ضروري ولازم، ذلك لان الالحاد استولى على روسيا الآن، وعلى نصف الصين وعلى نصف اوروپا، ولكن الحقائق القرآنية والحقائق الايمانية هي التي اوقفت اعتداء هذا الالحاد)(١٧).

هذه العبارات تشرح بوضوح كيف يقوم الشعور الديني بمقاومة معنوية ضد التخريب المعنوي للشيوعية. وهو يشير الى ان التدابير القانونية والمادية لاتكفي ابداً في مواجهة هذا النظام. وقد حاول بكل جهده وبكل وسيلة لنقل رأيه الى مسؤولي ذلك العهد بان مواجهة التخريب المعنوي والاخلاقي النابع من الشيوعية لاتكون الا بتدابير تربوية جذرية.

لم ينظر بديع الزمان الى الشيوعية كنظام سياسي واقتصادي فحسب. فعندما عرّف هذا التيار قال انه (تيار الكفر المطلق الآتي من الشمال)(١٨). وتناول نظام الفكر الماركسي كنظام متكامل يقوم في اساسه على إنكار القيم المعنوية. اذ ذكر ان الشيوعية ليست مسألة اقتصادية ومادية، بل هي حركة تحاول ابعاد جميع مظاهر الحياة واوجهها عن القيم المعنوية. لذا رآى في العالم المسيحي مناصراً وحليفاً طبيعياً في النضال ضد هذا التيار، نظراً للاتفاق المشترك حول الايمان بالله. ودافع عن ضرورة النضال المشترك ضد هذا التيار.

ونظرته حول استحالة بقاء الانسانية دون دين لمدة طويلة تنطبق على منتسبي النظام الشيوعي كذلك. اذ اشار في الخمسينات ان روسيا التي تبذل مساعيها لتطبيق النظام الشيوعي لن تستطيع البقاء طويلاً بعيداً عن الدين فهو يقول:

(نتيجة للوعي القومي الذي اكتسبته البشرية بعد حربين عالميتين مفجعتين، ونتيجة انتباهها تماماً، فلا يمكن لاية امة ان تعيش دون دين، ولايمكن ان تبقى روسيا ايضاً دون دين، كما لايمكن ان ترجع الى المسيحية، وليس امامها الا المصالحة مع القرآن الذي حطم الكفر المطلق والذي يستند الى الحقيقة والى الدليل والحجة، والذي يقنع العقل والقلب، او الانقياد له)(١٩).

ولايمكن إنكار ان عامل الدين كان على رأس العوامل التي ادت الى تفكك روسيا الشيوعية سنة ١٩٩٠ والتي كانت تتألف من خليط من الامم. لقد اضطر الاتحاد السوفيتي الى ترك النظام الشيوعي الذي ادى الى تأخر الحياة الاجتماعية بجميع اتجاهاتها، والى ضعف الاقتصاد وعقم السياسة. والبحث عن هوية جديدة. واضطرت روسيا في المرحلة الاولى – كما توقع بديع الزمان – الى التصالح مع الاديان، ولاسيما التصالح مع القرآن، والى قبول هذه الاديان. ولم يتناول بديع الزمان الشيوعية من زاوية الحياة الدينية فقط، بل قام بتحليل هذا النظام من الناحية الاجتماعية والاقتصادية. فهو يرى ان النظام يهمل حقيقة الانسان وحقيقة المجتمع، لذا فقد اضطر لاستعمال طريقة الضغط والقوة. ويشرح الجو الذي يستطيع ان يعيش فيه هذا النظام فيقول:

(نظراً لان الاشتراكية بدأت بتخريب بعض المقدسات، فقد إنقلب الفكر الذي كانت تبشر به فيما بعد الى البلشفية. ولما كانت البلشفية قد افسدت الكثير من المقدسات الاخلاقية والقلبية والانسانية، فكان من المحتم ان تحصد ما زرعته، وان تلد الفوضى التي لاتعرف اي قيد ولا اي احترام لاي شئ. ذلك لان القلب الانساني ان خلا من الاحترام ومن الرحمة فان العقل والذكاء سيقلبان الانسان الى وحش كاسر غدار، حيث لايمكن قيادة باللين وبالحسنى. اما مكان وموضع الفوضى فهو في القبائل المتسيبة المظلومة وذات الاعداد الكبيرة، والمتأخرة من ناحية المدنية والقوة)(١٩).

وبديع الزمان الذي يذكر ان الشيوعية التي لاتعترف باية قيمة معنوية ستلد الفوضى، يقول بان مثل هؤلاء الناس الذين ينشئهم اي نظام لايمكن ان يجدوا لهم مكاناً في اي مجتمع مدني يحترم قيم الحق والرحمة والاحترام، بل في القبائل البدائية المتأخرة البعيدة عن المدنية، والبعيدة عن مفهوم الدولة المرتبطة بالقانون.

وبسبب من هذه الماهية للشيوعية، فقد رأى انها بعيدة عن فطرة الانسانية باجمعها وانها لاتملك اية قابلية للتطبيق. وقد اثبت تطور الحوادث حتى يومنا الحالي، بان الشيوعية المستندة الى قاعدة ماركسية لايمكن ان تجد انصاراً لها، ولا ان تترسخ في اية مجتمعات ترغب في حياة انسانية ومدنية. وبعد مرور خمسين عاماً على آراء بديع الزمان هذه اضطروا لترك الشيوعية. هذه الشيوعية التي دُفنت في التاريخ بعد

ان تركت وراءها ظلماً كثيراً وكبيراً، وبعد ان سلبت حق الحياة من ملايين الناس، وبعد ان هدمت بيدها دنياها التي اقامتها على الخوف والتهديد. وكما توقع بديع الزمان فلايمكن لها الظهور مرة اخرى في المجتمعات المدنية بل ربما في القبائل البدائية البعيدة عن المدنية.

العلاقات بين البلدان الاسلامية

ان بديع الزمان الذي يعتبر الاشتراك في العقيدة مع الديانات السماوية الاخرى اهم سبب في الحوار بين الامم، يتناول ايضاً العلاقات بين الامم الاسلامية التي تنتسب الى العقيدة نفسها، ويتناول الاسس التي توجه هذه العلاقات.

تناول بديع الزمان في كتبه ومنذ اوائل القرن العشرين، الاسباب والعوامل التي ادت الى تأخر العالم الاسلامي والى فقره في العصور الاخيرة بالتفصيل وكيفية التغلب على هذه العوامل. فهو يعدد الاسباب التي أبقت المسلمين – حسب تعبيره – في ظروف احوال «القرون الوسطى»، ويرشد الى طريق الخلاص.

١ – المبادئ التي توجه العلاقات:

نعتقد بان من المناسب تسمية العناصر التي تدفع العالم الاسلامي الى الحركة من الناحية المادية والمعنوية وتنميه، وتفتح امامه طريق النهوض والتقدم بـ«العناصر الديناميكية المادية والمعنوية للعالم

الاسـلامي». واذا كان لـنا ان نسمي المبـادئ التي تؤمن نهـوض العـالم الاسلامي، ورفاهه وتقـدمه من الناحية المادية والمعنوية فـاننا نستطيع ان نضع العناوين الرئيسة التالية:

اعتبار الدين نقطة استناد فوق كل شئ.

التمسك بروح الاتحاد الاسلامي الذي يعد حجر الاساس لاتحاد ولتساند المسلمين.

التزام نظرة الحياد والحرية.

الاتجاه نحو العلوم والصناعة كشرط للنهوض المادي.

التزام مفهوم تربية واقعية ومناسبة لفطرة الانسان.

بعث الحيوية في اسلوب وطريقة الشورى.

هجر اليأس وتناول الحوادث بالامل وبروح معنوية عالية.

تشكيل رأى عام واعٍ مناصر لقضاياه.

فاذا جـمعـنا هذه المبادئ كـعناوين، وقمنا بشـرحهـا من وجهـة نظر بديع الزمان فمن الممكن بل من الضروري تقديم التقييمات التالية.

٢- كون الدين نقطة استناد:

يلعب الشـعور بالانتـماء الى العـقيدة نـفسهـا والى الدين نفـسه في العـلاقات بين البـلدان الاسلامـيـة دوراً حيـوياً جـداً، كمـا هو دأبه في جمـيع المجالات، ويعـتقـد بديع الزمان بان الشـعور بالانتمـاء الى الدين

نفسه يشكل قوة استناد لايمكن مقارنتها باي شئ آخر. ويرى ان شعور الانتمـاء الى دين واحـد يعد من اكـبـر العـوامل الايجـابيـة بين البلدان الاسـلاميـة، بما يؤمنه من قـوة معنوية ومن تسـاند. وهو يبين بان العـالم الغربي قد استفاد من هذا الشعور لعدة عصور استفادة كبيرة.

وبديع الزمـان يشـرح كيـف اغتنت اوروپـا وتقدمت، فـيـربط ذلك بسـببين مهمين، احدهمـا عدم كفاية البنيـة الجغرافيـة والطبيعيـة لنفوس اوروپا، مما دفع الانســان الغـربي الى بذل المزيد من الجــهـود والنشـاط لاشبـاع حاجاته. اما السـبب الثاني الذي ادى الى تقدم الغرب ورقـيه، فهو الشعـور بالانتماء الى العقيـدة نفسها، وما افرزه من شعـور بالتعاون والتسـاند. وقـد استـفـادوا من هذا الـشـعـور فـوصلوا الى كل ارجـاء الارض، وحـصلوا على امكانيـات مادية كـبيـرة. لذا يرى بـديع الزمـان بان على المسلمين ايضـاً الاستفـادة من خصلة كون الدين نـقطة استناد فيقول:

(ياهل الاسـلام! ان نقطة استنادكم امـام المصـائب والدواهي التي القت بثقلـها التي تعادل ثقل الكرة الارضـية على العـالم الاسلامي هي الدين الاســلامي الذي يأمــر بالمحـبــة والاتحــاد وبالعلـم وبالاخـوة والتعاون)(٢٠).

وبديع الزمـان الذي يذكر بان الدين الاسـلامي اكبـر دعامـة واكبـر سند للعـالم الاسـلامي، يكرر في كل مناسـبة بانـه ما من فكرة اخـرى، وما مـن مبدأ آخـر يمكن ان يكون مـرشداً للعـالم الاسلامي، او دعـامة

وسنداً له. فهو يرى ان فطرة الانسان الشرقي وبنيته مفتوحة للفكر الديني ومتعودة عليه. ونرى وجهة نظره هذه في المقالة التي كتبها سنة ١٩٠٩ حيث يقول:

(ان القوة الدافعة لانسان هذا البلد هي الدين. ان نور الاسلام وحده هو الذي يساعد على انبات الزهور في بساتين روملي والزروع في سهول اسيا وافريقيا)(٢١).

وكرر وجهة نظره هذه عام ١٩٢٢ اي قبيل تأسيس الجمهورية التركية وبعد الخلاص الوطني، وذلك كمبدأ اساسي عام ينطبق على كل مجتمع اسلامي فقال:

(ان ظهور معظم الانبياء في الشرق ومعظم الفلاسفة في الغرب اشارة من اشارات القدر الازلي بان الدين والقلب هما عاملا نهوض الشرق وليس العقل والفلسفة. لقد نبهتم الشرق فاعطوه تياراً موافقاً لفطرته والا ضاع سعيكم هباءً منثوراً او تكون نتائجه مؤقتة وسطحية)(٢٢)

هذه العبارات التي توضح بان العقيدة الاسلامية والمبادئ الاسلامية هي وحدها المبادئ المناسبة والملائمة لمجتمعات الشرق، وهي موضع ودعامة قوتها. كما تشير هذه العبارات في الوقت نفسه الى حقيقة اجتماعية، فحسب هذه الحقيقة فان الدين يجب ان يكون نقطة استناد لجميع العلاقات الموجودة بين المجتمعات الاسلامية. والشرط الضروري لكي تصل المجتمعات في الشرق الى النتائج المرجوة هو اعطاء الاهمية اللازمة للشعور الديني.

٣- الوحدة الاسلامية:

يرى بديع الزمان ان قلب فكرة الوحدة الاسلامية الى واقع عملي واجب في اعناق المسلمين لايمكن اغفاله او اهماله. وهو صاحب اقتراحات مثيرة للانتباه حول كيفية تأسيس الوحدة والتساند بين المسلمين.

يشرح بديع الزمان مدى وجوب الوحدة والتساند بين المسلمين واهميته فيقول:

(ان افرض فريضة في هذا الزمن هو تحقيق الاتحاد الاسلامي وان غاية وهدف هذا الاتحاد هدف كبير ومتشعب جداً بحيث انه يهز سلسلة نورانية تربط جميع المعابد الاسلامية الموجودة في المراكز الاسلامية وفي المحيط الاسلامي ويدفعها نحو طريق الرقي بباعث وجداني.

ان سمة هذا الاتحاد هي المحبة. اما الخصومة فيجب توجيهها نحو الجهل والفقر والنفاق. وليطمئن غير المسلمين فان اتحادنا موجه لمكافحة هذه الآفات الثلاثة. اما اسلوبنا في التعامل مع غير المسلمين فهو اسلوب الاقناع، ذلك لاننا نعرف انهم اشخاص متمدنين وغايتنا ان نظهر لهم كيف ان الاسلام محبوب وسام)(٢٣).

ويظهر مدى شمولية مفهوم الوحدة الاسلامية والاهمية التي يعطيه لها من هذه العبارات بشكل واضح. وعندما يقول عن هذه الوحدة بانها «افرض واجبات هذا الزمن»، فانه يرمي من ذلك الى انتشار

جمال الاسلام بين المسلمين، وان تكون وسيلة للمسلمين لكي يعيشوا هذا الجمال . ويرى ان هذه الوحدة ستلعب دوراً مهماً وايجابياً في النهضة المادية والمعنوية.

لكي تكون وحدة المسلمين وحدة صحيحة وباقية فيجب اولاً البحث عن شعور المحبة، يجب الا يوجه شعور البغض والكراهية الا الى الجهل والفقر والفرقة. ولو تم السير في هذا السبيل لما احس غير المسلمين بخوف لاداعي له من الاسلام ومن المسلمين. ولو تم توجيه الانظار الى مدى جمال الاسلام، والى جوانبه السامية لاصبح في الامكان تأسيس حوار ايجابي بين المسلمين وغير المسلمين، بل يمكن حتى جلبهم الى الاسلام.

ويقول بديع الزمان بان العناد في العالم المسيحي المتعصب – لكونه لايعرف وجهة نظر الاسلام الصحيحة في هذا الامر – سوف ينكسر في نهاية المطاف، لان المعرفة ومحاسن المدنية ستساعدان على ازالة التعصب، اي كلما زاد الشعور المدني ونما زادت امكانية رؤية الحقائق، وزاد التسامح والتفاهم. ومع انه لايمكن الادعاء بان مثل هذا الفهم قد قطع مسافة كبيرة، الا ان الانتقال من سياسة العبودية وسياسة الاستعمار الى الوضع الحالي يجب ان يعد تطوراً ايجابياً.

وهناك موضوع آخر، وهو الحاجة الى اظهار الاسلام بشكل محبوب وسامٍ، ولاسيما انه يلاحظ حالياً ظهور مشاعر سلبية في الراي العام الغربي بكل سهولة ودون اي سبب عندما يرد ذكر الاسلام، ومن هنا

يظهر مدى اهمية افكار بديع الزمان حول وجوب اظهار الاسلام بشكل محبوب وبذل الجهود لتحبيبه للآخرين. وليس هناك اي داعٍ للخوف من دين له القدرة على الاضافة حول مفاهيم جميلة كمفاهيم الاخلاق والسلام والرفاه للانسانية جمعاء. ولن يأتي اي ضرر لاي انسان من اجتماع وتوحد المسلمين الذين يحملون مثل هذه العقيدة. وقد بذل بديع الزمان جهوده لشرح ولبيان هذا الامر، فنراه يقول مثلاً حول هذا الموضوع:

(لقد كانت سياسات الانجليز والفرنسيين والامريكيين ومصالحهم هي في الوقوف ضد هذا الاتحاد. اما الآن فان سياستهم ومصالحهم ليست متناقضة معه. بل يمكن القول انها تحتاج اليه. ذلك لان الشيوعية والماسونية والالحاد لاتؤدي الا الى الفوضى وليس هناك من شئ يستطيع ان يقف في وجه هذا التخريب المذهل سوى اتحاد اسلامي مستند الى الحقائق القرآنية)(٢٤).

فاذا اخذنا بنظر الاعتبار كيف ان الشيوعية الروسية - التي انتهزت فرصة ضعف البلدان الاسلامية نتيجة تمزقها وتشتتها - اخلت بالامن والاستقرار في منطقة الشرق الاوسط لاعوام طويلة، علمنا مدى صواب الاراء الواردة اعلاه. ان الشيوعية التي لم يُسمح لها بالتغلغل في الشرق الاوسط كان من الممكن الحيلولة دون انتشارها بسهولة في الاماكن الاخرى. ولو فشلت الشيوعية في الدخول الى العالم الاسلامي لما كانت هناك اهمية كبيرة لتواجدها في اماكن اخرى. لقد

استغلت الشيوعية تشتت العالم الاسلامي وتفرقه لكي تجد فيه وفي البلدان الاخرى موطئ قدم وموضع انتشار وتوسع، ونجحت في ذلك بعض النجاح. والوحدة الاسلامية كانت ضرورية لمنع هذا.

ولبديع الزمان اراء ومقترحات حول الوحدة الاسلامية قابلة للتنفيذ وللتطبيق في الظروف الحالية لعصرنا. فهو يرى ان الخطوة الاولى في هذا المجال هو معرفة كل مسلم الاسلام حق المعرفة وقيامه بتطبيقه على نفسه في جميع شؤون حياته.

وهو يرى ان احدى النتائج الايجابية لتوحد المسلمين وتكاملهم، هو تشكل راى عام يعرف قضاياه ومسائله حق المعرفة، ومتوجه نحو نفس الغايات ونفس المبادئ. ويشير الى ان هذا يحصل بالمعرفة فهو يقول: (الوحدة لايمكن ان تكون بالجهل. الوحدة هي امتزاج الافكار، ويحصل امتزاج الافكار نتيجة الشرارة الكهربائية للمعرفة)(٢٥).

اذن فالوحدة تقتضي اولاً وحدةً وتكاملاً ثقافياً. ولايمكن ان تتم هذه الوحدة الثقافية الا من قبل المؤسسات التعليمية والتربوية، لذا فقد اعتبر التعليم اكبر وسيلة لتأمين وحدة العالم الاسلامي، وانطلاقاً من هذا فقد رأى من احد الشروط الضرورية لتأمين التساند بين البلدان الاسلامية انشاء جامعة ذات مستوى عالمي تكون: (في وسط ايران والبلدان العربية (في اسيا)، ومصر وافغانستان وتركستان والاناضول تكون بمثابة القلب)(٢٦). وحاول طوال حياته تحقيق انشاء مثل هذه الجامعة.

وهذه الجامعة سوف تستقطب حولها الطلاب والاساتذة من جميع البلدان الاسلامية، وستكون هذه المؤسسة التربوية وسيلة مهمة في جلب واستعمال التكنولوجية الغربية من جهة، وتقوم من جهة اخرى بوظيفة المحافظة من اضرار الافكار العنصرية. وعباراته التالية تبين هذا الخصوص بكل جلاء:

(من الضروري جداً وجود دار فنون او جامعة اسلامية في آسيا، لكي لاتستطيع الافكار العنصرية السلبية من افساد الاقوام الاسلامية الموجودة في البلدان العربية والهندية والايرانية وفي القفقاس وتركستان وكردستان. فالملية الاسلامية هي الملية الحقيقية والايجابية والعامة، مصداقاً لقول القرآن الكريم ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ (الحجرات: ١٠) وكذلك لكي يتم الصلح ويتأسس السلام بين علوم الفلسفة وعلوم الدين، ولكي تتصالح المدنية الاوروبية مع الحقائق الاسلامية مصالحة تامة)(٢٧).

وبديع الزمان الذي سعى لتأسيس وحدة واعية بين المسلمين بوساطة مثل هذه التربية التي تحمل في بنيتها كل ما يستوجبه هذا العصر من شروط، يرى ان مثل هذه الوحدة ستقوم على اساس من المحبة اذ يقول:

(ان مشرب الاتحاد هو المحبة. اما الخصومة فيجب ان توجه نحو الجهل والفقر والنفاق)(٢٨). والامم الاسلامية يجب ان تتعاون فيما بينها وتتساعد من الناحية المادية والمعنوية كضرورة من ضرورات هذا الاتحاد (٢٩).

ومع ان بديع الزمان كـان يبين مدى اهميـة تأمين الاتحاد بين البلدان الاسلامية فـانه كان على الدوام بجانب سياسة التـعاون والتساند الذي يحـفظ السلام في العـالم وفي هذه المنطقة ، لانه كـان يرى ان الشـعور بالتكامل الـذي سينبع من سيـاسة التسـاند والتـعاون سيـزيل اضـرار الاتجـاهات العنصـرية. ومن هذا المنطلق ايد حلف بـغداد المنعـقـد سنة ١٩٥٥ ، وسجل رأيه هذا في الرسالة التي ارسلها الى رئيس الجمهورية آنذاك اذ قال بعد التهنئة:

(ان العنصـرية خطـر عظيم. وان شـاء الله فـان الاتفـاق القـيم الذي عـقـدتموه مع العـراق وباكستـان ستطرد وتزيل الآثار الضـارة والخطرة للعنصرية)(٣٠). وبيّن امنيته من ان اشتراك الولايات المتحدة الامريكية في هذا الحلف سيـزيد من رغـبـة العـالم المسيـحي الغـربي في العـيش بسلام.

ولكي تتم المحافظة على السلام وعلى التساند بين المسلمين، فقد قيم بديع الزمـان جـمـيع الوسـائل المؤدية الى ذلك واشـار على الدوام الى ضرورة تواجد قـوة الشعور والوعي الاسلامي، لانه كـان يرى ان العالم الاسلامي مـثل جمـاعة عظيـمة في جـامع، والاسلام هو العنـصر الذي يوحد بين الاقوام المختلفة فهو يقول:

(ان اقـوى الروابط واحـقـها بين العـرب والاتراك والاكـراد والالبـان والجـركس والـلاز هي الرابطة الاسـلاميــة، التي هي المليـة والقــوميـة الحقيقية كذلك لهم)(٣١).

ان هذه الحقيقة، اي حقيقة الامة الواحدة قد تحققت فعلياً وعاشت في ضمن بنية الدولة العثمانية، ولكنها بدأت تتعرض للمؤامرات الداخلية والخارجية في السنوات الاولى من القرن العشرين، هذه السنوات التي كان بديع الزمان يحاول فيها المحافظة على وحدتها. وقد مر ثمانون عاماً على تقديمه مقترحاته وارائه هذه. والآن ادركت العناصر المسلمة المذكورة اعلاه وجوب تأمين تكامل فيما بينهم، فبدأت تبحث عن الطرق الموصلة الى هذا. ان كيفية تناول بديع الزمان (الذي رأى ان العالم الاسلامي وآسيا يشبه جماعة واحدة في الجامع) لهذا الموضوع بدأت تلقى القبول رغم جميع عوامل الاعاقة، واصبح هذا الموضوع موضوع الساعة.

اما كيفية تحقيق الاتفاق بين البلدان الاسلامية والطرق التي توصل الى مثل هذا الاتحاد والتي وقف عندها بديع الزمان ودرسها، فهو يقترح الشكل الفيدرالي. وهو يعتقد بان هذا سيتحقق بمرور الزمن، وقد عبر رأيه هذا عام ١٩١٠ وكما يلي:

(اننا ندعو الله تعالى دعاءً حاراً ان يوفق المسلمين ولاسيما العرب منهم لكي يستطيعوا تأسيس اتحاد فيدرالي بينهم في ظرف ٤٠–٥٠ سنة مثل الفيدرالية الامريكية وان يطلقوا السيادة الاسلامية من اسارها ويؤسسوا هذه السيادة في نصف الكرة الارضية كما كانت في السابق.. ندعو هذا من الله وننتظره من رحمته)(٣٢).

صحيح ان العالم الاسلامي لم يصل بعد الى مرحلة الاتحاد الفيدرالي المنشود. ولكن من الصحيح ايضاً ان التساند المادي والمعنوي

الموجود في العالم الاسلامي قد قطع مسافة كبيرة بحيث لايمكن مقارنته بما كانت عليه الحال عام ١٩١٠ او عام ١٩٤٠. فقد قوي الشعور بضرورة هذا التساند المطلوب وهذا التكامل، ولاسيما بين المثقفين المسلمين وفي الرأي العام واكتسب قوة تبشر بالامل في المستقبل، والتطورات الحاصلة ضمن اطار المؤتمر الاسلامي شواهد ملموسة في هذا الخصوص. ولاشك ان العلاقات الاقتصادية والثقافية بين البلدان الاسلامية ساعدت وتساعد على هذا التطوير والنمو. وبعد ان زال تهديد التوسع للكتلة الشرقية بمقياس كبير، فان العالم الاسلامي مرشح في اعوام ٢٠٠٠ ان يكون مركز قوة جديد حسبما كان يهدف الى ذلك بديع الزمان.

٤- الامل:

لقد رأى بديع الزمان ان النظر بأمل الى المستقبل وترك اليأس حاجة ملحة للعالم الاسلامي، ورأى ان اليأس يماثل اشد انواع الامراض ويؤدي – في العلاقات الدولية – في النتيجة الى العبودية، اذ نراه يقول:

(ان اليأس افظع داء تسلسل الى قلب العالم الاسلامي، وهذا هو اليأس الذي يكاد ان يقضي علينا وهو الذي جعل دولة غربية صغيرة لايتجاوز تعداد نفوسها المليونين تستعمر في الشرق اوطان عشرين مليوناً من المسلمين وتجعلهم خدماً لها. وهذا اليأس هو الذي حطم

الروح المعنوية. مع ان هـذه القوة المعنوية النابعـة من الايمان استطاعت مع قوة صغيرة الاستيلاء على مشارق الارض ومغاربها. وبسبب تحطم هذه القوة المعنويـة الخارقة يعامـل اليأس استطاع الضـالمون من الاجانب وضع ثلاثمئة مليون مسلم تحت اسرهـم منذ اربعمئة سنة.

هذا هو الظلم الـذي جناه هذا المرض في حـقنا اذ اسـتطاع القـضـاء علينا لذا فـسنقتص من قـاتلنا هذا وذلك بالقضـاء عليه وقتـله والاطاحة برأس هذا اليأس بسيف ﴿ **لاتقنطوا من رحمة الله** ﴾.

ان اليـأس يعـد افظع مـرض يصـيب الامم والملل يعـادل في فظاعـتـه مـرض السـرطان، لانه يمنع بلوغ الكمـالات لانه يتـصـادم مع حـقيـقـة الحـديث القدسي «انا عـند حسن ظن عـبـدي بي»، وهو شأن الجـبناء والعاجزين والسفلة وليس شأن الشهامة الاسلامية) [٣٣].

وبعد ان يـشرح اخطاء المدنيـة الغربية وجـوانبهـا السلبيـة ونواحيـها الضعيفة ويقيمها، ينبه بديع الزمان الى ان الغرب يجب الا يتخذ قدوة ولا اسـوة من هذه النواحي. ومن مـنطلق اسس العـقـيـدة والفكر، فـان مفـهوم المدنية الاسلامية يحمل خاصية النظر بأمل الى المستـقبل، وهو يعبر عن هذا بقوله:

(كـيف يمكنكم ان تيأسـوا وتقـعوا في اليـأس وتوهنوا القـوة المعنوية للعـالم الاسـلامـي مع ان هناك وسـائل واسـبـاب قـوية لـلتـقـدم المادي والمعنوي امـام اهل الايمان واهل الاسـلام ومع وجود طريق واضح نحـو سعـادة المستقبل. وتحسبـون انتم بهذا اليـأس ان العالم هو عالم التـقدم

للجميع وللاجانب، ولكنه عالم التأخر والانحطاط لاهل الاسلام المساكين، وهذا خطأ كبير تقعون فيه)(٣٤).

٥- الشورى:

ان من اهم المبادئ الاسلامية التي يجب ان تتخذ اساساً في حل مشكلات ومسائل العالم الاسلامي هي الشورى. اذ راى في الشورى – الذي هو امر من اوامر القرآن – مؤسسة لاغنى عنها ابداً في انهاء التوجهات الاستبدادية في العالم الاسلامي. وفي الوصول الى افضل الحلول بالاستفادة من جو الحرية، وفي تأمين النهوض والتقدم، فهو يقول:

(يجب ان تتم الشورى بنية البحث عن الحق واستناداً الى الدليل مع ضرورة البحث والتمحيص العقلي. وعندما يتم هذا لايبقى هناك اي مجال للشبهة او للتردد في اي مسألة. لقد كانت الشورى تتم بهذا المفهوم، لذا يجب على مسلمي هذا الزمان اتباع الطريقة نفسها)(٣٥).

ويشير الى ضرورة الشورى للعالم الاسلامي بهذه العبارات:

(ان مفتاح سعادة الحياة الاجتماعية للمسلمين هو المشورة الشرعية والآية الكريمة: ﴿ **وامرهم شورى بينهم** ﴾(الشورى: ٣٨) تأمر بالشورى وتعتبره اساساً. واحد الاسباب في تأخر آسيا هذا التأخر الكبير، هو في عدم تطبيقها للشورى).

(ان رائد مستقبل قارة آسيا ومفتاحها هو الشورى، اي كما يتشاور الافراد بعضهم مع بعضهم، كذلك يجب على الطوائف تطبيق الشورى، وذلك لكي تنحل القيود المختلفة للاستبداد والمضروبة على ارجل ثلاثمائة - وربما اربعمائة - مليون مسلم، ولكي تظهر الحرية الشرعية المتولدة من المشورة الشرعية، ومن الشهامة والشفقة الايمانية)(٣٦).

وبديع الزمان الذي يشير الى ان عدم تطبيق وعدم مراعاة الشورى يعد عاملاً مهماً في تأخر آسيا، يرى ان مسائل كبيرة ومهمة يمكن حلها بسهولة بالشورى.

وحول سؤال: (لماذا تهتم كل هذا الاهتمام بالشورى؟ ولماذا يكون تقدم الانسانية ولاسيما حياة آسيا وبالاخص حياة الاسلام بالشورى؟) يورد الجواب التالي:

(ان الشورى الحق تولّد الاخلاص والتساند، اذ ان ثلاث ألفات هكذا (١١١) تصبح مائة واحدى عشرة، فانه بالاخلاص والتساند الحقيقي يستطيع ثلاثة اشخاص ان يفيدوا امتهم فائدة مائة شخص. ويخبرنا التاريخ بحوادث كثيرة ان عشرة رجال يمكنهم ان يقوموا بما يقوم به الف شخص بالاخلاص والتساند الحقيقي والشورى فيما بينهم)(٣٧).

وكما يظهر اعلاه فان الشورى النابعة من نية البحث عن الحق، والنابعة من الاخلاص، والمتجردة عن النيات السيئة، هي الشورى التي

تسهل الوصول الى الحق والى الحل الصحيح، وتعطى النتائج الايجابية. وبسبب هذه الخاصية فان على البلدان الاسلامية ان تتشاور فيما بينها، وهذا شرط من شروط عقيدتها وشرط من شروط نهضتها المادية والمعنوية.

* * *

الهوامش

1. Bediüzzaman Said Nursî. Emirdağ Lâhikası, II:71.
2. Bediüzzaman Said Nursî. Tarihçe-i Hayat, s. 73.
3. A.g.e., s. 116
4. Bediüzzaman Said Nursî. Lem'alar, s, 111.
5. Bediüzzaman Said Nursî. Sünuhat, s. 45.
6. Bediüzzaman Said Nursî. Hutbe-i Şâmiye, 133, Emirdağ Lâhikası, II:98.
7. Hutbe-i Şamiye, s. 110-111. (Batı medeniyetine esas alan bu prensiplere karşı İslâmın medeniyet telâkkisinin dayandığı esasları şu şekilde belirlemektedir: (Hutbe-i Şâmiye, s. 111-112'den nakil)
8. Nursî. Emirdağ Lâhikası, 11:98.
9. Nursî. Sünuhat, s. 44-45.
10. A.g.e. s. 45.
11. A.g.e. s. 45.
12. A.g.e. s. 45.
13. Nursî. Emirdağ Lahikası, II:56.
14. Nursî. Hutbe-i Şâmiye, s. 103.
15. A.g.e. s. 28.
16. Nursî. Emirdağ Lâhikası, I:156.
17. A.g.e.ı, II:71.
18. A.g.e., I, 204.
19. A.g.e. II:74.
20. Bediüzzaman Said Nursî. Şuâlar, s. 536.
21. Nursî. Sünuhat, s. 60.
22. Nursî. Hutbe-i Şâmiye, s. 76.

23. Bediüzzaman Said Nursî. Mesnevî-i Nûriye, s. 91.
24. Nursî. Hutbe-i Şâmiye, s. 80-81.
25. Nursî. Emirdağ Lâhikası, II:24.
26. Bediüzzaman Said Nursî. Münâzarat, s. 60-61.
27. Nursî. Emirdağ Lâhikası, II:156
28. A.g.e. II: 195-196.
29. Nursî. Hutbe-i Şâmiye, 81.
30. A.g.e.
31. Nursî. Emirdağ Lâhikası, II: 194-195.
32. Nursî. Hutbe-i Şâmiye, s. 83.
33. A.g.e.
34. A.g.e.
35. A.g.e.s. 31-32. Bediüzzaman Said Nursî. Divan-ı Harb-i Örfî, s. 41,
36. Bediüzzaman Said Nursî. Muhâkemât, s. 32.
37. Nursî. Hutbe-i Şâmiye, s. 52-53.
38. A.g.e.

هوامش المترجم:

(أ) فلسفة اوكست كونت التي تحصر اهتمامها بالوقائع اليقينية وتهمل كل تفكير تجريدي في الاسباب المطلقة.

(ب) هي الفلسفة التي تقصي الوحي الالهي وتعتمد على العقل في التوصل الى المعرفة وانه اسمى من الحواس ومستقل عنها.

نجم الدين شاهينر

(باحث – كاتب)

ولد عام ١٩٤٥ في مدينة «غازي عنتاب». وتخرج سنة ١٩٧٢ من جامعة اسطنبول / كلية الآداب. نشر مقالاته اعتباراً من سنة ١٩٦٧ في جريدة «الاتحاد». كما نشر بحوثه في جرائد عديدة على رأسها جرائد «يني نسل» و «يني آسيا» و «الزمان».

وهو يجري بحوثه ومنذ ثلاثين عاماً حول موضوع «بديع الزمان سعيد النورسي»، وعندما نشر كتابه «بديع الزمان سعيد النورسي بجوانبه غير المعروفة» عام ١٩٧٤ استقطب الاهتمام في وقت قصير.

استمر في بحوثه من نوع المقابلات «الريبورتاجات» والذكريات، فمن نوع المقابلات نشر كتابين، كتاب «المثقفون يتكلمون عن سعيد النورسي وعن الحركة النورية»، وكتاب «بديع الزمان سعيد النورسي في نظر المثقفين في تركيا والعالم».

اما من نوع الذكريات فقد نشر كتابه «آخر الشهود» وذلك في خمسة

مجلدات.

وقد نال عن الجلد الاول من هذا الكتاب جائزة مؤسسة «الاوقاف التركية للثقافة الملية» سنة ١٩٧٨. وقد عدت البحوث والكتب التي نشرها نجم الدين شاهينر مراجع في عدة لغات غربية وشرقية كالانجليزية والايطالية والعربية والهندية.

مؤلفاته المنشورة الاخرى:

(ابناء النور) ١٩٧٠

(يقال لنا خير الدين «عن حياة بارباروس خير الدين باشا») ١٩٧٢

(الفنون الادبية) ١٩٧٥

(الذين عاشوا ألف سنة) ١٩٧٥

(الطبول والاناشيد الوطنية) ١٩٧٥

(طريق قرية نورس) ١٩٧٥ (*)

(*) قرية نورس: هي القرية التي ولد فيها بديع الزمان النورسي. المترجم.

عامل بديع الزمان
في انقاذ الولايات الشرقية

عندما كان بديع الزمان قبل مئة عام يتجول في كل انحاء الاناضول شاهد بنفسه مدى التأخر والجهل في الولايات الشرقية، ومدى بعدها عن عالم المدنية. وكان هذا هو الذي ساقه للقدوم الى اسطنبول، وراجع اعلى المراجع الرسمية، وبذل جهودة لتأسيس جامعة في الولايات الشرقية تقوم بتدريس الدين مع العلوم الحديثة.

يشبه بديع الزمان البحر...

انه يشبه بناية فخمة لها مئة باب...

انه كلية كاملة... كلية للايمان... كلية للمعرفة

ومنذ فجر شبابي وانا اتجول في شواطئ هذا البحر... ولا ازال اتجول. اذ احاول فتح ابواب هذا البناء الفخم الشامخ الذي يشع نوراً.

لقد شعت هذه الشخصية الفذة انوارها من هضبة (وان – بتليس) في شرقي الاناضول، واضاءت الاناضول في تلك الايام السوداء التي سجلت في التاريخ تحت اسم « حرب سنة ٩٣ »(أ). وفي التاريخ نفسه كان اديسون في العالم الغربي وبعد فترة تدريبية وتعليمية بلغت ٣ اشهر (مثله في ذلك مثل سعيد النورسي الشاب) يهدي الانسانية المصباح الكهربائي.

ان بديع الزمان من الشخصيات التاريخية النادرة التي تنتظرها الاجيال بكل شوق ولهفة.

لقد كان قصر الايمان الذي اصابته يد التخريب منذ مئات الاعوام في حاجة الى تعمير واصلاح، وكان بيت الاسلام في حاجة الى مداواة جروحه.

اما هذه الشخصية النورانية التي كنا بانتظارها فقد شرف عصرنا هذا بقدومه.

فتح احضانه الرحيمة للانسانية كلها.

وقبل ثمانين عاماً كان يخاطبنا ويخاطب عصرنا: « لقد عجلت انا بالمجئ... جئت في ايام الشتاء القاسي... اما انتم فستأتون في موسم الربيع الناضر... في تلك الايام السعيدة زوروا « هورهور » في « وان »

حيث تستضيف عظامي... ومن ازاهير الربيع ضعوا حزمة على قبري.... ومن قبري ساخاطبكم وسأهنئكم واتمنى لكم كل خير».

ان بديع الزمان هو من الشخصيات التاريخية النادرة التي خفيت عن الانظار لشدة ظهورها. فقد تم اخفاء تاريخ حياته وسيرته. وقد اشترك هو بنفسه في عملية الاخفاء هذه اذ قال «لقد اخفيت كثيراً من الحوادث الخارقة من سيرة حياتي»(ب) ولكن في معظم الاحيان قام اعداؤه المفترين عليه بعملية الاخفاء هذه. بل يندر في التاريخ وجود شخص مثل بديع الزمان اتهم بعكس ما قصد اليه.

انه يقول انه رجل عصر المصائب والبلايا والمهالك وهو عصرنا، وهو يهئ ادوية للجروح الابدية للانسانية ويقدمها لها.

لقد تناول موضوع الحشر الذي يؤمن به المسلمون كعقيدة. هذا الموضوع الذي قال عنه عبقري وفيلسوف مثل ابن سينا:

(ان الحشر مسألة نقلية، يمكن الايمان بها فقط. ودليل هذا الموضوع نقلي «اي نصي»، ويجب الايمان به فحسب). وقد تناول بديع الزمان موضوع هذا الايمان النوراني في اول رسالة من رسائل النور، اي موضوع الحشر بالايضاح وبالاثبات عقلياً ومنطقياً، واثبت حقائق القرآن وجعلها بمثابة البديهيات.

وحياة هذا الانسان العظيم مليئة باللوحات المضيئة. ولكي استطيع تقديم الحياة العظيمة له عظمة البحر، فانني اتجول منذ ربع قرن في المكتبات وفي المدن والقرى وفي الجبال المهيبة لشرقي الاناضول، وفي

قرى هذه الجبال المهيبة والقريبة الى النفس قرية قرية.

وسلسلة الكتب التي نشرتها مملوءة بالوثائق وبالشهود الاحياء، واستطيع ان اشير الى المكتبات والى المكتبات الخاصة والى الارشيفات والى ارشيف رئاسة مجلس الوزراء كمثال. وعدد الوثائق التي حصلت عليها مؤخراً من هذا الارشيف الاخير يبلغ ٢٦ وثيقة.

من ضمن الوثائق التي عثرت عليها في مكتبات اسطنبول وثيقة من كتاب باللغة الفرنسية، واسم هذا الكتاب هو :

« Dokument Surles Atrocute Armeno - Russes » وترجمته: « وثائق حول المظالم الارمنية – الروسية ».

ولنترجم هذه الاسطر المتعلقة بموضوعنا من احدى صفحات هذا الكتاب:

(قال يوسف بن محمد وعبد الرحمن بعد ان اقسما على انهما يقولان الحق.

« نحن من اهالي قرى « آند وفافينك ونورس » حيث توجد المراعي الصيفية لناحية « سبايرت » المرتبطة بقضاء « هيزان ». فبعد ان احتل الروس قضاء « چاتاك » جاء الارمن الى المنطقة المجاورة لنا، اي الى قرى « ليغار »، « يوكاري كوتليس »، « آشاغي كوتليس » ، « چاجوان » ، « سيكوار » و « يوكاري آندر » تحت قيادة ارمنيين اسم احدهما « لاتو » وله اسم آخر وهو « ميهران »، والآخر اسمه « كازارديلو »، ودخلا اولاً ناحية « يوكاري كوتليس »، وهناك قدموا ثلاثة اقتراحات مكتوبة

لاشراف الناحية. وكان ضمن الاشراف «سعيد الشاب» المعروف بـ« بديع الزمان» ولكن لم يكن احد يعرف مصيره: هل قتل؟ ام أُسر؟. واقتراحاتهم كانت كما يلي:

١– اما الاستسلام للعدو

٢– او تخلية الناحية والجلاء عنها.

٣– او الدخول في الحرب.

وبعد مجئ العدو بتسع ساعات هجموا على قريتنا بستمئة رجل. كان جنود العدو يلبسون الزي الكامل للجنود، ويعتمرون القبعات على رؤوسهم. ولم نستطع ان نعرف عما اذا كان بينهم جنود روس. وكان عدد الرجال البائسي المظهر بين جنود العدو كبيراً. يحتمل انهم كانوا من الروس او من ارمن الروس.

ساق العدو اهالي قريتنا الى «مزرعة آندا»، وكان من بينهم عبد الرحمن بن خورشيد وزوجته وابنه، وهم من الاشراف. وفي اليوم التالي ساقوا ثلاثة وثلاثين رجلاً وصبياً ومايقارب الثمانين من النساء والبنات الصغيرات على شكل قوافل الى «موكوس»، تركت قافلة النساء في «چاجوان»، اما الرجال فقد ذبحوا جميعاً في تلك الليلة.

ولكوني مكلفاً بمهمة من قبلهم فقد نجوت من هذه المذبحة، اما بخصوص مهمتي فقد قالوا لي:

«سنعطيك نقوداً... اذهب الى الملا سعيد واطلب منه تسليمنا ما بقي من الارمن هناك. وقل له انه ليس هناك معنى ان يتسببوا في قتل

انفسـهم عبثاً ودون جدوى، فالبلد قـد تم احتلاله كله تقـريباً، والروس قد وصلوا حتى مدينة « حلب »، كـما تم انشاء دولة الارمن (ارمينيا). واجلب لنا مـعلومـات عن عـدد الجـنود الاتراك المتـواجـدين هناك وعن قوتهم.

كان « ديلو » هو الذي قـال لي هذا، وبدأت فوراً بالسـفر لاداء هذه المهـمـة ، وعندمـا وصلت الى « چـاجـوان » رايت هناك مـدير الناحـيـة وبديع الزمان ومـعهما قـوة من الجندرمة وفدائيين من الاكـراد... كانوا قد وصـلوا الى هناك . وبعد خـمس ساعـات من حرب عنيـفة اسـتطاع بديع الزمـان سعيـد افندي بالقوة التـي كان يقودها انـقاذ قافلة الـنساء. كانت حال النـساء مفجعـة جداً. اذ لـم يكن يستطعن المشي، فـقد قتل اطفالهن تحـت احذية الاعداء. امـا الرجال البالغ عـددهـم ثلاثاً وثلاثين فلم يبق منهـم الا اثنين »).

وقد تم ادراج هذه المأسـاة وكذلك قيـادة بديع الزمان في صفـحات (٢٢ – ٢٣) من الكتاب.

من الفـدائيين الشـجـعان الذين قـاتلوا تحت قـيـادة بديع الزمـان في الحرب العـالمية الاولى في الجبهـة الشرقية تلمـيذه « حبيب »، وابنا اخـته الكبيـرة « درية »، وهمـا « عـبيد » و « دمـير مـاهي » فقد كـتبـوا بدمائهم مفاخر النصر. اما « حبيب » فقد كان معروفاً بخطه الجميل الرشيق ، لذا قام بمهمة كـتابة تفسير استاذه الفذ للقـرآن « اشارات الاعجاز في مظان الايجاز » وهما في جبهة القتال. ثم توجه « حبيب » بامر من استاذه الى

جبهة ايران حيث كان يتواجد خليل پاشا - عم انور پاشا وزير الحربية - ليخبره عن سير المعارك وعن وضع العدو، وبعد ان ادى «حبيب» هذه المهمة وقفل راجعاً الى استاذه استشهد في «كواش» برصاصة في جبينه والتحق بقوافل الشهداء الابرار. اما «عبيد» المعروف بخفة دمه وببديهته السريعة في الاجابة، فقد استشهد ايضاً في يوم عيد تحت قلعة «بتليس» برصاصة طائشة وهو بملابس العيد، وعندما اسرع اليه صديقه «علي جاويش» عند سماعه له يناديه لكي يأخذ منه الذهب الموجود في حزامه، سمعه وهو يتلو الشهادتين ويسلم روحه ويلتحق بقوافل الشهداء.

من مناقب معتمري القلنسوات اللبادية

في الحرب العالمية الاولى شكل بديع الزمان وحده ميلشيات مسلحة فدائية في شرقي الاناضول حاربت الروس والارمن وكبدتهم خسائر فادحة. وقد عبر وزير حربية الدولة العثمانية انور باشا والصدر الاعظم طلعت باشا وسعيد حلمي باشا عن تقديرهم للبطولات التي ابداها هؤلاء الفدائيون. وكان يطلق اسم «ذوو القلنسوات اللبادية» على الفدائيين تحت قيادة بديع الزمان . وعند بداية الحرب تراجع هؤلاء الفدائيين مما دفع الاعداء الى التقدم الى الامام بامان، ولكن «ذوو القلنسوات اللبادية» ما ان جروا اعداءهم نحو الوادي حتى طوقوهم وشنوا عليهم هجوماً وابادوهم.

في احدى المرات قال بديع الزمان للفدائيين: «أهناك من يأتي معي لانقاذ ثلاثين مدفعاً وقع في ايدي الروس؟». وفي الليل تسلل الى «موش» من جهة «نورشين» مع ثلاثمائة من الفدائيين، وانقذوا هذه المدافع من ايدي الاعداء، وجر هو بنفسه المدفع الاخير مع اثنين آخرين وهربوه. وبهذه المدافع استطاعوا ان يشاغلوا الروس ثلاثة ايام وثلاث ليال، حيث مكنوا النساء والاطفال من التراجع بامان الى الخلف وانقذوا حياتهم. كل هذا نقرأها في الوثائق الرسمية الموجودة في ارشيف اركان الحرب، وفي المجلات العسكرية القديمة وفي بحث التشكيلات الفدائية ونجدها اخيراً في اربع وثائق في ارشيف رئاسة مجلس الوزراء.

وفي شباط سنة ١٩١٦ جرح بديع الزمان في وادي بتليس، وبقي ثلاثاً وثلاثين ساعة في الثلوج برجل مكسورة، وهنا تم اسره ونقله الى تفليس عن طريق «وان» و «جونفا».

وفي صيف سنة ١٩١٦ ارسل رئيس الوزراء طلعت باشا مذكرة الى عمر باشا رئيس جمعية الهلال الاحمر يطلب منه ابداء المساعدة لعميد الميليشيا بديع الزمان الذي سقط في الحرب اسيراً. وكان يعلمه بضرورة ارسال مبلغ (٦٠) ليرة الى بديع الزمان سعيد الكردي الاسير في مدينة «تفليس». علماً بان هذا المبلغ يعادل الآن (٢١٥٤) ماركاً المانيا مع ان الدولة آنذاك كانت مشرفة على الانهيار.

وبفضل الاوامر التي اصدرها الصدر الاعظم طلعت باشا الى عمر

باشا رئيس جمعية الهلال الاحمر فقد تم وعلى الفور ارسال موظف خاص من اسطنبول الى «تفليس» بهذا المبلغ. وجاء في مذكرة الصدر الاعظم هذه ما يلي:

«ان بطلاً مثل بديع الزمان اسير الآن في «تفليس». هذا العميد الفدائي استطاع ان ينقذ من يد الاعداء (٨) مدافع في «موش» وذلك في الايام التي سقطت فيها «بتليس» في يد الاعداء، وجمع الفدائيين فقدم خدمات جليلة. لذا يجب ارسال المبلغ الذي امرنا به حالا الى بديع الزمان التي يحتاج الى رعايتنا في «تفليس»».

هذه الحقيقة المعروفة منذ ٧٦ سنة نجدها الآن، اي في صيف ١٩٩٢ في احدى الوثائق المحفوظة في ارشيف رئاسة مجلس الوزراء.

وشاهد آخر من شهود هذه البطولة هو السيد «صالح يشل» نائب ارضروم في الدورة الاولى للمجلس، فهو يقول في الرسالة التي كتبها الى السيد «حلمي اوران» نائب وزير الداخلية في عهد «حزب الشعب الجمهوري» ما يلي عن بطولة بديع الزمان:

«لقد قام بالكفاح والنضال في جبال قفقاسيا المكللة بالثلوج كقائد لفوج الفدائيين، كما قام بالتجول هناك لارشاد الناس. ونال عن استحقاق وساماً حربياً كبيراً».

جامعات الشرق

قام بديع الزمان قبل مئة عام بالتجول في كل انحاء الاناضول

ولاسيما في الولايات الشرقية، فشاهد بام عينيه مدى فقر الشرق وجهله وبعده الكبير عن عالم المدنية، فكانه يعيش خارج العصر. لذا قطع المسافات الطويلة واتى الى اسطنبول وهو يحمل معه رسالة من « طاهر باشا » والي مدينة « وان » وبهذه الرسالة وبالمقالات التي كتبها في الجرائد استطاع مراجعة القصر (ج)، اذ كان يرغب في فتح الجامعات في المراكز المهمة لشرقي الاناضول مثل مدينة « وان » و « بتليس » و « سعرت » و « دياربكر » تحت اسم « مدرسة الزهراء ». وقد شرح طويلاً مدى ضرورة مراكز المعرفة هذه، اذ قال ان العلوم المدنية هي اشعة العقل، والعلوم الاسلامية هي نور القلب، ومن اتحادهما وامتزاجهما تظهر الحقيقة. ولو افترقا لظهرت الحيلة والشك والالحاد ان درست العلوم الحديثة فقط، اما ان درست العلوم الدينية فقط لظهر التعصب، اما ان درستا معاً وتم التعليم بهما، عند ذلك يستطيع الطالب الطيران بهذين الجناحين الى عنان السماء، ولانفتح امام الاناضول افاق التقدم المادي والمعنوي، ولاستطاع بلدنا الانطلاق في طريق النهوض والتقدم.

وحول موضوع « مدرسة الزهراء » املك الآن عشرين وثيقة من ارشيف رئاسة مجلس الوزراء وقد قدمت هذه الوثائق من قبل السيد « تحسين اوزر » والي مدينة « وان » الى السلطان العثماني « محمد رشاد ». والآن اود ان اعرض هنا وثيقة واحدة من هذه الوثائق.

ففي ١٤/ حزيران/ ١٩١٤ ارسل السيد « تحسين اوزر » والي مدينة

« وان » رسالة الى « قلم الشفرة لدائرة الصدارة / الباب العالي » يرجو ما يلي من رئاسة الوزارة (اي من الصدر الاعظم) ومن القصر (اي من السلطان) :

« لقد بدأ المذهب الشيعي ينتشر في شرقي الاناضول وحوالي مدينة « وان » بالاستفادة من جهل الاكراد المسلمين. وهناك كذاب اسمه « عبدالرزاق » يقوم بنشاطات هدامة جداً.

ومن اجل الوقوف ضد هذه الحركات الهدامة فان بناء جامعة في هذه المنطقة سيكون نقطة استناد قوية للدولة العثمانية ولبقاء الاسلام، وان الاشراف والعلماء والعشائر ينتظرون تحقق هذه النتيجة بفارغ الصبر.

ان بديع الزمان – الذي هو اعلم علماء هذه المنطقة – يسعى بكل جهده لتحقيق هذه المسألة ، وقد سبق وان اعلمنا هذه المسألة الى وزارة الاوقاف الهمايونية. ولكن المسألة تأخرت نتيجة للمكاتبات والمراسلات وبسبب من الضائقة المالية. ان جميع العلماء والاشراف يسترحمون من مقام جناب السلطان دفع مصاريف انشاء جامعة مدرسة الزهراء هذه من جيبه الخاص، وان يتم هذا العمل الخيري من جانب حضرة السلطان المعظم خاصة »

وعندما ننظر الى التاريخ نرى ان الدعاوى الكبيرة والغايات الكبيرة تتحقق وتتجلى بالمؤسسات الكبيرة، ولكونه يدرك هذه الحقيقة الكبيرة، فقد سعى بديع الزمان سنوات طويلة لتأسيس مدرسة الزهراء.

وكان يعطي اهمية كبيرة جداً لهذه المسألة الى درجة انه قال: « مثلما سعيت من اجل حقائق رسائل النور سعيت بنفس الدرجة لهذه المسألة ». ومن اجل تحقيق بناء هذه المدارس في المراكز الرئيسة لشرقي الاناضول – الذي اهمل وترك فقيراً وجاهلاً – وهي مدن « وان » و« بتليس » و « سعرت » و « دياربكر »، فقد قام بثلاث مراجعات ومحاولات رئيسية ومهمة:

محاولته الاولى كانت في عهد السلطان عبدالحميد الثاني، والثانية كانت في عهد السلطان محمد رشاد، وكان من المفروض ان تنشأ هذه الجامعة في « ادرميد »، وهي بلدة جميلة نظمت القصائد التي تتغنى بجمالها وتقع على سواحل بحيرة « وان ».

في المحاولة الثانية في عهد السلطان محمد رشاد تم فعلاً ارساء اسس هذا المشروع العظيم بعشرين الف قطعة ذهبية. ولكن الغيوم السوداء للحرب العالمية الاولى التي انهت حياة الدولة العثمانية كانت قد غطت سماء وطننا الحبيب. وفي النتيجة تهاوت الدولة وسقطت بعد ان بذل شباب الامة انهاراً من دمائهم في تسع جبهة من جبهات القتال ووقف البناء في مدرسة الزهراء في سواحل « ادرميد ».

وبعد انتهاء فترة اسره في روسيا – والتي تعد في ذاتها اسطورة اخرى من اساطير البطولة – ورجوعه الى الوطن وقيامه باداء خدمات بطولية في اسطنبول الرازحة تحت الاحتلال الانكليزي والفرنسي، ذهب الى انقرة بدعوة من حكومتها، وهناك وقف امام مجلس المبعوثان

(اي مجلس النواب) الاول وتحدث لهم عن مدرسة الزهراء، وفي هذا المجلس – الذي كان مصطفى كمال يتواجد فيه ايضاً – وافق ١٦٣ نائباً من مجموع مئتين، على تخصيص (١٥٠) ألف ليرة لهذا المشروع. ولكن في هذه المرة لم يتم التفاهم والانسجام مع النواب الذين لم يكونوا يؤدون الصلاة.

وبسبب عوائق وموانع عديدة تعطل هذا المشروع الثقافي والفكري الكبير.

وبعد ان مرت سنوات عديدة، وتمت كتابة رسائل النور استطاع بديع الزمان ومعه طلابه – المرتبطين به بقلوبهم وارواحهم – نشر رسائل النور في جميع ارجاء الوطن ثم في البلدان والقارات الاخرى، فتحولت الغاية من مدرسة الزهراء وتجلت وتحققت بشكل آخر، اذ اصبحت المدارس النورية مراكز اشعاع للايمان وللمعرفة وانتشرت شعبها في كل ارجاء البلد تضيئ وتنشر النور، اما في ايامنا الحالية فقد انتشرت شمس الاستاذ بديع الزمان في بلدان عديدة مثل المانيا وامريكا والبلدان العربية وقبرص والقاهرة وباكستان وماليزيا.

لقد كان بديع الزمان طوال حياته على رأس الخدمات الجليلة في سبيل الوطن وفي سبيل الدين وفي سبيل الامة الاسلامية وفي سبيل الانسانية. وعندما كانت اسطنبول تملأ من قبل المحتلين ببراميل الخمور.. في تلك الايام الحالكة كان بديع الزمان ومعه الشيخ حيدرزاده ابراهيم افندي شيخ اسلام الدولة العثمانية يؤسسان مع بعض مثقفي ذلك العهد جمعية « الهلال الاخضر » (د) في منطقة « جاغال اوغلو »

بجانب مسجد «ناللي بابا »

وبعد رجوع عميد فرق الميليشيا الفدائية من اسره الذي دام ٥و٢ عاماً في روسيا، سجل تحت الحاح وطلب العديدين كعضو يمثل الجيش العثماني في دار الحكمة الاسلامية.

كان يقول بان النشر والطبع يحتل مركزاً مهماً ضمن الخدمات المقدمة.

في خلال ٢٥ عاماً التي قضيتها في الخدمة النورية تجولت في القرى والمدن والجبال والقلاع ، وفي احدى المرات اعطاني محامي طلاب النور المرحوم والمغفور له « بكر برق » اضابيز واوراقاً لتسليمها الى المراجع العدلية في « قصطموني ». بعد ان سلمت هذه الاوراق لهذه المراجع بدأت التجول وحيداً في شوارع « قصطموني » التي لم اكن اعرفها... كان هذا في خريف عام ١٩٦٨ ، ولفت نظري قلعة « قصطموني » المنتصبة بشموخ... صعدت اليها وسرحت منها نظري اتأمل هذه البلدة التركية الجميلة. وبينما كنت اتجول فيها التقيت بشخص وتبادلت معه السلام، وحسب العادة التي تأصلت عندي منذ مدة طويلة فتحت الحديث حول استاذي بديع الزمان. كان ذلك الشخص حارساً هناك ويراقب من مكانه هذا حدوث اي حريق في البلدة، ويقوم ايضاً باطلاق مدفع الافطار في شهر رمضان. قال لي ان بديع الزمان كان يأتي على الدوام الى هذه القلعة حيث يجلس هناك على السور ويدلي رجليه في الفضاء وينشغل بتصحيح كتبه، او يتلو الادعية وينهمك في

العبادة وكان يخاطبه قائلا: «يا اخي يايونس»... وقال لي الحارس واسمه «يونس چاويش»: «لاتستطيع ان تتصور مدى سعادتي بخطابه هذا الذي كان يتفوه به برقة وبحلاوة ومن قلبه... ان صوته لايزال يرن في اذني».

ولأنقل لكم احد ذكريات يونس چاويش مع الأستاذ بديع الزمان:

«في احد الايام صعد بديع الزمان الى القلعة من الصباح الباكر ثم جلس على احد الابراج التي ترتفع كثيراً عن الارض تحتها وادلى رجليه في الفضاء وبدأ كعادته بالانشغال بالتصحيح. في هذه الاثناء كان احد السكارى الذي قضى ليلته في الشرب والسكر يمر في تلك الساعة المبكرة من الصباح في الطريق الموجود اسفل القلعة باتجاه بيوت الدعارة. وما ان وصل هذا السكير الى الموضع الذي كان يجلس فيه شيخنا وحتى تسمر في مكانه فلا يستطيع لا التقدم الى الامام خطوة ولا الرجوع الى الوراء خطوة، اما بديع الزمان فكان ينظر اليه بشفقة ورحمة ثم سلم عليه وقال له:

– ارجع ياأخي.. ارجع ياأخي الى بيتك... ارجع الى اطفالك وعيالك... لاتذهب الى هناك... بل ارجع واغتسل..... تب الى الله وابدأ بالصلاة والدعاء»

ذهل السكير ولم يدر ما يفعل، ثم انفجر باكيا وهو يرجع الى الوراء... ذهب الى الحمام واغتسل وتاب ورجع الى بيته وزوجته واولاده. وتخلص من احواله السيئة تلك.

بعد ذلك بقليل قال يونس چاويش بانه كان هناك شرطي يُعرف بلقب «حافظ اوليفاتلو» مكلف بمراقبة بديع الزمان وتعقبه على الدوام ، ورأى ما حدث فاسرع وراء ذلك السكير المسكين التائب واخذ بتلابيبه صارخاً فيه:

– ماذا قال لك ذلك الكردي؟... ماذا قال؟

لقب «بديع الزمان»

لقد تجلى لقب «بديع الزمان» في حياته وتحقق... اي كما جاء في بعض التعابير القديمة في ادبنا : «اسم على مسمى».

وفي سبيل اثبات وايضاح هذه المسألة فاننا نستطيع ذكر ما يلي من بعض مظاهر حياته الطويلة المباركة.

١– لم يلبس الملابس المناسبة لعلمه ومكانته العلمية (هـ).

٢– عندما كان يحارب الاعداء في جبهة القتال بدأ بكتابة تفسير القرآن.

٣– قدمت رسائله (وهي رسائل النور) الى المحاكم ١٥٠٠ مرة، وانتهت كلها بالنهاية نفسها... بالبراءة.

٤– لم يجد طوال حياته فرصة للزواج.

٥– بعد وفاته بقي في المقبرة التي دفن فيها في مدينة «اورفة» ضيفاً مدة ١١١ يوماً. ثم كُسر قبره ليلاً ونُقل رفاته الى جهة مجهولة

وخلاصة ما اريد قوله هو انه كان

غريب زمانه

وحيد زمانه

فرد زمانه

بديع زمانه

جميل زمانه

لقد كان بديع الزمان.

* * *

هوامش المترجم:

(أ) هي الحرب التي وقعت بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية عام ١٨٧٦م. اما سنة ٩٣ فهو حسب التقويم الرومي.

(ب) من المعروف انه تمت كتابة سيرة الاستاذ بديع الزمان في حياته في كتاب «سيرة ذاتية» من قبل تلاميذه ولكنه شطب الكثير من هذا الكتاب، وخاصة فيما يشم منه المديح له، وابقى ما يتصل بفكره ودعوته.

(ج) المقصود هو قصر يلدز الذي كان مقر السلطان عبدالحميد الثاني.

(د) كما هو معروف فان جمعيات «الهلال الاخضر» تقوم بمحاربة الخمور والمسكرات.

(هـ) كان من العادة لبس العلماء ملابس معينة تدل على مكانتهم العلمية، ولكن بديع الزمان لم يلبس تلك الملابس تواضعاً منه.

(و) بعد وفاته بثلاثة اشهر تقريباً وقع انقلاب عسكري في تركيا عام (١٩٦٠) وقام الحكام العسكريون بهذا العمل الشائن، اي بنقل رفات الاستاذ بديع الزمان من قبره في «اورفة» بطائرة عسكرية الى جهة مجهولة.

المحتويات

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

هذا الكتاب

هو المؤتمر العالمى حول تجديد الفكر الإسلامى للعالم الجليل بديع الزمان سعيد النورسى لقد كانت عقيدته فى حياة المسلمين هى النافذة التى يطلون منها على العوالم الحية بكل شعب هذه العوالم .

ولقد كانت حياة الإمام بديع الزمان سعيد النورسى حافلة بالمواقف العملية ، ولقد كان رضوان الله عليه من أعظم الشخصيات الإسلامية التى برزت فى الأمة الإسلامية .

وقد شارك فى المؤتمر علماء ومفكرون من تركيا وأمريكا وألمانيا وإنجلترا وإيطاليا فضلا عن الأساتذه الذين قدموا من الدول العربية وأعدوا بحوثهم ودراستهم با...

نأمل أن يجد فيها رواد المعرفة وطلاب ا...
الرسائل العلمية العلامات المضيئة فى طري...